

تنمية الإنعام على رسالة فضل الإسلام

للمجدد الإمام
شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
النجدي

تأليف

فواز بن علي بن عباس السليمانى

تَتِمُّهُ الْإِنْعَامُ

عَلَى رِسَالَةٍ

فَضْلِكَ الْإِسْلَامِ

- اسم الكتاب: تمة الإنعام على رسالة فضل

الإسلام

- تأليف: فواز بن علي بن عباس بن ناصر السليمان

- عدد الصفحات: ٤٤٣

- المقاس: ١٧ X ٢٤

كل الحقوق
محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م



تَتِمُّهُ الْإِنْعَامُ

عَلَى رِسَالَةٍ

فَضْلِكَ الْإِسْلَامِ

لِلْمُجَدِّدِ الْإِمَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيِّ

تَأَلَّفَ

أَبِي مُحَمَّدٍ

فَهْرَازِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ نَاصِرٍ السَّلْمَانِيِّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ أَلَدِيهِ

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُصَحَّحَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ

وَمُشْتَمِلَةٌ عَلَى زِيَادَاتٍ مُفِيدَةٍ



مقدمة الشارح للطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد:

فأحمد الله كثيرًا، أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، على نعمه الكثيرة، وآلائه الجزيلة، التي من أفضلها وأجلها نعمة طلب العلم الشرعي، والعمل به، والانشغال به، والكتابة فيه، والسير عليه حتى الممات.

هذا: وقد كنتُ علّقتُ على رسالة: "فضل الإسلام"، وخرجتُ أحاديثها وآثارها، مع الحكم عليها صحة وضعفًا، ويسر الله طبعها، مع ما وقع فيها من سقطٍ وتحريفٍ في المتن والتعليق، فبذلت في هذه الطبعة الثانية ما أقدر عليه من الاهتمام بها؛ لأستدرك ما حصل من خلل، وأتمّم ما فات من تعليقات وزيادات، وإيضاحات، وتراجم مختصرة لمن ذكر من الرواة، مع الاعتراف بضعف البشر، والله الموفق للخير والصواب.

كتبه: أبو محمد

فواز بن علي بن عباس بن ناصر السليمان

ليلة الأحد (٢٨/جماد ثاني/١٤٣٥هـ).

دار الحديث بمعبر حرسها الله تعالى.

مقدمة المحقق للطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد :

يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

ويقول تعالى أمرًا نبيه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال تعالى: ﴿مَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ... الْآيَةَ﴾ [سورة الحج: ٧٨].



ففي هذه الآيات، وغيرها يبين تعالى: فضل الإسلام على غيره من الأديان، وأنه ناسخ لما تقدم من الشرائع، ولا يزال من يقوم به إلى قيام الساعة، فقد روى البخاري (٢٩٤٨) ومسلم (١٠٣٧)، واللفظ للبخاري، عن معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم إلى قيام الساعة».

وذلك ملاحظ وملحوظ من علماء أهل السنة والجماعة، فكم من كاتب في الإسلام، وفضله، والذود عن حماه، والتمسك به، والعض عليه بالنواجذ، وممن ألف في فضله وبعض ما يتعلق به، الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وسمى ما كتبه: «فضل الإسلام» وهو الذي بين يديك، قد أعاننا الله على بتحقيقه، والتعليق عليه تميماً للفائدة، والله الموفق للصواب.

❁ عملي في التحقيق على النحو التالي:

- ١- قمتُ بعزو الآيات إلى أرقامها من السور.
- ٢- خرَّجْتُ الأحاديث والآثار مع الحكم عليها بما استفدته من كلام أهل العلم، إلا ما كان في «الصحيحين»، أو أحدهما؛ فإني أعزوه إلى مصدره، وكذا ما اتفق عليه الإمامان - الألباني والوادعي **رَحِمَهُمَا اللَّهُ** تعالى - على تصحيحه؛ فإني أكتفي بتصحيحهما مع العزو إلى مصادره، وأما ما صححه أحدهما؛ فإني أنظر في كلام أهل العلم المتقدمين، وما ترجح لي ذكرته.

٣- شرحتُ الآيات والأحاديث بشرح ميسر من كلام أهل العلم.

٤- ربما استطردت في الكلام على بعض الفقرات؛ تميماً للفائدة.

٥- ترجمتُ لكل من ذكر المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ في رسالته من الرواة بما يناسب المقام.

تنبيه:

أضفتُ تعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ على هذه الرسالة، حسب مواضعها المناسب ذكرها فيه.

✽ النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في التحقيق على نسخة ضمن مجموعة: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، التي قام بتحقيقها ومقابلتها على عدة نسخ خطية: عبد العزيز بن زيد الرومي، ومحمد بلتاجي، وسنيد حجاب، وهذه النسخ الخطية هي:

✧ مخطوطة سماحة المفتي الموجودة في المكتبة السعودية بالرياض.

✧ ومخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ.

✧ ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين الموجودة في مكتبة ولده إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين.

وفي ختام هذه المقدمة أقدم بالشكر؛ لكل من أعانني على طلب العلم عموماً، وكل من شجعني وساعدني بمراجعة وتصحيح وتدقيق هذه الرسالة خصوصاً، فجزى الله الجميع خيراً.

كتبه:

أبو محمد فوز بن علي بن عباس السليمانى

- دار الحديث بدماج - (١٤٢٣هـ).



ترجمة صاحب المتن العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحْمَةُ اللَّهِ

هو الإمام العلامة الرباني محي السنة، مجدد الدعوة السلفية، أبو علي شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب بن الشيخ سليمان التميمي.

ولد سنة (١١١٥هـ)، في بلدة العيينة من أرض نجد، وقرأ القرآن قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم سريع الإدراك، يتعجب أهله من فطنته وذكاءه، أخذ عن والده وغيره، ثم رحل للتزود من طلب العلم، فأتى البصرة والحجاز مراراً، والإحساء وغيرها، وتضلع عن علماء تلك الأقطار منهم: محمد حياة السندي المدني، والشيخ إسماعيل العجلوني، وعلي أفندي الداغستاني، والشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي، ثم المدني، وغيرهم وأجازوه، وتنور وظهر له ما كان الناس عليه من الجهل بالتوحيد، وما وقعوا فيه من عبادة غير الله.

وحج ووقف بالملتزم، وسأل الله أن يظهر هذا الدين، بعد أن عفا بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، وقصد المدينة المنورة، وحضر عند علمائها وارتحل يريد الشام، وحصل له عائق لما اقتضته الحكمة الإلهية، من ظهور هذا الدين، في البلاد النجدية، فرجع إليها وقدم على والده في بلدة حريملاء، ودعا إلى السنة المحمدية، ثم ارتحل إلى العيينة، وأزال ما في الجبيلة، وتلك الجهات من القباب والمساجد المبنية، على قبور الصحابة وغيرهم، ثم قدم الدرعية، وتلقاه الإمام محمد بن

سعود، وبادره بالقبول فشمّر بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وسائر شرائع الإسلام، والنهي عن الشرك بالله، وسائر المحرمات.

وأقام الله به علم الجهاد، وأدحض به شبه أهل الشرك والعناد، وجد الإمام في نصرته، وألب عليه رؤساء العربان والبلدان، واستصرخوا عليهم بأهل نجران، وأهل الحجاز وغيرهم، فثبتهم الله ونصرهم على قلة منهم، وانتشر التوحيد، وعمرت به نجد بعد خرابها، واجتمعت بعد افتراقها، وكان له الغلبة والظهور، وبالجملّة فمحاسنه وفضائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، افتخرت به نجد على سائر الأمصار، وشهد له أهل عصره، ومن بعدهم بالعلم وتجديد الدين، وتواتر الثناء عليه من فضائلهم وأكابرهم.

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ - قاضي صنعاء :-

لمقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
فما هو إلا قائم في زمانه مقام نبي في إمارة باطل

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعائي رَحِمَهُ اللهُ:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

وصنف مصنفات شهيرة سارت في الآفاق، منها: كتاب كشف الشبهات، وكتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وأصول الإيمان، وفضائل الإسلام^(١)، وفضائل القرآن،

(١) وهي الرسالة التي بين أيدينا.



وكتاب السيرة المختصرة، والسيرة المطولة، وكتاب مجموع الحديث، ومختصر الشرح الكبير، والإنصاف، ومختصر الصواعق، ومختصر فتح الباري، ومختصر الهدى، والعقل والنقل، وكتاب الإيمان، وله رسائل ونصائح وأجوبة، وله الاستنباط من كتاب الله ما يقصر عنه الفحول والأفاضل.

✽ أخذ عنه العلم عدة من العلماء الأجلاء :

من بنيه وبنيتهم، وغيرهم من علماء الدرعية، وسائر النواحي، وممن تأهل منهم أبناؤه: الشيخ عبد الله، وحسين وعلي، وحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ عبد العزيز الحصين، والشيخ سعيد بن حجي، والشيخ محمد بن سويلم، والشيخ محمد بن سلطان، وغيرهم ممن ولي القضاء، وممن لم يله الخلق الكثير.

✽ وفاته :

توفي رَحِمَهُ اللهُ بعد (٩١ - عامًا) سنة (١٢٠٦هـ)، وكان يومًا مشهودًا^(١). اهـ باختصار.



(١) من "مقدمة" الشيخ عبد الرحمن العاصمي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى "كتاب التوحيد".

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١).

✽ مسائل البسملة كثيرة نذكر ما تيسر منها اختصاراً على القول الراجح:

✽ الأولى: سُنَّةُ الْبَدْءِ بِالْبِسْمَلَةِ فِي الْكُتُبِ وَالرِّسَالِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُبْدَأُ بِهَا فِيهِ:

وأدلة سُنيَّتِها من الكتاب والسنة كثيرة، منها ما يلي:

أما الكتاب: فما من سورة في القرآن إلا ابتدئها الله بالبسملة، سوى سورة براءة ويأتي بيان سبب ذلك في المسألة السابعة - إن شاء الله تعالى -.

وأما السنة: فكل كتبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبدؤة بالبسملة، من ذلك: ما رواه البخاري برقم (٧)، ومسلم (٤٥٨٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى هرقل عظيم الروم: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، من محمد بن عبد الله... الحديث.

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل: ٣٠]: أنها سنة الأنبياء كافة - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - تبعهم على ذلك علماء، وأمراء، وعوام المسلمين، ولذلك ابتدأ بها المؤلف كتابه، والله أعلم.

✽ الثانية: جواز الاكتفاء بالبسملة والشرع في الكتاب من غير مقدمة تنبئ

بالمقصود:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في "الفتح" (٨/١): اعْتَرَضَ عَلَى الْمُصَنِّفِ - البخاري - لكونه لم يفتح الكتاب - صحيح البخاري - بخطبة، تنبئ عن مقصوده،

(١) في نسخة: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وبه نستعين.



مفتحة بالحمد والشهادة؛ امتثالاً لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بحمد الله؛ فهو أقطع».

وقوله: «كل خطبة ليس فيها شهادة؛ فهي كاليد الجذماء»، أخرجهما أبو داود وغيره، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والجواب عن الأول: أن الخطبة لا يتحتّم فيها سياق واحد، يمتنع العدول عنه، بل الغرض منها الافتتاح بما يدل على المقصود، وقد صدر الكتاب بترجمة بدء الوحي، وبالحديث الدال على مقصوده، المشتمل على أن العمل دائر مع النية، فكأنه يقول: قصدتُ جَمْعَ وَحْيِ السَّنة المُتَلَقَّى عن خير البرية، على وجه سيظهر حسن عملي فيه من قصدي، وإنما لكل امرئ ما نوى، فَكَتَفَى بالتلويح عن التصريح. وقد سلك هذه الطريقة في معظم تراجم هذا الكتاب، على ما سيظهر بالاستقراء. والجواب عن الثاني: أن الحديثين ليسا على شرطه، بل في كلٍ منهما مقال، سلّمنا صلاحيتهما للحجة، لكن ليس فيهما أن ذلك يتعين بالنطق والكتابة معاً، فلعله حمد وتشهد نطقاً عند وضع الكتاب، ولم يكتب ذلك اقتصاراً على البسملة؛ لأن القدر الذي يجمع الأمور الثلاثة ذكر الله، وقد حصل بها.

ويؤيده: أن أوّل شيء نزل من القرآن: **﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾** [سورة العلق: ١]، فطريق التأسي به الافتتاح بالبسملة، والاقتصار عليها، لاسيّما وحكاية ذلك من جملة ما تضمنه هذا الباب الأول، بل هو المقصود بالذات من أحاديثه.

ويؤيده - أيضاً -: وقوع كُتُب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى الملوك، وكتبه في القضايا مفتحة بالتسمية، دون حمدلة وغيرها، كما سيأتي في حديث أبي سفيان

- في قصة هرقل، في هذا الباب -، وكما سيأتي في حديث البراء - في قصة سهيل بن عمرو، في صلح الحديبية -، وغير ذلك من الأحاديث. اهـ

وقال العلامة عبد الرحمن بن القاسم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "حاشية الأصول الثلاثة" (ص ٩): ابتداء المصنف - النجدي -، واقتصر على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر والخبر. اهـ

❖ الثالثة: متى قد يتلزم ذكر البسملة والحمد والشهادة:

تقدّم كلام الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قبل أسطر، وقال عقبه: وهذا يُشعر بأن لفظ الحمد والشهادة: إنما يُحتاج إليه في الخطب دون الرسائل والوثائق، فكأن المصنف لمّا لم يفتح كتابه بخطبة؛ أجراه مجرى الرسائل إلى أهل العلم؛ ليتفعوا بما فيه تعلُّماً وتعليماً. اهـ

❖ الرابعة: الحكم على حديث: «كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببسم الله؛ فهو أبتَر»:

الحديث أخرجه الخطيب في "الجامع" (٦٩/٢)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو ضعيف جداً؛ فيه أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندي^(١).

❖ الخامسة: هل البسملة آية من كل سورة أو آية مستقلة أو أنزلت للتبرك أو للفصل

بين السور؟

قال العلامة الهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الواسطية" (ص ٨): المختار عند جمع من العلماء: أنها أنزلت للفصل بين السور، وللتبرك، والله أعلم. اهـ بتصرف.

❖ السادسة: البسملة جزء من آية من سورة النمل بالإجماع:

قال العلامة الهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الواسطية" (ص ٨): اتفقوا: على أنها جزء من آية من سورة (النمل). اهـ



(١) راجع للبسط: "إرواء الغليل" (٢٩/١).



✽ السابعة: سبب ترك البسملة في أول سورة براءة:

قال الشيخ الهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ** - "المصدر السابق" -: اتفقوا على تركها في أول سورة (براءة)؛ على خلاف في سبب تركها. اهـ

وقال الإمام القرطبي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (٦١/٨): اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أول سورة براءة على أقوال خمسة:

الأول: قيل كان من شأن العرب في الجاهلية، إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فأرادوا نقضه؛ كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والمشركون، بعث بها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

القول الثاني: روى النسائي - وساق بسنده - عن يزيد الرقاشي قال: قال لنا ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى (الأنفال)، وهي من المثاني، وإلى (براءة)، وهي من المثني، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، ووضعتموها في السبع الطول؟.

قال عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: إن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان إذا نزل عليه شيء؛ يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: «ضعوا هذا في السورة التي فيها كذا، وكذا»، وتنزل عليه الآيات، فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا، وكذا»، وكانت (الأنفال) من أوائل ما أنزل - أي: بعد الهجرة -، و(براءة) من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقُبض رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولم يبين لنا أنها

منها؛ فظننت أنها منها، فمن ثمَّ قَرَنْتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وخرَّجه أبو عيسى الترمذي، وقال: هذا حديث حسن.

القول الثالث: رُوي عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضا - وبه قال مالك، فيما رواه
عنه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم: أنه لما سقط أو لها ^(١) سقط
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ معه.

ورُوي ذلك عن ابن عجلان، أنه بلغه أن سورة (براءة) كانت تعدل البقرة، أو
قربها، فذهب منها، فلذلك لم يُكتب بينهما بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وقال ابن جبير:
كانت مثل سورة البقرة.

القول الرابع: قاله خارجة، وأبو عصمة وغيرهما، قالوا: لما كتبوا المصحف في
خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختلف أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال بعضهم:
براءة والأنفال سورة واحدة.

وقال بعضهم: هما سورتان، فَتَرَكْتُ بينهما فرجة؛ لقول من قال أنهما سورتان،
وَتَرَكْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لقول من قال هما سورة واحدة، فرضي الفريقان
معا، وثبتت حجتاهما في المصحف.

القول الخامس: قال عبد الله بن عباس: سألت علي بن أبي طالب لِمَ لَمْ يُكْتَبْ

(١) قلت: إن كان المراد بقولهم: (سقط أولها) أي: مما نسخه الله، أو أنساه رسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]؛ فقد

يقبل، إن صح دليل في ذلك، وإن كان المراد أنها لم تحفظ؛ فهذا مخالف لقوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩]، والله أعلم.



في براءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؟ قال: لأن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان.

ورُوي معناه عن المبرد قال: ولذلك لم يجمع بينهما؛ فإن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رحمة، وبراءة نزلت سخطة.

ومثله عن ابن عيينة قال رَحْمَةُ اللَّهِ: إنما لم تُكتب في صدر هذه السورة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين.

والصحيح: أن التسمية لم تُكتب؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ما نزل بها في هذه السورة، قاله القشيري.

وفي قول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُبَيِّنْ لنا أنها منها، دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله، وتبيينه، وأن براءة وحدها ضُمَّتْ إلى الأنفال من غير عهدٍ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما عاجله من الحِمَامِ قبل تبينه ذلك، وكانتا تُدعيان القريتين، فوجب أن تجمعا، وتضم إحداهما إلى الأخرى؛ للوصف الذي لزمهما من الاقتران، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي. اهـ

قال أبو محمد السليماني - وفقه الله -: ما رجحه القرطبي؛ هو الأقرب، والله أعلم.

❖ الثامنة والتاسعة: معنى (بسم الله) وإعرابها:

الباء في (بسم) حرف جر، وهي للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف قدره بعضهم: فعلا، وقدره بعضهم: اسما، والقولان متقاربان، وبكل ورد في القرآن: قَالِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق: ١]، وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُبَهَا﴾ [سورة هود: ٤١].

والجار والمجرور في: (بسم) متعلق بفعل محذوف متأخر، مناسب للمقام تقديره: بسم الله أكتب أو أصنف.

وتقديره فعلاً أقرب؛ لأن الأصل في العمل للأفعال.

وقدّر الفعل مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرُّك والتمنُّن بالبداة باسم الله -.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم الجار والمجرور في (بسم) يفيد الحصر، فيكون باسم الله أقرأ؛ بمنزلة: لا أقرأ إلا باسم الله.

ونقدّره خاصّاً؛ لأنه أدل على المقصود من العام، إذ من الممكن أن أقول: التقدير: باسم الله أبتدئ، لكنها لا تدل على تعيين المقصود، بخلاف قولك: باسم الله أقرأ فإنه خاص، والخاص أدل.

وقدرناه مناسباً؛ لأنه أدل على المراد، فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً: بسم الله نبتدئ، لكن بسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به. و(بسم) مضاف، ولفظ الجلالة (الله) مضاف إليه، والله أعلم^(١).

✽ العاشرة والحادية عشرة: اسم الجلالة (الله) هل هو جامد أو مشتق وما مبدأ اشتقاقه؟

قال العلامة الهراس رَحِمَهُ اللهُ في "شرح الواسطية" (ص ١٠): اسم الجلالة: قيل: إنه اسم جامد غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم،

(١) راجع: "بدائع الفوائد" (١/ ٢٤) و"شرح الواسطية" لهراس (ص ٨) و"الشرح الممتع" (٩/ ١) و"شرح الواسطية" للعثيمين (ص ٩)، وشرحا العثيمين، واللهيمد "للأصول الثلاثة" - عند البسملة -.



والقديم لا مادة له، فهو كسائر الأعلام المحضة، التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها.

والصحيح: أنه مشتق.

واختلف في مبدأ اشتقاقه: ف قيل: من أله يأله ألوهة وإلاهة وألوهية. بمعنى: عبد عبادة.

وقيل: من إله - بكسر اللام - يأله - بفتحها - ألها. إذا تحير.

والصحيح: الأول: فهو إله بمعنى مألوه أي: معبود، ولهذا قال ابن عباس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين.

وعلى القول بالاشتقاق؛ يكون وصفاً في الأصل، ولكن غلبت عليه العَلَمِيَّة،

فتجري عليه بقية الأسماء أخباراً وأوصافاً، يقال: الله رحمن رحيم سميع عليم، كما

يقال: الله الرحمن الرحيم... الخ. اهـ.

❁ **الثانية عشرة: أصل اشتقاق الاسم:**

قال الإمام القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (١/ ١٠١): اختلفوا في اشتقاق الاسم على

وجهين:

فقال البصريون: هو مشتق من السمو، وهو العلو والرفعة، ف قيل: اسم لأن صاحبه

بمنزلة المرتفع به.

وقيل: لأن الاسم يسمو بالمسمى، فيرفعه عن غيره.

وقيل: إنما سمي الاسم اسماً؛ لأنه علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف،

والفعل. والاسم أقوى منهما بالإجماع؛ لأنه الأصل، فلعلوه عليهما سُمِّيَ اسماً،

فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل اسم على هذا (وسم).

والأول أصح: لأنه يقال في التصغير سمي، وفي الجمع أسماء، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، فلا يقال: وسيم ولا أوسام.

ويدل على صحته - أيضاً - فائدة الخلاف، وهي أن من قال الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق، وبعد وجودهم وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته، وهذا قول أهل السنة.

ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة، وهذا قول المعتزلة، وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطأ من قولهم: إن كلامه مخلوق، تعالى الله عن ذلك!.. اهـ

قلت: والقول بأنه مشتق من السمو هو الصواب؛ لما تقدم من المرجحات، والله أعلم.

وقد رجحه البغوي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (١/٥٠)، وهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الواسطية" (ص ٨) حيث قال: واختلف في أصل اشتقاقه، فقليل: إنه من السمة بمعنى العلامة. وقيل: من السمو، وهو المختار، وهمزته همزة وصل. اهـ

❖ الثالثة عشرة: هل الاسم عين المسمى أم غيره؟

قبل الكلام على هذه المسألة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في "الفتاوى" (١٨٧/٦): ذكر أبو جعفر الطبري، في الجزء الذي سماه: "صريح السنة": أن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة، التي لا يعرف فيها قول لأحد



من الأئمة، وأن حسب الإنسان أن ينتهي إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. اهـ

قلت: ونحن نذكرها تكميلاً للفائدة، وتبييناً لطالب صواب القول فيها مع اختصار:
قال المحقق ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شفاء العليل" (ص ٥٤٢): فإن قيل فالاسم عندكم هو المسمى، أو غيره؟ قيل: طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى: فإذا قلت قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله ورأى وخلق؛ فهذا المراد به المسمى نفسه.
وإذا قلت الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمان من أسماء الله، والرحمان وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك؛ فالاسم ههنا للمسمى، ولا يقال غيره؛ لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى؛ فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد. اهـ
وقد نقله عنه ابن أبي العز **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الطحاوية" (١/ ١٢٢) مقراً له، والله أعلم.

✽ **الرابعة عشرة الصحيح في إعراب لفظ الجلالة من قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزِ**

الْحَمِيدِ ① **اللَّهُ** ② [إبراهيم: ١-٢]:

قال العلامة العثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "الشرح الممتع" (١/ ٩): لا نقول في إعراب لفظ الجلالة في قوله: ﴿الْعَزِيزِ **الْحَمِيدِ** ① **اللَّهُ** ②

لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة، بل نقول: هي عطف بيان؛ لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت، والله أعلم. اهـ

✽ الخامسة عشرة: معنى لفظ الجلالة (الله) :

الله قيل معناه: المألوه أي: المعبود محبة وتعظيماً.

قال ابن جرير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (١/ ١٢٥): وأما تأويل (الله)، فإنه على معنى ما رُوي لنا عن عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: هو الذي يألوه كل شيء ويعبده كل الخلق - وساق بسنده - عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. اهـ

وقال الإمام القرطبي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (١/ ١٠٢): (الله) اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه.

وقيل: معناه: الذي يستحق أن يعبد.

وقيل: معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال، والمعنى واحد. اهـ
وقال العلامة العثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "الشرح الممتع" (١/ ٩): (الله): علم على الباري **جَلَّ وَعَلَا**. اهـ

✽ السادسة عشرة: دليل من قال: أن أله بمعنى عبد وأن المألوه معناه المعبود:

قال أبو جعفر ابن جرير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (١/ ١٢٥): فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلاً في فعل ويفعل، وذكر بيت رؤبة بن العجاج:

الله در الغانيات أُمِّدَه
سبحن واسترجعن من تألهي

يعني: من تعبدي وطلبي الله بعملتي.

ولا شك أن التأله التفعّل، من أله يألوه، وأن معنى (أله) إذا نطق به: عبد الله.



وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفَعَلَ يفعل - بغير زيادة -، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع - وساق السند إلى ابن عباس -: أنه قرأ: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك، ويقول: إنه كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ. و- ساق بسند آخر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: قوله: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ قال: إنما كان فرعون يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ، وذكر مثله عن مجاهد. ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن (أله) - معناه - عبَد وأن الإلهة مصدره. اهـ.

❁ السابعة عشرة: من خصائص لفظ الجلالة - الله - أمور نذكر منها مايلي:

- ١- تحريم التسمي بلفظ الجلالة (الله).
 - ٢- أنه أكبر أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
 - ٣- أنه أجمع أسمائه جَلَّ وَعَلَا.
 - ٤- أنه الاسم الأعظم عند جماعة من أهل العلم.
 - ٥- لم يتسمَّى به غيره إلا جاهلاً، أو جاحداً.
 - ٦- لا يثنى.
 - ٧- لا يجمع.
 - ٨- أن جميع الأسماء تابعة له، والله أعلم.
- قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١/ ١٠٢): هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع، وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٥] أي: تسمَّى باسمه الذي هو (الله). اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في "الشرح الممتع" (ص ٩): ولفظ الجلالة (الله)، هو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء، قَالَ نَعَالِي: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿ [سورة إبراهيم: ١-٢]. اهـ

❖ الثامنة عشرة: بعض خصائص لفظ الجلالة - الله - المعنوية:

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ في "فتح المجيد" (ص ١١): قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها. ثم قال: وأما خصائصه المعنوية: فقد قال أعلم الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» رواه مسلم برقم (٤٨٦) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وكيف نُحْصِي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه؟

فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزله البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.



وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة.

وفيه: الموالاة والمعاداة، وبه سَعِدَ من عرفه وقام بحقه، وبه شَقِيَ من جهله وترك حقه؛ فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله. فما وُجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه ومنتها إليه، وذلك موجب ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَلِطَلًّا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩١] إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ

❖ التاسعة عشرة والعشرون: معنى اسمي: الرحمن والرحيم:

أما الرَّحْمَنُ فهو: المتصف بالرحمة الواسعة؛ لأن (فعلان) تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان، إذا امتلأ غضبًا.

وأما الرَّحِيمُ: فهو ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة. وقيل: الرحمن أخص لفظاً وأعم معنى، والرحيم أعم أسما وأخص لفظاً، والله أعلم^(١).



(١) انظر: مراجع المسألة الثامنة والتاسعة وغيرها.

☆ الحادية والعشرون: معني اسمي الرحمن والرحيم إذا قرن بينهما:

ذكر بعض أهل العلم: أنه إن جُمع الرحمن والرحيم؛ صار المراد بالرحمن: الموصوف بالرحمة الواسعة، والمراد بالرحيم: الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة العنكبوت: ٢١].

وقال العلامة الهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الواسطية" (ص ١١): اختلف في الجمع بينهما: فقليل: المراد بـ(الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا؛ لأن صيغة (فعالن) تدل على الامتلاء والكثرة. و(الرحيم) الذي يختص برحمته المؤمنين في الآخرة، وقيل: العكس.

وذهب ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أن (الرحمن) دال على الصفة القائمة بالذات، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم، ولهذا لم يجرئ اسم (الرحمن) متعديا في القرآن، كما أن الرحيم قد جاء متعديا، **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [سورة الأحزاب: ٤٣]، ولم يقل: رحمانا. اهـ

قلت: وهذا ترجيح جماعة منهم الهراس **رَحْمَةُ اللَّهِ**، والله أعلم.

☆ الثانية والعشرون: حكم التسمي بالرحمن أو بالرحيم:

أما اسم (الرحمن): فهو اسم مختص بالله **جَلَّ وَعَلَا**، لا يُطلق على غيره. وأما اسم (الرحيم) فيطلق على الله **جَلَّ وَعَلَا**، وعلى غيره، والله أعلم^(١).



(١) انظر لما تقدم مما لم يذكر مصدره: "بدائع الفوائد" (١/ ٢٤) و"شرح الواسطية" لهراس (ص ٧)، و"الشرح الممتع" (١/ ١٠).



باب فضل الإسلام

✧ قوله: (باب فضل الإسلام):

✧ **تعريف الإسلام بالمعنى العام والخاص والفرق بينهما:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الفتاوى" (٣/ ٩٤) - ما ملخصه -:
قد وردت أدلة في الكتاب والسنة، تدل على أن الإسلام كان يسمى به في الملل السابقة، وأن الإسلام عام وخاص فالإسلام بالمعنى العام، يراد به عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا دين الأنبياء عموماً، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ [سورة البقرة: ١٢٨].

وقال عن أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٣].

وقال عن موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٤].

وقال نوح عن سليمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٣١].

[سورة النمل: ٣١].

وقوله تعالى مخبراً عن ملكة سبأ: ﴿وَأَسَامَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٤﴾

[سورة النمل: ٤٤].

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: فهذا هو الإسلام بالمعنى العام، وأما الإسلام بالمعنى الخاص، فيُراد به الدين الذي بُعث الله به نبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وجعله خاتم الأديان، لا يقبل من أحدٍ سواه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٢]، فهذه الآية تفيد أن الله تعالى ارتضى لهذه الأمة دين الإسلام، فيفسر بالمعنى الخاص. اهـ

❖ هل الإسلام والإيمان شيء واحد أم بينهما تباين؟

في المسألة أقوال أقربها قولان:

الأول: قول محققي أهل العلم: وهو أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

قالوا: إذا أفرد الإسلام في آية أو حديث؛ شمل ذلك الإسلام والإيمان. وإذا ذكر الإيمان وحده، عني به الإسلام والإيمان، وسائر أمور الدين، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الإيمان بضع وستون شعبة».

وفي رواية: «بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذن عن الطريق».



ففسر أو مثل لشعب الإيمان الكثيرة، بأمرين، هما من الأعمال الظاهرة التي هي أعمال الإسلام: قول لا إله إلا الله، وإمطة الأذى عن الطريق، وهذا بالاتفاق من الإسلام. الثاني: قول البخاري وجماعة من أهل العلم، منهم محمد بن نصر وغيره: قالوا: الإسلام والإيمان شيء واحد، سواء اجتمعا أو تفرقا، وكل منها يدل على صاحبه. واستدلوا على ذلك بالأدلة التي فيها ذكر الإسلام، وعُني به الإيمان، أو ذكر الإيمان وعُني به الإسلام، وهي ليست دقيقة في محل النزاع.

واستدلوا - أيضاً على ذلك - بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٣٥-٣٦].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (١٨/٢): قال الخطابي: والصحيح من ذلك: أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً. وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف شيء منها.

وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلاً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر، والكلام حول هذه المسألة يطول خلاصته ما تقدم. اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "فقه العبادات" (ص ٦٤): إذا قلنا: إن الإسلام هو التبعّد لله بما شرع، شمل ذلك الاستسلام له ظاهراً وباطناً، فيشمل الدين كله عقيدة وعملاً وقولاً، أما إذا قرن الإسلام بالإيمان؛ فإن الإسلام يكون بمعنى

الأعمال الظاهرة، من نطق اللسان وعمل الجوارح، والإيمان الأعمال الباطنة، من العقيدة وأعمال القلوب.

ويدل على هذا التفريق قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَامْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

وقوله تعالى في قصة لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٣٥-٣٦].

فإنه فرَّق هنا بين المؤمنين والمسلمين؛ لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره، إذ إنه يشمل امرأة لوط التي خانتها وهي كافرة، وأما من أخرج منها ونجا؛ فإنهم المؤمنون حقاً، الذين دخل الإيمان في قلوبهم.

ويدل لذلك أي: للفرق بين الإيمان والإسلام عند اجتماعهما: حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن جبريل سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام والإيمان، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، وقال في الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».

فالحاصل: أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله، ويدخل فيه الإيمان، وأنه إذا قرن مع الإيمان فسر بالأعمال الظاهرة، من أقوال اللسان وأعمال الجوارح، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة، من اعتقادات القلوب وأعمالها. اهـ (١)



(١) راجع: «المفهم» (١/ ٥٧) و«الفتح» (١/ ١١٤) وشرح صالح آل الشيخ على «فضل الإسلام» (باب تفسير الإسلام).



قَالَ الصِّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

❁ **الكلام على قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية﴾**

❁ **بيان أن الإسلام أكبر نعمة:**

قال الإمام ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "تفسيره" (٢٦ / ٣): هذه أكبر نعم الله عَزَّجَلَّ عَلَى هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [سورة الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي.

فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قَالَ نَبِيُّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣] أي: فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي رضىه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: هو الإسلام، أخبر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين: أنه أكمل لهم الإيمان؛ فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله؛ فلا ينقصه أبدا، وقد رضىه الله؛ فلا يسخطه أبدا. اهـ

❖ متى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية﴾ [سورة المائدة: ٣]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ - عقب كلامه السابق - وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عَرَفَةَ، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمات.

قالت أسماء بنت عُمَيْس: حَجَّجْتُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تَجَلَّى له جبريل، فمال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت فأتيته فَسَجَّيْتُ عليه بُرْدًا كان عليّ. قال ابن جُرَيْج وغير واحد: مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً، رواهما ابن جرير - في "تفسيره" (٩/ ٥١٩) -.

ثم قال - ابن جرير في "تفسيره" (٩/ ٥١٩) وساق بسنده - عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يبكيك؟». قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ أكمل؛ فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: «صدقت» (١).

(١) لبعضه شواهد: قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الضعيفة" (١٢/ ٧٨٢): أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٦/ ٥٢) من طريقين عن هارون به، ورجاله ثقات غير هارون بن عنترة؛ فوثقه الجمهور، وقال الحافظ: لا بأس به. اهـ

وأبوه عنترة؛ قال الحافظ: ثقة من الثانية، وهم من زعم أن له صحبة. اهـ

قلت - أي: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ -: فعلة الحديث الإرسال، وفيه نكارة؛ لتفرده بهذا السياق دون سائر الأحاديث الصحيحة، وبعضها في "الصحيحين"، وأنكر ما فيه قوله: وذلك يوم =



ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، رواه مسلم (١٤٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقد رواه مسلم - أيضاً - (١٤٦)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
ولبيان معرفة سبب نزولها زيادة بيان يأتي ذكره بعد - إن شاء الله تعالى -.

❖ سبب نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ - عقب كلامه السابق - قال الإمام أحمد - في "المسند" (٢٨ / ١) وساق بسنده - عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين: إنكم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قال قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة، ورواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

ولفظ البخاري في "صحيحه" - برقم (٤٦٠٦) - عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري، عن قيس، عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت، وأين أنزلت، وأين

الحج الأكبر؛ فإن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر؛ كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (١٧٠٠)، وله شواهد. اهـ

رسول الله ﷺ حيث أنزلت: يوم عرفة، وأنا والله بعرفة. - قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وشك سفيان رَحِمَهُ اللهُ: إن كان في الرواية؛ فهو تَوَرُّعٌ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا؟، وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم الجمعة؛ فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري رَحِمَهُ اللهُ؛ فإن هذا أمر معلوم مقطوع به، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء. وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها، والله أعلم.

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ - في "تفسيره" (٥٢٥/٩) وساق بسنده - عن كعب قال: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه، فقال عمر: أي آية يا كعب؟، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ - في "تفسيره" (٥٢٥/٩) وساق بسنده - أن ابن عباس قرأ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم الجمعة.

وقال ابن مَرْدُويه - وساق بسنده -: عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، وهو قائم عَشِيَّةَ عرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.



وقال ابن جرير - في "تفسيره" (٥٣٠/٩) وساق بسنده - عن عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على المنبر ينتزع هذه الآية: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾** حتى ختمها، فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم الجمعة.

وروى ابن مَرْدُويه، من طريق محمد بن إسحاق، عن عمر بن موسى بن وجيه، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ قال: نزلت هذه الآية: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** يوم عرفة، ورسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** واقف على الموقف. اهـ

❁ ضعف ما جاء أنها نزلت يوم الاثنين:

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق -: فأما ما رواه ابن جرير - في "تفسيره" (٥٣٠/٩) - وابن مردويه، والطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حَنَش بن عبد الله الصنعاني، عن ابن عباس قال: ولد نبيكم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾**، ورفع الذكر يوم الاثنين؛ فإنه أثر غريب، وإسناده ضعيف.

وقد رواه الإمام أحمد - في "المسند" (٢٧٧/١) وساق بسنده - عن ابن عباس قال: ولد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين.

هذا لفظ أحمد، ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين، فالله أعلم، ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين، كما تقدم، فاشتبه على الراوي، والله أعلم^(١).

❖ **ضعف ما جاء أنها نزلت غريـيوم عرفة كيوم غدیر خم وغيره أو أنه لم يعلم يوم**

نزولها:

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ** - عقب كلامه السابق -: وقال ابن جرير - في "تفسيره" (٥٣٠/٩) -: وقد قيل: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس.

ثم روي من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** يقول: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس. قال - أي ابن جرير -: وقد قيل: إنها نزلت على رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مسيره إلى حجة الوداع، ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس.

قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري، أنها أنزلت على رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم غدیر خم حين قال لعلي: «من كنت مولاه؛ فعلي مولاه».

ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني: مرجعه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من حجة الوداع^(٢).

(١) ضعيف: قال الهيثمي **رَحِمَهُ اللهُ** في "المجمع" (١/١٩٦): فيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح. اهـ

(٢) ضعيف أيضًا: قال المحقق (ط - دار طيبة): وفي إسناد - حديث أبي سعيد - أبو هارون العبدى شيعي متروك، لكن تابعه عطية العوفي، رواه الطبراني في "الأوسط" (٣٧٣٧).
وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، رواه الطبراني في "الأوسط" (٣٧٣٨).

=



ثم قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم الجمعة، كما روى ذلك عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسَمُرَة بن جندب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وأرسله عامر الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشَهْر بن حَوْشَب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير الطبري **رَحِمَهُ اللَّهُ**. اهـ

❁ اليهود أهل ابتداع وكذا النصارى:

تقدم في حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** السابق أن يهوديًا قال له: آية في كتاب الله لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

وأما النصارى، فقال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "منهاج السنة النبوية": ليس في الصحاح، لكن هو مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته، فنقل عنه البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه. ونقل عن أحمد بن حنبل أنه حسنه كما حسنه الترمذي. اهـ

ثم قال المحقق: وقد جمع طرق هذا الحديث الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الصحيحة" (١٧٥٠). اهـ

فما يشاهد ويسمع من اختلاف في كتبهم، ودياناتهم ومعتقداتهم، كاف لمعرفة ما تقدم، فيجب على المسلمين عموماً آمراً ومأموراً المحافظة على نعمة الإسلام؛ لتدوم ويبقى كمالها.

ولذا ألفت نظر إخواني المسلمين إلى أن أعداء الإسلام يسعون جادين بكل ما يستطيعون من بدع وتميع وإفساد وإغراء وغير ذلك لقصد تضييع وتمزيق هذا الدين بطرق خفيه نادرة الظهور، والله أعلم.

✽ **بعض ما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية﴾ من الفوائد:**

الأولى: كمال هذا الدين وشموليته، فلا يحتاج إلى تنمة وابتداع، وهذا من أبرز خصائص هذا الدين وفضله على غيره.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص ٢١٩): قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره؛ فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

الثانية: بيان أن الأديان السابقة اعترأها النقص والتغيير والتبديل والنسخ بخلاف دين الإسلام، فما نسخ منه، فكما قال الله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]، والله أعلم.



الثالثة: دوام هذا الدين إلى قرب قيام الساعة، بخلاف الأديان السابقة؛ فلها أحوال منها ما يلي:

إما أن تنسخ وتُبدل بغيرها.

وإما أن يُزاد في تلك الشريعة من قبل علمائها أو يُنقص.

وإما أنه إن قُبض نبي خلفه نبي - عليهم الصلاة والسلام - فيحصل بعض التغيير.

ففي "البخاري" (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي».

بخلاف هذه الأمة ودينها، فليس لها إلا كتاب واحد ورسول واحد، حتى أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل آخر الزمان، فيكون إمام المسلمين من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحكم على شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى مسلم برقم (٢٤٧)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون، على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: «فينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة».

الرابعة: بيان أن نعمة الإسلام تتم وتكمل بشرائعه، وفرائضه، ومستحباته، ومضاعفة أجره، قال تعالى: ﴿وَأَتِمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [سورة المائدة: ٣].

❁ والنعمة قسمان: دينية ودنيوية ظاهرة وباطنة:

أما النعمة الدينية: فهي التي لا يعرفها إلا من عمل بها.

قال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٤٨٤٧)، والحاكم (٢٠٨)، وهو قطعة من قصة مطولة، ساقها العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الصحيحة" (٥١).

وأما الدنيوية: فيقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل: ٩٧].

والحياة الطيبة شاملة للراحة الدينية والدنيوية، وَلِرَعْدِ الْعِشِّ وَالْأَطْمِئْنَانِ، والله أعلم.

وقال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (ص ٢١٩): ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة. اهـ

الخامسة: رضا الله تعالى عن الإسلام وأهله، لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

قال العلامة السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (ص ٢١٩): قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم دينًا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرًا لربكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها. اهـ

السادسة: امتياز هذا الدين بثلاث خصال: وهي الدوام، والشمولية، والكمال.

السابعة: بيان أن المبتدع على قدر بدعته يكون هادمًا لكمال وتمام هذا الدين، والله أعلم.

الثامنة: أن المبتدع على قدر ابتداعه يكون منقصا لشمولية هذا الدين، والله أعلم.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ [سورة يونس: ١٠٤].

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ... الآية﴾

[سورة يونس: ١٠٤].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص ٣٧٥): يقول تعالى لنبى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ أي: في ريب واشتباه، فإنى لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على ذلك، الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، ولهذا قال: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة يونس: ١٠٤] من الأنداد، والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئاً من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها.

﴿وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ [سورة يونس: ١٠٤] أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم، ثم يبعثكم، ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلّى له ويخضع ويسجد. اهـ

❖ **بعض ما في قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ...﴾

الفوائد:

الأولى: أن ديننا ينفي وجود الشريك مع الله؛ لقوله: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝﴾ ... السورة
إلى آخرها [سورة الكافرون: ١-٦].

الثانية: أن هذا الدين ضامن لمن تمسك به، وعمل بما فيه، أن لا يشك أو يضل،
أو يزيغ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ [سورة يونس: ١٠٤].
فدين الإسلام لا شك فيه ولا ريب، ولا شقاوة ولا زيغ، بخلاف غيره، فإنه
بمفهوم الضد يعلم أن الأخذ به سبب للشك والريب، والزيغ والتهوك والشقاء.
ومن طلب الدليل قلت له: حياة الدول التي تدين بغير الإسلام أكبر دليل.
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، ألا يضل في
الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، رواه ابن أبي شيبة (٣٧١/١٣)، والحاكم (٣٨١/٢)،
وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الثالثة: أهمية الإخلاص لله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة: ٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ
مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [سورة الزمر: ١١-١٥].

الرابعة: كمال الله تعالى في ذاته، وأقواله وأفعاله، وأسمائه وصفاته، واختياراته
وغيرها، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٢٨﴾ [سورة الحديد: ٢٨].

❖ **الكلام على قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ... الآية﴾:
❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾:

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٢٥ / ٤): الكفلين: الضعفين. اهـ

قلت: وهذه فضيلة عظيمة تتضح أكثر بحديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** المذكور بعد
أسطر، والله أعلم.

❖ **من المقصود بقوله تعالى:** ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ؟:

ذكر ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٣٢ / ٨) عند هذه الآية عن جمع من السلف: أن
المراد بها مؤمني أهل الكتاب، واستدلوا بقوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى:** ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ءُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾
[سورة القصص: ٥٢-٥٤].

وبحديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، مرفوعاً، وفيه: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين:
رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، فله أجران»، رواه البخاري (٩٧)، ومسلم
(١٥٤). وهو اختيار ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وقال سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللهُ: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله في حق هذه الأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: ضعفين، وزادهم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هدى يُبَصِّرُ به من العمى والجهالة، ويغفر لكم فضلهم بالنور والمغفرة، رواه ابن جرير عنه.

وهذه الآية، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمرُ حَبْرًا من أحبار يهود: كم أفضل ما ضعفت لكم حسنة؟ قال: كفل ثلاثمائة وخمسون حسنة. قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين. ثم ذكر سعيد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك، رواه ابن جرير. ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ومما يؤيد هذا القول حديث ابن عمر - المذكور بعد سطر - اهـ.

قلت: وهو الراجح، والله أعلم.

❖ ما المراد بالنور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾؟

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (٢٣/٢١٢): اختلف أهل التأويل في الذي عني به النور في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به القرآن، فعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ قال: الفرقان واتباعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ قال: القرآن. وقال آخرون: عُنِيَ بالنور في هذا الموضع: الهدى، فعن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ قال: هدى.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكّره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورًا يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نور لمن آمن بهما وصدقهما، وهدى؛ لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى. اهد بتصرف وقال بعضهم: الآية شاملة لنور القرآن والرسالة، والعلم والهدى والصراط المستقيم، والله أعلم.

❦ بيان أن ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كله نور:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا

مُبِينًا ﴿ [سورة النساء: ١٧٤].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى

لِّلنَّاسِ ﴿ [سورة الأنعام: ٩١].

قلت: وهذه الآية وإن كانت في حق موسى، إلا أن كل ما جاء به الرسل نورًا وهدى، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن

مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [١٢٢]

[سورة الأنعام: ١٢٢].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

❖ **بعض ما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾**
[سورة الحديد: ٢٨] **من الفوائد:**

الأولى: أهمية تحقيق الإيمان والتقوى، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾.
وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، وغيرهما من الآيات.

الثانية: مضاعفة أجر هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [سورة الحديد: ٢٨].

الثالثة: ما يُعطاه العبد المؤمن المتقي من النور الديني والديني، الذي يستضيء به في الدنيا والآخرة من ظلمات الجهل والكفر، والبدع والشك والنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [سورة الحديد: ٢٨].

الرابعة: المغفرة للذنوب لمن حقق الشروط المتقدمة ومستلزماتها، وهي:
١- تحقيق الإيمان بالله، المتضمن لأركان الإيمان، وما يتعلق به من واجبات ومستحبات.

٢- تحقيق الإيمان بالرسول جملة وتفصيلاً المستلزم للإيمان بكل ما جاءوا به على ما أراد الله تعالى.



٣- تحقيق التقوى بشروطها وأركانها.

الخامسة: أن المسلم بإيمانه يحصل الخير الكثير بنور الإسلام والسنة.

السادسة: بيان سعة رحمة الله، وحض العباد على التعرض لذلك، والله المستعان

وهو أعلم.



قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي «الصحيحين» ^(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٢)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟، فَعَمِلْتُ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟، فَعَمِلْتُ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبْتُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟. قَالَ: هَلْ نَقَضْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟. قَالُوا: لَا. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ... الحديث»:**

❖ قوله: (وفي «الصحيحين»):

❖ **فائدة: في إطلاق اسم الصحيحين على البخاري ومسلم أو اسم الصحيح على أحدهما:**

أطلق على البخاري ومسلم اسم الصحيحين؛ لصحتهما، وكذا أطلق اسم الصحيح على أحدهما.

(١) انفرد به البخاري (٢٦٨) ولم يخرجه مسلم، كما في «تحفة الأشراف» (٤٦٢/٥)، و(٢٧٦/٦)، وجاء عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٢٢٧١)، ولم يخرجه مسلم - أيضًا - والله أعلم.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث ببسير، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادة، وكان من أشد الناس اتباعا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها ع. ١هـ من «التقريب» (ص ٣١٥).



و - أيضًا - لقباً بالصحيحين؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول، سوى أحرف يسيرة، انتقدها بعض الحفاظ، كالدار قطني وغيره، والبخاري أصح من مسلم على الصحيح، والله أعلم^(١).

✧ قوله: («ومثل أهل الكتابين»): أهل الكتابين هم اليهود بفرقهم، والنصارى بفرقهم.

وقد افترقت اليهود إلى إحدى وسبعون فرقة، وافترت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، ويأتي بسط ذلك في أبواب قادمة - إن شاء الله تعالى -، والله أعلم.

✧ هل أمر النصارى باتباع التوراة والإنجيل معاً أم أمروا باتباع الإنجيل فقط؟

قال الله تعالى مخبراً عن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٨] الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٥٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢/ ٤٤): التوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران.

والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحفظ هذا وهذا...

وقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: مقرر لهم ومثبت.

(١) انظر: «الباعث الحثيث» (ص ٤) وغيره.

﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة: على أن عيسى؛ نسخ

بعض شريعة التوراة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو الصحيح من القولين.

ومن العلماء من قال: لم يَنْسَخْ منها شيئاً، وإنما أَحَلَّ لهم بعض ما كانوا يتنازعون

فيه فأخطأوا، فكشف لهم عن المغطى في ذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يُبَيِّنُ

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ [سورة الزخرف: ٦٣]، والله أعلم. اهـ

قلت: ومما يتنازع فيه القولان - أيضاً - قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فِيهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٦-٤٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١٢٦/٣): يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي: أتبعنا

﴿عَلَىٰ آثَرِهِم﴾ يعني: أنبياء بني إسرائيل - صلوات الله وسلامه عليهم -، ﴿بِعِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: مؤمناً بها حاكماً بما فيها.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في

إزالة الشبهات وحل المشكلات.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: متبعاً لها، غير مخالف لما فيها، إلا في

القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن

المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة

آل عمران: ٥٠].



ولهذا كان المشهور من قولِي العلماء: أن الإنجيل نسخ بَعْض أحكام التوراة...
وقوله: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ قُرئ ﴿وَلِيَحْكُمُ﴾ - بالنصب
على أن اللام لام كي - أي: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور؛ ليحكم أهل ملته به في
زمانهم.

وقرئ: ﴿وَلِيَحْكُمُ﴾ - بالجزم واللام لام الأمر -، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه،
وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ، والأمر باتباعه
وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية [سورة المائدة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]. اهـ

قال أبو محمد السليماني - حفظه الله -: والقولان قويان، والأقرب هو ما روجه
ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ من أنهم أمروا بالإيمان بالإنجيل، وما لم ينسخ من التوراة مما بينه
لهم نبهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله أعلم.

❖ بعد بعثة نبينا محمد ﷺ هل أمر اليهود والنصارى باتباع نبينا وما جاء
به فقط أم أمروا باتباعه وباتباع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام وما جاءوا به جميعاً؟
في آيتي المائدة والأعراف المتقدمتان ما يؤكد أن النصراني وجب عليهم العمل
بما في الكتابين سوى ما نسخ من التوراة، وبعد نزول القرآن؛ أمروا أن يعملوا به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره" (٣/ ١٥٥): يقول تعالى: قل يا محمد: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: من الدين.

﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان بمبعثه، والافتداء بشريعته. ولهذا قال ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن العظيم. اهـ والخلاصة: هي أنهم ببعثة رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول القرآن عليه، وجب عليهم الاستسلام التام لما دلَّ عليه، كما فعل عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وغيرهما من مؤمني أهل الكتاب، الذين آمنوا بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان ما فعله هؤلاء هو السير على ما سار عليه الصحابة ومن بعدهم من المسلمين، ولهذا الموضوع تنمة، تأتي في (باب وجوب الاستغناء بالقرآن...) - إن شاء الله تعالى -، والله أعلم.

✧ قوله: («كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً»):

✧ تعريف الأجير:

قال في "المعجم الوسيط" (١/ ١٤): الأجير: من يعمل بأجر. اهـ وفي "تكملة المعاجم" (١/ ٨٥): الأجير: من يعمل بأجر يومي، أو من يعمل مياومة. اهـ

✧ من المراد بالرجل في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً»؟



قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "الفتح" (٤/٥٦٣): في السياق حذف تقديره: مثلكم مع نبيكم، ومثل أهل الكتابين مع أنبيائهم، كمثّل رجل استأجر. فالمثّل مضروب للأمة مع نبيهم، والممثّل به الأجراء مع من استأجرهم. اهـ

وقال بعض أهل العلم: الممثّل به هو الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، حيث هو الذي تعبّد عباده بالعبادات، وهو الذي يعطيهم الأجر، فعبر بقوله: «كَمَثَلِ رَجُلٍ»؛ لأن في القرآن تمثيل الحقوق بحق الله **جَلَّ وَعَلَا** وحق عباده، ونحو ذلك بالرجل ومن يعمل عنده، كقوله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾** [سورة النحل: ٧٦]، ونحوها من الآيات التي فيها هذا التمثيل.

فالتمثيل تمثيل حال بحال، تمثيل عمل بعمل بما يقرب الأمر إلى سامعه، والله أعلم^(١).

✧ قوله: («مِنْ غُدُوَّة»):

✧ تعريف الغدوة:

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "الفتح" (٤/٥٦٣): الغدوة: هي وقت صلاة الفجر. اهـ

(١) راجع: "عمدة القاري" (١٢/٨٨)، و"شرح فضل الإسلام" لصالح آل الشيخ عند هذه الفقرة.

قلت: ومعناه: من يعمل لي من صلاة الفجر إلى وسط النهار على أن أعطية قيراط، والله أعلم.

✧ قوله: («عَلَى قِيرَاطٍ»):

✧ تعريف القيراط والدانق:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (٤/٥٦٣): القيراط: نصف دانق. والدانق: سدس درهم. اهـ

✧ قوله: («قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءُ»):

قلت: هذا هو الشاهد من الحديث، فأهل الإسلام يعملون قليلاً ويؤجرون كثيراً، وقد وضع الله عنهم الأصرار وما لا طاقة لهم به، فنحمد الله على أن هدانا للإسلام والسنة، ونسأله الثبات عليهما حتى الممات، والله أعلم.

✧ هل يستفاد من الحديث تحديد المدة الزمنية المحدودة لبقاء هذه الأمة؟

أقول: قد يستفاد ذلك من ظاهر الحديث، وقد لا يستفاد؛ فقد يراد بالتمثيل: أن نفهم نسبة ما لنا من الأجر، مقابل أجر الأمم السابقة، لا كم عمرة تلك الأمم، وكم تعمّر هذه.

وهذا الأخير هو الأظهر، وهو ما يفهم من كلام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ، ويفهم - أيضاً - من رواية أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، التي تقدم ذكرها في تخريج الحديث، والله أعلم (١).

(١) وانظر: «الفتح» لابن حجر (٤/٤٤٦).



✽ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يعمل لي من غدوة إلى وسط النهار...

الحديث» من الفوائد:

الأولى: فضل الإسلام على غيره من الأديان، وأن المسلم الصادق يعطى من الأجر ما لا يحصل لأحد من أتباع الأنبياء غير النبي محمد - صلوات الله وسلامه عليهم - أجمعين، مع قلة العمل، وعظم الأجر؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَدَلِّكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»، والله أعلم.

✽ الجمع بين هذا الحديث وبين ما جاء من أن بعض أهل الكتاب يضاعف لهم الأجر؟

أقول وبالله ثقتي وتوفيقي: لا إشكال بين هذا الحديث، وبين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ لَدُنْهُمْ قَدْ حَقَّقُوا إِيمَانَهُمْ فَهُمُ الْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٢-٥٤] وأن المقصود بها من آمن بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الكتاب. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: - ومنهم - رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، فله أجران»، رواه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعند النظر تجد: أن ما حصل لهم من مضاعفة للأجر، إنما هو بسبب إيمانهم بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن من لم يؤمن به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو آمن برسوله، يكون كافرًا بإجماع المسلمين، وقد تواترت أدلة الكتاب والسنة على ذلك، والله أعلم.

الثانية: خيرية هذه الأمة أولها وآخرها على غيرها من الأمم، قال الله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٩٤/٢) - بعد أن ساق الخلاف -: والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قَرْن بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعثَ فيهم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] أي: خيارًا.

وروى أحمد (٤/٤٤٧)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧)، عن معاوية بن حَيْدَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَنْتُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وهو حديث مشهور، حَسَنه الترمذي، ويروى من حديث معاذ بن جبل، وأبي سعيد نحوه (١).

❁ بعض الأسباب التي حصلت بها هذه الأمة على مضاعفة الأجر:

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق -: وإنما حازت هذه الأمة قَصَبَ السَّبْقِ إلى الخيرات بنبيها محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإنه أشرفُ خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعطه نبيًّا قبله ولا رسولا من الرسل،

(١) صحيح: راجع: "صحيح الترمذي" برقم (٣٠٠١)، و"الصحيح المسند" (١١١٣).



فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه... الخ. اهـ

قلت: وقد يقال - أيضًا - أن من أسباب تعظيم أجر عاملي هذه الأمة، هو قصر أعمارها، والله أعلم.

❁ **هل يفهم من هذا الحديث أن صالحى هذه الأمة خير من صالحى غيرها من الأمم جملةً وتفصيلاً؟**

أقول وبالله التوفيق: هذا محتمل، وذلك لما تواتر واشتهر من أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير رجل بعد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من غيرهم من صحابة الأنبياء الآخرين.

وقد يحمل - أيضًا - على أن ذلك يراد به الإجمال لا التفصيل، كما يقال: العرب أفضل من العجم جملةً، أما تفصيلاً، فربما كان الأعجمي المسلم يساوي ألف عربي مسلم، والله أعلم.

الثالثة: جواز التفضيل بين العمال، بشرط أن لا يُنقص حق أحد، ولو مثقال ذرة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يعمل لي من بعد العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين».

وجه الدلالة: هو أن الذين عملوا من غدوة إلى وسط النهار، أعطوا من الأجرة ما اتفق عليه، ورضوا به، وهم أهل له، وهو ما يستحقونه مقابل عملهم، ومثلهم من عمل من وسط النهار إلى العصر، بخلاف الذين عملوا من بعد العصر إلى المغرب

وأعطوا ضعفي الأجرة، فذلك لما يستحقونه، ولما تفضل به عليهم من استعملهم،
والله أعلم، وأحكم، وهو اللطيف الخبير، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

الرابعة: جواز إعطاء العامل زيادة على أجرته؛ لقوله: «ذلك فضلي أوتي من
أشاء».

الخامسة: جواز ضرب الأمثال في أمور الدين، وهذا كثير في الكتاب والسنة.

السادسة: كمال عدل الله، فيمن أطاعه أو عصاه، ومضاعفة الأجر لمن شاء.

السابعة: قال ابن المنذر **رَحِمَهُ اللَّهُ**: في حديث ابن عمر ذكر الإجارة الصحيحة
بالأجر المعلوم إلى الوقت المعلوم. اهـ (١)

الثامنة: فضيلة الفجر والعصر، وفي القرآن والسنة ما يدل على ذلك، والله أعلم.



(١) من «شرح ابن بطال على صحيح البخاري» (٦/٣٩٣).



قَالَ الصِّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وفيه - أيضًا (١) -: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا: فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبِعُوا لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

❖ قوله: ((أَضَلَّ اللَّهُ)):

❁ تعريف الضلال:

قال ابن منظور رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "لسان العرب" (٨ / ٧٨): الضلال: عكس الهداية. اهـ
وقال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "شرح مسلم" (٢٠ / ٥): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ...»: فِيهِ دَلَالَةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ: الْهَدْيُ وَالْإِضْلَالُ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ فَعْلُهُ؛ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ. اهـ



- (١) أي: وفي "صحيح مسلم"؛ فقد أخرجه في "صحيحه" برقم (٢٠١٨) بهذا اللفظ.
وجاء عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند "مسلم" - أيضًا - برقم (٢٠١٩).
وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، عند "البخاري" برقم (٨٣٦)، و"مسلم" (٨٥٥).
(٢) هو أبو هريرة الدوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه قيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائد ... هذا الذي وقفنا عليه من الاختلاف في ذلك، ونقطع بأن عبد شمس وعبدنهم غَيْرُ بعد أن أسلم. واختلف في أيها أرجح؛ فذهب كثيرون: إلى الأول، وذهب جمع من النسايبين: إلى عمرو بن عامر.
مات سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ع. اهـ
من "التقريب" (ص ٦٨٠).

✧ قوله: ((فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ)): روى البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً، والنصارى بعد غدٍ».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٢٠/٥): قوله: «اليهود غداً»: أي: عيد اليهود غداً؛ لأن ظروف الزمان لا تكون إخباراً عن الجثث؛ فيقدر فيه معنى يمكن تقديره خبراً. اهـ

✧ قوله: ((فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ)): قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٢٠/٥): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهذا يومهم...»: قال القاضي: الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين، ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف اجتهادهم في تعيينه، ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الأمة مبيناً، ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله.

قال: وقد جاء أن موسى أمرهم بالجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل، فقل له: دعهم.

قال القاضي: ولو كان منصوباً لم يصح اختلافهم فيه، بل كان يقول خالفوا فيه. قلت - أي: النووي رَحِمَهُ اللَّهُ -: ويمكن أن يكون أمروا به صريحاً ونص على عينه، فاختلفوا فيه، هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله، وأبدلوه وغلطوا في إبداله. اهـ



✧ قوله: («هُمْ تَبِعَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»): جاء عند «مسلم» في رواية (٢٠١٩): «الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُقْضِي لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ». وفي رواية واصل: «الْمُقْضِي بَيْنَهُمْ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٢٠/٥) قوله: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة»: قال العلماء: معناه الآخرون في الزمان والوجود. السابقون بالفضل ودخول الجنة، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم. اهـ

قال أبو محمد - سده الله -: ويستفاد من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نحن الآخرون»: أننا آخر الأمم بعثة ورسالة، وموتاً، والله أعلم.

ويستفاد - أيضاً - من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نحن السابقون»: أننا سابقون بالحساب، وبلاستراحة من الموقف، وبالعبر على الصراط إن شاء الله تعالى، وهو أعلم.

✧ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أضل الله الجمعة عن كان قبلنا... الحديث»

من الفوائد:

الأولى: فضيلة هذه الأمة على غيرها من الأمم، للأدلة الواردة في ذلك، قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٣٥٦/٢): فيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة زادها الله تعالى. اهـ

الثانية: فضل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع اتفاقاً؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور بعد أسطر.

الثالثة: توفيق الله تعالى هذه الأمة ليوم الجمعة، وهذا من فضله وكرمه على الإسلام والمسلمين.

❁ ما أول أيام الأسبوع شرعاً؟

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "الفتح" (٣٥٦/٢): الجمعة أول الأسبوع شرعاً، ويدل على ذلك تسمية الأسبوع كله جمعة، وكانوا يسمون الأسبوع سبتاً - كما سيأتي في الاستسقاء في حديث أنس -؛ وذلك أنهم كانوا مجاورين لليهود، فتبعوهم في ذلك. اهـ.

❁ تتمة في ذكر أيهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة؟

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "الزاد" (٥٤/١): فإن قيل أيهما أفضل: يوم الجمعة أو يوم عرفة؟، فقد روى ابن حبان، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة». وفيه - أي في فضل يوم الجمعة -: حديث أوس بن أوس: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة»؟.

قيل: قد ذهب بعض العلماء إلى تفضيل يوم الجمعة على يوم عرفة محتجاً بهذا الحديث.

وحكى القاضي أبو يعلى رواية عن أحمد: أن ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر. والصواب: أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وكذلك ليلة القدر، وليلة الجمعة. اهـ.

قال أبو محمد - رعاه الله -: وهذا ترجيح جمع من المتأخرين، وهو الأقرب، والله أعلم.



قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه (١): تعليقًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيَّ اللَّهُ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»:**

❖ قوله: (وفيه تعليقًا):

❖ **تعريف الحديث المعلق:**

قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ في "المنهل الروي" (ص: ٤٩): المعلق: هو ما حذف من مبتدأ إسناده واحدًا فأكثر، كقول الشافعي: قال نافع، أو قال ابن عمر، أو قال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) أي: وفي "الصحيح" تعليقًا، والمراد به "صحيح البخاري"، فقد علقه في (كتاب الإيمان) من "صحيحه" قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب أن الدين يسر، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الدين...»، وقد وصله في "الأدب المفرد" برقم (٣٨٧)، ورواه أحمد (٢١٠٨) وغيره، كلهم من طريق يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواية داود بن الحصين، عن عكرمة، قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: كما في "الميزان" (٥/٢) إنها مناكير. اهـ

وفيه - أيضا -: عن عنة ابن إسحاق، إلا أن للحديث شواهد منها:

عن أبي قلابة مرسلاً، عند ابن سعد في "الطبقات" (٢/٢٨٧)، وهو ثابت إليه. وجاء عن مروان بن الحكم مرسلاً، رواه الإمام أحمد في "الزهد" (ص ١) و(ص ٢٢٩) و(ص ٢٣٠)، وهو ثابت إليه - أيضًا -، وذكر له العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "تمام المنة" (ص ٤٤) شواهد أخرى، بمجموعها يكون حسنًا لغيره، وقد حسنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١/١٢٧)، وهو في "الصحيحة" (٨٨١)، والله أعلم.

وكانه مأخوذ من تعليق الجدار، أو الطلاق؛ لاشتراكهما في قطع الاتصال.
ولم يستعملوه فيما سقط وسط إسناده أو آخره؛ لتسميتهما بالمنقطع والمرسل،
ولا في غير صيغة الجزم مثل: يُروى عن فلان، ويُذكر عنه، وشبه ذلك.
أورده البخاري كثيراً في "صحيحه"، كما تقدم وليس بخارج من قبيل الصحيح،
وإن كان على صورة المنقطع، فقد يفعل البخاري ذلك؛ لكون الحديث معروفاً من
جهة الثقات عمن علقه عنه، أو لكونه ذكره متصلاً في موضع آخر من كتابه، أو لسبب
آخر لا يصحبه خلل الانقطاع، وهذا فيما يورده أصلاً أو مقصوداً لا في معرض
الاستشهاد؛ لأن الشواهد يحتمل فيها ما ليس من شرط الصحيح معلقاً كان الشاهد
أو موصولاً.

وقد خُطئ ابن حزم في رده حديث أبي مالك الأشعري، في المعازف؛ لقول
البخاري فيه: قال هشام بن عمار، وساق السند، وزعمه أنه منقطع بين البخاري
وهشام؛ فإن الحديث معروف بالاتصال بشرط الصحيح. اهـ
✧ قوله: («أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»):

✧ تعريف الدين وسبب تسميته بذلك:

الدين هو كل ما يدين به الناس، ويجعلونه إلماً لهم وديناً لهم.
وهو مأخوذ من الديدن، يقال: هذا ديدنه يعني هذا ما اعتاده والتزمه، ومنه: دِنْتُهُ
يعني التزمته.

وسُمي بذلك: لأنه ملتزم به، والدين كذلك هو الطريقة الملتزمة، فإذا اعتقد شيئاً
ولتزمه صار له ديناً، وإذا عمل بشيء وسلكه صار له ديناً، حتى تصير الأنظمة التي



تلتزم في اللغة تسمى ديناً، كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا** في قصة يوسف ﴿مَا كَانَ لِأَخِي أَنْ يَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف: ٧٦]، سمي طريقة الملك في الأحكام في مسألة السرقة وأن الذي سرق يؤخذ أسيراً أو رقيقاً عقاباً له على سرقة، سماه الله **جَلَّ وَعَلَا** ديناً؛ لأنه التزام لحكم في كل حال.

لهذا صار الدين دين الملك في قصة يوسف هو ما التزمه الملك في رعيته حين ذاك من الشرائع.

وإذا كانت الشريعة مخالفة لشريعة الإسلام يصح أن يقال لغة: إن هذا دين كذا؛ لأنه يدان به ويلتزم به عندهم، وإن كان مردوداً^(١). اهـ

✽ مراتب دين الإسلام الثلاث والفرق بينها:

الدليل على أن مراتب الدين ثلاث، قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** المشهور: «جاء يعلمكم دينكم»، فمن هذه الفقرة، سمي العلماء: الإسلام، والإيمان، والإحسان مراتب الدين الثلاث، والله أعلم.

✽ تعريف المرتبة والركن:

قال الإمام النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «شرح مسلم» (١/ ١٢٩): المرتبة: هي المنزلة. والأركان: جمع ركن وهو جانب الشيء الأقوى، الذي يقوم عليه، ولا يتم إلا به. اهـ فالمرتبة الأولى الإسلام: وهو خمسة أركان، من جحداً ركناً منها من غير جهلٍ أو عذرٍ شرعيٍّ كفر، بإجماع المسلمين، والله أعلم^(٢).



(١) بتصرف من «شرح» صالح آل الشيخ عند هذه الفقرة.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب شرح الحديث الثالث، وبه يقول العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

والمرتبة الثانية الإيمان: وأركانه ستة، من ترك شيئاً منها من غير جهلٍ أو عذرٍ شرعيٍّ كفر، بإجماع المسلمين - أيضاً -، والله أعلم^(١).

والمرتبة الثالثة الإحسان: وهو ركن واحد، ومنهم من جعله ركنان، والأول أقرب، وحكم منكره، كحكم سابقه، والله أعلم. والإحسان أعلى المراتب وأفضلها، وبعده الإيمان، وبعدهما الإحسان، كما هو مرتب في الحديث.

وبدئ جبريل عَلَيْهِ السَّلَام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسؤال عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، قد يستفاد منه: أن الإيمان أتم من الإسلام، والإحسان أتم من الإيمان، والإنسان أول ما يدخل في مرتبة الإسلام، فإن وفى لكل ركن من أركان الإسلام حقه، ومستحقه، ارتفع إلى مرتبة الإيمان، فإن وفى لكل ركن من أركان الإيمان ما يستلزمه، ارتفع وارتقى إلى المرتبة العليا، وهي الإحسان، فكل محسن مؤمن ولا عكس، وكل مؤمن مسلم ولا عكس، وعلى هذا إجماع أئمة المسلمين، سابقهم ولا حقهم، والله أعلم^(٢).

❖ تنبيه متعلق بقول العلماء: كل مؤمن مسلم ولا عكس وكل محسن مؤمن ولا عكس:

مما لا شك فيه: أنه لا يصح أن نثبت الإسلام لأحدٍ من الناس، وهو لم يؤمن بأركان الإيمان أو ركن الإحسان، ومثله: الإيمان، فكيف نقول: كل مؤمن مسلم ولا عكس، وكل محسن مؤمن ولا عكس؟



(١) انظر: "جامع العلوم والحكم"، و"رسالة أهل الثغور" الإجماع السادس والثلاثون (ص ٢٧٤).

(٢) راجع: "كتاب الإيمان" لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٦).



والجواب: هو أنه يصح أن نطلق على المسلم المراتب الثلاث وذلك بأن نقول: مسلم، ومؤمن، ومحسن، ولكن نقيّد ذلك بقولنا: مسلم ضعيف الإسلام، ومؤمن ضعيف الإيمان، ومحسن ضعيف الإحسان، ومتى كمل إسلامه كان مؤمناً، ومتى كمل إيمانه كان محسناً.

فالمنفي عنه في قولنا: ليس كل مسلم مؤمن، وليس كل مؤمن محسن يتضح بقولنا: ليس كل مسلمٍ ضعيف الإسلام مؤمن كامل الإيمان، لا أنه ليس بمؤمن، فإنه إذا لم يؤمن بركنٍ من أركان الإيمان، وهو يؤدي أركان الإسلام لا يعتبر مسلماً. ومثله قولنا: ليس كل مؤمن ضعيف الإيمان محسن كامل الإحسان، والله أعلم. ✧ وقوله: ((الحنيفية السمحة)):

✧ تعريف الحنيفية السمحة:

قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (١/ ٩٤): الحنيف لغةً: ما كان على ملة إبراهيم.

والسمح: هو السهل. اهـ

✧ **بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» من**

الفوائد:

الأولى: سماحة هذا الدين ويسره، وقد ثبت ذلك بالتواتر، من القرآن والسنة.

الثانية: صفة المحبة لله تعالى، وأن الله يحب ويبغض، ولنا مبحث بعنوان (أسباب محبة الله للعبد مع ذكر بعض الفوائد) نسأل من الله العون على إتمامه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الثالثة: أن هذا الدين الحنيف هو ملة خليل الله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ [سورة البقرة: ١٣٥].

الرابعة: فضيلة دين الإسلام، وكماله على غيره من الأديان.

الخامسة: فضل المسلم المتمسك بهذا الدين القويم، وبتعاليمه النبوية الرفيعة.

السادسة: أهمية التوحيد والدعوة إليه؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحنيفية»، وأنه دين جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ٢﴾ [سورة النحل: ٢].

وقال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، والله أعلم.



قَالَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ^(١) قال: عليكم بالسبيل والسنة: فإنه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمنَ ففاضت عيناهُ من خشية الله؛ فتمسه النار. وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمن، فاقشعر جلده من خشية الله؛ إلا كان مثله مثل شجرةٍ ييس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح؛ فتحات عنها ورقها؛ إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة؛ خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة ^(٢).

❖ **الكلام على قول أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عليكم بالسبيل والسنة... الخ):**

❖ قوله: (بالسبيل والسنة):

^(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل — أيضا — من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافا كثيرا قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: غير ذلك ع. اهـ من "التقريب" (ص ٩٦).

^(٢) حسن: أخرجه أبو داود في "الزهد" برقم (١٩٩)، والبخاري في "شرح السنة" (١/ ٢٠٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٥٢)، ورجاله ثقات، إلا الربيع بن أنس؛ فحسن الحديث، فالأثر حسن، والله أعلم.

تنبيه: وقع في "الزهد" لأبي داود، ونقله المعلق على "الزهد" لابن المبارك، و"مصنف ابن أبي شيبة": أن الراوي عن أبي بن كعب هو أبو داود، ووقع في "الحلية"، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال المعلق على "الزهد" لأبي داود: في المصادر المتوفرة لدينا من كتب التراجم: أن الربيع لا يروي إلا عن أبي العالية، فثبت أن في سند أبي داود، وابن المبارك، وابن أبي شيبة تحريف أبي العالية إلى أبي داود، والله أعلم. اهـ

✽ تعريف السبيل والسنة:

قال في "النهاية" (ص ٤١٦): السبيل: هو الطريق للتقرب بالطاعات، وهي كلمة تذكر وتؤنث. اهـ

والسنة: قال في "النهاية" - أيضًا - (ص ٤٤٩): هي ما أمر به النبي ﷺ، أو نهى عنه، أو ندب إليه قولاً أو فعلاً، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة. اهـ

✧ قوله: (فإنه ليس من أحد): أي: فإنه ما من عبد، والله أعلم.

✧ قوله: (فتمسه النار): أي: لن تمسه النار إكراماً له من الله، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند "البخاري" برقم (٦٢٩)، و"مسلم" (١٠٣١) - في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله -: قال رسول الله ﷺ: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

✧ قوله: (اقشعر جلده): قال في "مختار الصحاح": اقشعرَّ جلده اقشعُرا فهو مُقشَعِرٌّ والجمع قَشَاعِرٌّ وأخذته قُشْعِرَةٌ. اهـ

✧ قوله: (أصابتها الريح): أي: هزتها الريح، والله أعلم.

✧ قوله: (فتحات عنها ورقها): قال في "المصباح" (١/ ١٢٠): وتَحَاتَّتِ الشجرة تساقط ورقها. اهـ

✽ بعض ما في قول أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عليكم بالسبيل والسنة... الخ) من الفوائد:

الأولى: أهمية البكاء من خشية الله، وأنه من أسباب النجاة من النار، والله أعلم.

الثانية: الاهتمام بالسنة والمحافظة عليها.



الثالثة: بيان أن ما وافق السنة وإن قلَّ خير من كثير خالفها، قَالَ نَعَالِي: ﴿لِيَبْلُوكُمْ

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تفسيره" (٤/ ٣٠٨): قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولم يقل: أكثر عملاً، بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون

العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله لأعلى شريعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمتى

فقد العمل واحداً من هذين الشرطين بطل وحبط. اهـ

وَقَالَ نَعَالِي: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧)

[سورة الكهف: ٧].

وقال تعالى وتقدس: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) [سورة الكهف: ٣٠].

وقال: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢) [سورة الملك: ٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تفسيره" (٨/ ١٧٦): أي: خير عملاً، كما قال محمد بن

عجلان: ولم يقل أكثر عملاً. اهـ

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قال: أخلصه وأصوبه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يَقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ

صَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يَقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ، ذَكَرَهُ

البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تفسيره" (٥/ ١٢٤-١٢٥)، وهو مشهور عنه.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي "جامع العلوم" في شرح حديث رقم (١) - بعد أن ساق كلام الفضيل -: وقد دَلَّ عَلَى هذا الذي قاله الفضيل: قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

وسئل أبو بكر ابن عياش، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

وسئل الحسن البصري: لم كان الصحابة أفضل مع أَنَّ مِنَ التَّابِعِينَ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِبَادَةً؟، فقال: أولئك تعبدوا والآخرة في قلوبهم، وهؤلاء تعبدوا والدنيا في قلوبهم. اهـ

قلت: أما في زماننا؛ فقد ابتلانا الله بحب الكثرة والاعتثار بها، وعدم النظر في موقعها من الكتاب والسنة، ولذا نعمل كثيراً ونؤجر قليلاً، أو قد لا نؤجر، والله المستعان، وهو أعلم، نسأله العفو في الدنيا والآخرة.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ^(١)، قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون ^(٢) سهر الحمقى، وصومهم، ولمثقال ذرة من برٍّ مع تقوى وبقين؛ أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين ^(٣).

❖ **الكلام على قول أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم... الخ):**

❖ قوله: (الأكياس):

❖ **تعريف الكيس:**

قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "النهاية" (ص ٢٨٠): هم أصحاب العقل والفقہ والفطنة. اهـ

❖ قوله: (يغبنون):

❖ **تعريف الغبن:**

قال في "المخصص" (٢٢٣/٨): **الْغَبْنُ**: ضَعْفُ الرَّأْيِ، وَقَدْ غَبِنَ رَأْيُهُ وَرَأْيُهُ غَبْنًا وَغَبَانَةً. اهـ

(١) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو الدرداء وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل اسمه

عامر وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أحد، وكان عابدا مات في أواخر خلافة

عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك ع. ١٠٠هـ من "التقريب" (ص ٤٣٤).

(٢) وقع في "الزهد" لأحمد وغيره (يغبنون)، ووقع عند أبي نعيم في "الحلية" وغيره

(يعيون)، والأول أصوب وأنسب للمعنى، والله أعلم.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد في "الزهد" (ص ١٧١)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢١١/١) من طريق

يزيد، أنبأنا أبو سعيد الكندي، عن أخبره، عن أبي الدرداء، فالأثر ضعيف؛ لجهالة

الراوي عن أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والله أعلم.

وفي "التعريفات" (ص ٢٠٧): الغبن الفاحش: هو ما لا يدخل تحت تقويم المقومين، وقيل: ما لا يتغابن الناس فيه. اهـ

✧ قوله: (الحمق):

✧ تعريف الحمق:

قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "النهاية" (ص ٢٣٣): الحمق: هو وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه. اهـ

✧ قوله: (والمثقال ذرة):

✧ ما المراد بمثقال الذرة المذكور في القرآن والسنة؟

قال الإمام القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٥ / ١٩٥): والذرة: النملة الحمراء، عن ابن عباس وغيره، وهي أصغر النمل.

وعنه - أيضًا -: رأس النملة.

وقال يزيد بن هارون: زعموا أن الذرة ليس لها وزن.

✧ قصة لطيفة في مثقال الذرة:

قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق -: ويحكى أن رجلاً وضع خبزاً حتى علاه الذر مقدار ما يستره، ثم وزنه فلم يزد على وزن الخبز شيئاً.

قلت - أي: القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** -: والقرآن والسنة يدلان على أن للذرة وزناً، كما أن للدينار ونصفه وزناً، والله أعلم.

وقيل: الذرة الخردلة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [سورة الانبياء: ٤٧]. وقيل: غير هذا.



وهي في الجملة: عبارة عن أقل الأشياء وأصغرها. اهـ

✧ قوله: (عبادة المغترين):

✧ تعريف الاغترار:

قال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "النهاية" (ص ٦٦٦): الاغترار صفة للبله الذين لم يجربوا الأمور. اهـ

✧ تلخيص لما يتعلق بباب فضل الإسلام من كلام العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

قال العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** - معلقاً على الباب السابق بتمامه -: والمقصود من هذا: أن الله تعالى جعل الإسلام هو أفضل الأديان.

وهو دين الله الذي به السعادة والنجاة.

وأن العبد إذا استقام عليه وتمسك به له الجنة والكرامة.

وأن اجتهادات العبد في صلاة وصوم أو غير ذلك على غير السنة؛ لا تنفعه،

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [سورة المائدة: ٣].

و﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

فالواجب على جميع المكلفين التمسك بالإسلام والاجتهاد في طاعة الله تعالى.

هذا هو طريق النجاة، وهذا هو طريق السعادة.

فالاعتقاد في الإسلام والسير عليه بالقليل خير من الاجتهاد الكثير على غير

إسلام وسنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ



باب وجوب الدخول في الإسلام^(١)

قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

❖ **الكلام على قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا... الآية﴾:

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا... الآية﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢/ ٦٩): قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣] إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣-٨٥]:

يقول تعالى منكرًا على من أراد دينًا سوى دين الله، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له، الذي، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: استسلم له من فيهما طوعًا وكرهًا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا هُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [سورة الرعد: ١٥].

(١) في بعض النسخ: (باب وجوب الإسلام).



وَقَالَ نَسَالِي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِحُوا ظِلِّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [سورة النحل: ٤٨-٥٠].

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع.

وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية، على معنى آخر فيه غرابة، فقال الطبراني - في "الكبير" (١١/١٩٤) - وساق بسنده - عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾. أمّا من في السماوات؛ فالملائكة، وأمّا من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأمّا كرها فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة، وهم كارهون»^(١).

وقد ورد في "البخاري" (٢٨٤٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ». وسيأتي له شاهد من وجه آخر، ولكن المعنى الأول للآية أقوى.

وقال وكيع في "تفسيره": حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾. قال: هو كقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ٢٥].



(١) ضعيف: قال محقق — (ط — دار طيبة) —: سَقَطَ ابن عباس، فالإسناد: عن عطاء عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجمع الزوائد" (٦/٣٢٦): فيه محمد بن محسن العكاشي، متروك. اهـ.

وقال - أيضًا -: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: حين أخذ الميثاق. ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٨٣) أي: يوم المَعَاد، فيجازي كلا بعمله.... ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ أي: من سلك طريقًا سوى ما شَرَعَهُ الله فلن يُقْبَلَ منه.

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، ثم ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تجيء الأعمال...» يأتي بعد - إن شاء الله - اهـ.

❁ حقيقة خسارتي الدنيا والآخرة لمن لم يدخل في دين الإسلام:

أما خسارة الدنيا: فهي ظاهرة في من لم يتمسك بهذا الدين القويم، وعاش عيشة البهائم.

فالكافر وإن أكل أو شرب أو تناول غيرهما من ملذات الدنيا؛ فهو شريك البهائم، تمعن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢) [سورة محمد: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤) [سورة الفرقان: ٤٤].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥)

[سورة الأنفال: ٥٥].



وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة

الأنفال: ٢٢-٢٣].

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

وقال جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البينة: ٦].

وفي "ديوان أحمد سحنون" (١/ ١٦٣):

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

وأما الخسارة الأخروية: فذلك بأن تارك الإسلام لا خلاق له في الآخرة أي:

لا نصيب له، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٣-٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا

لَقَدْ أَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿١١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿١٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

مَّنْثُورًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٢١-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا

جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة

النور: ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الشورى: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٨-١٩]، والله أعلم.

❖ **بعض ما في قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[سورة آل عمران: ٨٥] **من الفوائد:**

الأولى: فضيلة دين الإسلام على غيره من الأديان.

الثانية: وجوب اتباع دين الإسلام، وأن غيره مردود، وذلك ظاهر بين من الآية.

الثالثة: أن ترك الإسلام خسارة في الدنيا والآخرة، كما تقدم إيضاحه بالأدلة قبل.

الرابعة: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»، رواه مسلم برقم (٢٢٣)، عن أبي مالك الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



قَالَ الصِّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾:

قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (٢/ ٢٥): قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فمن لقي الله بعد بعثته محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. اهـ

وقال العلامة السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "تفسيره" (ص ١٢٤): لما قرر تعالى أنه الإله الحق المعبود، بين العباداة والدين الذي يتعين أن يُعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه.

وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء، ومتابعة رسوله في ذلك.

وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم.

وإنما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغياً بينهم، وظلماً وعدواناً من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فلهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]، فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصاً من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للوعيد الشديد والعقاب الأليم.



قَالَ الصِّفُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

[سورة الأنعام: ١٥٣].

❖ **الكلام على قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا... الآية﴾:

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا... الآية﴾:

قال العلامة السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "تفسيره" (ص ٢٨٠): قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: لتألوا الفوز والفلاح، وتدرخوا الآمال والأفراح.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق.

قوله: ﴿تَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي: تضللكم عنه وتفرقكم يميناً وشمالاً، فإذا ضللتكم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾: فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علماً وعملاً صرتم من المتقين، وعباد الله المفلحين.

❖ **السرفي توحيد الصراط الموصل إلى الله وتفريق السبل التي توصل إلى غيره:**

ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ: ووحد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه. اهـ

قلت: وعدد السبل؛ لأن مما لا شك فيه: أن البدع والآراء والمحدثات والضلالات تختلف من شخص لآخر، ومن بلد لآخر ومن دولة لأخرى بخلاف الصراط المستقيم فإنه واحد، والله أعلم.

✽ تعريف الصراط وحقيقته :

قال العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "البدائع" (٢/٢٧٦): ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته. وحقيقته: شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعبادة الله، وهو أفراده بالعبادة، وإفراد رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحداً في عبادته ولا يشرك برسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أحداً في طاعته؛ فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**... اهـ

✽ هذه الآية أحد وصايا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** :

قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ [الأنعام: ١٥١] يعني: هذه وصية النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** التي عليها خاتم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، رواه الترمذي (٣٠٧٠) وحسنه.

قلت وهو في "ضعيف الترمذي" برقم (٥٩٣)، إلا أنه يشهد له: ما روى الطبراني في "الكبير" برقم (١٠٠٦٠)، عنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: من سره أن يقرأ صحيفة محمد... الخ. قال في "النهج السديد" برقم (٢٩): سنده قوي. اهـ



❖ فائدة في الجمع بين الصراط المستقيم والتواصي بالحق والصبر وبالرحمة :

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في "أضواء البيان" (٩/ ٢٩٤) - بعد ذكره لأثر ابن مسعود السابق :- تلك الوصايا الجامعة أبواب الخير الموصدة أبواب الشر، والمذيلة بهذا التبيين والتعريف: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

ولو أردنا أن نربط بين هذا، وبين التواصي بالحق وبينهما، وبين فاتحة الكتاب؛ وكانت النتيجة كالآتي في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [سورة العصر: ٣]، إحالة على تلك الوصايا، وهي شاملة جامعة، ومعنون لها بأنها صراط الله المستقيم، فكأن قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، مساوياً لقوله: وتواصوا بالصراط المستقيم واستقيموا عليه.

ثم في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، وهذا صراط الله المستقيم، فاتبعوه، فكانت سورة العصر مشتملة على التواصي بالاستقامة على صراط الله المستقيم واتباعه، ويأتي عقبها قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: ٣]، بمثابة التثبيت على هذا الصراط المستقيم، إذ الصبر لازم على عمل الطاعات، كما هو لازم لترك المنكرات.

وتلك الوصايا العشر جمعت أمراً ونهياً فعلاً وتركاً، وكذلك فيه الإشارة إلى ما يقوله دعاة الإسلام: من أن العمل الصالح والدعوة إلى الحق والتواصي به، فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وغالباً من يقوم به يتعرض لأذى الناس، فلزمهم التواصي بالصبر، كما قال لقمان لابنه يوصيه وجامعاً في وصيته وصية سورة العصر، إذ قال: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وتقدم بيان قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتفصيل عند قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]، في سورة المائدة.

فصارت هذه السورة بحق جامعة لأصول الرسالة، كما روي عن الشافعي

رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: لو تأمل الناس هذه السورة لكفّتهم.

قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، جاء الحث على التواصي بالرحمة - أيضًا - مع الصبر،

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾

[سورة البلد: ١٧].

وبهذه الوسايا الثلاث: بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة،

تكتمل مقومات المجتمع المتكامل قوامه الفضائل المثلى، والقيم الفضلى:

لأن بالتواصي بالحق: إقامة الحق والاستقامة على الطريق المستقيم.

وبالتواصي بالصبر: يستطيعون مواصلة سيرهم على هذا الصراط، ويتخطون كل

عقبات تواجههم.

وبالتواصي بالمرحمة: يكونون مرتبطين كالجسد الواحد.

وتلك أعطيات لم يعطها إلا القرآن، وأعطائها في هذه السورة الموجزة، وبالله

التوفيق. اهـ

✽ بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝١٠٠ الْآيَةُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢]

من الفوائد:

الأولى: بيان أن صراط الله المستقيم، هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصدّيقين والشهداء والصالحين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.



الثانية: أن كل صراط معوج إلا صراط الإسلام المستقيم، الذي أمر الله الناس أن يتعبدوا لله به.

❁ من أضرار اتباع البدع والشبهات:

الثالثة: أن اتباع البدع والشهوات المسمات في القرآن بالسبل سبب للتفرُّق والتمزُّق وضياع الدين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (٣/ ٣٦٥): قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿أَقِمْوْا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ونحو هذا. قاله مجاهد، وغير واحد. ثم ساق رَحِمَهُ اللهُ: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وغيره - يأتي الكلام عليه إن شاء الله - في (باب في غربة الإسلام).

الرابعة: يجب على كل مسلم العمل بهذه الوصية العظيمة، وهي العمل بالكتاب والسنة، والأخذ بهما حتى الممات، والتواصي بهما، والصبر على ذلك.

الخامسة: أن الاستقامة على السنة والسير على النهج السديد، والصراط المستقيم سبب يتوصل به إلى تحقيق التقوى؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَمُ وَصَّكُمْ بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].



قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مجاهد^(١): السبل: البدع والشبهات^(٢).

❖ **الكلام على قول مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (السبل: البدع والشبهات):**

❖ **تعريف السبل:**

قال أبو البقاء رَحِمَهُ اللَّهُ في "الكليات" (ص ٨٢٣): قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣] أي: الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى. اهـ
وفي "شمس العلوم" (٥/ ٢٩٤٣): السُّبُل: جمع: سبيل، قال الله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩]، قرأ أبو عمرو: بالتخفيف، وكذلك قوله: ﴿هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ [سورة إبراهيم: ١٢]. اهـ

قلت: والخلاصة مما تقدم: أن السبل هي الشهوات والشبهات، والشكوك ووسوسة الشيطان والريب، والزيف واتباع الأحزاب، والفرق والضلالات، وما شابه ذلك، والله أعلم.

❖ **تعريف البدعة والشبهة:**

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "التعريفات" (ص ٦٢): البدعة هي الفعلة المخالفة للسنة سميت البدعة؛ لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام.

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي ثقة إمام في التفسير، وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون ع. اهـ من "التقريب" (ص ٥٢٠).

(٢) سنده صحيح: أخرجه الدارمي في "مقدمة سننه" (٢٠٩)، وابن جرير في "تفسيره" (٨/ ٨٨)، ولبن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ٨١)، وغيرهم، كلهم من طريق لبن أبي نجیح، عن مجاهد، وسنده صحيح، والله أعلم.



وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي. اهـ

وقال بعضهم: كل ما أحدث في الدين على وجه الاستحسان مما لا دليل عليه.

❖ البدعة قسمان:

الأول: بدعة دنيوية: وهذه الأصل فيها الحل، إلا ما جاء الشرع بتحريمه، والله أعلم.

والثاني: بدعة دينية: وهي قسم واحد لا قسمان؛ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "مسلم" برقم (٨٦٧)، وفيه: «كل بدعة ضلالة».

وفي حديث العرباض: «فإن كل بدعة ضلالة»، رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) (١).

❖ تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة لا دليل عليه:

تقدم في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند "مسلم": التصريح بأن: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الاعتصام" (١/ ٢٤٥): الباب الثالث: في أن ذم البدع والمحدثات عام لا يخص محدثة دون غيرها.

ويدخل تحت هذه الترجمة: النظر في جملة من شبه المبتدعة التي احتجوا بها: فاعلموا رحمكم الله: أن ما تقدم من الأدلة حجة في عموم الذم من أوجه: أحدها: أنها جاءت مطلقة عامة على كثرتها، لم يقع فيها استثناء البتة، ولم يأت



(١) صحيح راجع: "الصحيحة" برقم (٢٧٣٥)، و"الصحيح المسند" (٩٢١).

فيها شيء مما يقتضي أن منها ما هو هدى. ولا جاء فيها: كل بدعة ضلالة إلا كذا وكذا، ولا شيء من هذه المعاني.

فلو كان هنالك محدثة يقتضي النظر الشرعي فيها الاستحسان، أو أنها لاحقة بالمشروعات؛ لذكر ذلك في آية أو حديث، لكنه لا يوجد، فدل على أن تلك الأدلة بأسرها، على حقيقة ظاهرها: من الكلية التي لا يتخلف عن مقتضاها فرد من الأفراد. والثاني: أنه قد ثبت في الأصول العلمية: أن كل قاعدة كلية، أو دليل شرعي كلي إذا تكررت في مواضع كثيرة، وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فروعية، ولم يقرن بها تقييد ولا تخصيص، مع تكررها، وإعادة تقريرها؛ فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة فاطر: ١٨]، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [سورة النجم: ٣٩]، وما أشبه ذلك.

وبسط الاستدلال على ذلك هنالك - يعني: كتاب "الموافقات" (٣/ ٣٠٦) -.

ثم قال الشاطبي رحمه الله: فما نحن بصده من هذا القبيل: إذ جاء في الأحاديث المتعددة والمتكررة في أوقات شتى، وبحسب الأحوال المختلفة: أن كل بدعة ضلالة، وأن كل محدثة بدعة، وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أن البدع مذمومة. ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص، ولا ما يفهم منه خلاف ظاهر الكلية فيها، فدل ذلك دلالة واضحة: على أنها على عمومها وإطلاقها.

والثالث: إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك، وتقييدها والهروب عنها، وعمن اتسم بشيء منها، ولم يقع منهم في ذلك توقف ولا مثنوية.



فهو - بحسب الاستقراء - إجماع ثابت؛ فدل على أن كل بدعة ليست بحق، بل هي من الباطل.

والرابع: أن متعلل البدعة يقتضي ذلك بنفسه؛ لأنه من باب مضادة الشارع، وإطراح الشرع.

وكل ما كان بهذه المثابة فمحال أن ينقسم إلى حسن وقبيح، وأن يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم، إذ لا يصح في معقول ولا منقول استحسان مشاقة الشارع، وقد تقدم بسط هذا في أول الباب الثاني - (١).

ثم قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: -و- أيضًا: - فلو فرض أنه جاء في النقل استحسان بعض البدع، أو استثناء بعضها عن الذم لم يتصور؛ لأن البدعة طريقة تضاهي المشروعة من غير أن تكون كذلك، وكون الشارع يستحسنها دليل على مشروعيتها، إذ لو قال الشارع: المحدث الفلانية حسنة؛ لصارت مشروعة، كما أشاروا إليه في الاستحسان حسبما يأتي - إن شاء الله - (٢).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: ولما ثبت ذمها ثبت ذم صاحبها؛ لأنها ليست بمذمومة من حيث تصورها فقط، بل من حيث اتصف بها المتصف، فهو إذا المذموم على الحقيقة، والذم خاصة التأثيم، فالمبتدع مذموم آثم، وذلك على الإطلاق والعموم... اهـ



(١) وذلك عند (ذكر ما يدل على ذم البدع من النظر) (ص ٦٧ - ٦٩)، قاله المحقق.

(٢) تناول المؤلف موضوع الاستحسان، وتعلق أهل البدع به والرد عليهم، في (الباب الثامن)

قلت: وقد قَسَمَ البدعة إلى خمسة أقسام: النووي، والعز ابن عبد السلام رَحِمَهُمَا اللَّهُ، ومن قال بقولهما.

وقد رد ذلك جمع من المتقدمين، منهم الشاطبي - كما تقدم -، وابن تيمية، ومن المعاصرين: العلامة الألباني، وابن باز، والوادعي، وجماعة، رحم الله موتاهم، وحفظ الله أحيائهم، والله أعلم.

❁ الفهم الصحيح للأدلة الحاشئة على اتباع السلف:

كل ما جاء من الأدلة فيها الحث على اتباع السلف الصالح، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧]، وغيرهما.

فالسلف الذين أمرنا بتباعهم، لم يأتوا بشيء جديد، وإنما ساروا على ما سار عليه نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهموه فهمًا صحيحًا؛ لقرب عهدهم، وملازمة بعضهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالصحاباء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فصار اتباعهم والافتداء بهم سيرًا على ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يوضح ذلك: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

فقال ربنا: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: مما علّمكم نبيكم، مما جاء به من عند الله، ولم يقل بما ابتدعتموه.



وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الفاتحة: ٦-٧].

والمنعم عليهم: كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ... الآية﴾ [سورة النساء: ٦٩]، والله أعلم.

✽ تعريف الشبهة وبيان أنواعها:

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "التعريفات" (ص ٤٢٢): الشبهة الظن المشتبه بالعلم،

ذكره أبو البقاء.

وقال بعضهم: الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه، إذا حقق

النظر فيه ذهب.

وقال ابن الكمال: الشبهة الشيء المجهول حله وحرمة على الحقيقة، كذا في

"الودائع".

وعبر عنه بعضهم بقوله: ما لم يتيقن حله ولا حرمة.

والشبهة في الفعل: ما ثبت بظن غير الدليل دليلاً، كظن حل وطء أمة أبويه

وزوجه.

والشبهة في المحل: ما يحصل بقيام دليل ناف للحرمة ذاتاً كوطء أمة ابنه

والمشتركة.

والشبهة في الفاعل: أن يظن الموطوءة زوجته أو جاريته.

والشبهة في الطريق: كالوطء ببيع أو نكاح فاسد.

وشبهة العمد في القتل: أن يتعمد الضرب بما لا يقتل غالباً.

والشبه والشبيه حقيقته: في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم.

والشبهة أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر؛ لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى. اهـ.

❁ ذكر بعض ما يُستدلُّ به على جواز الابتداع في الدين والجواب على ذلك:

❁ الأول: قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم البدعة هذه:

روى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٩٠٦)، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد؛ لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله -.

معرفة المعنى الصحيح لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم البدعة هذه:

روى البخاري برقم (٦٩٨)، ومسلم (٧٨١)، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذ حجرة في رمضان، فصلى فيها ليالي، فصلى بصلاته ناس من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم، فقال: «قد عرفت الذي رأيتم من صنعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم؛ فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة».



وفي رواية للبخاري (٥٧٦٢)، عنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: احتجر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حجيرة مخصفة، أو حصيراً، فخرج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يصلي فيها، فتتابع إليه رجال وجأؤوا يصلون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة، فحضرُوا وأبطأ رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً، فقال لهم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم... الحديث».

قلت: فعلم من الحديثين السابقين ما يلي:

١- أن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إنما أحياء سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولم يتدعها؛ لأنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد صلى بالصحابة جماعة كما تقدم.

٢- لم يخالفه أحد من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، بل وافقوه وساروا بسيره، حتى من جاء بعده من الخلفاء، ولو كانت بدعة في نظرهم لخالفه من بعده، كما خالف عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من جاء بعده في أذان الجمعة الأول.

٣- لا يزال عليه عمل أهل الإسلام إلى حيث يشاء الله، إلا من شذ من الشيعة وأشباههم، والله أعلم.

٤- على تسليم أنه ابتدعها من تلقاء نفسه، وهو غير صحيح؛ فإنه يشمل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عليكم بستتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».. - تقدم تخريجه قريباً..

وتكلمنا على سنن الخلفاء الأربعة الراشدين بتوسع عند شرح هذا الحديث في آخر باب من أبواب الكتاب -، والله المستعان.

و- أيضًا - قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا»، رواه مسلم (١٥٩٤)، عن أبي قتادة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبو بكر، وعمر»، رواه أحمد (٢٣٢٩٣)، عن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قال محققوا "المسند": حديث حسن بشواهده، وهذا الإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا أنه منقطع. اهـ
وبقي غير هذه الأجوبة، وما ذكر فيه الكفاية، لمن ألقى السمع وهو شهيد، والله أعلم.

❁ **الثاني: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث»:**

الثاني مما يستدل به أهل الابتداع: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء...» الحديث»، رواه مسلم (٢٣٩٨)، عن جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

معرفة المعنى الصحيح لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث»:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "الفتاوى" (١٥٠/٢٨): قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام...»: أي: أحيا سنة قد هُجِرَتْ، فنشرها وبينها للناس. اهـ

وقال سماحة الشيخ ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** - تحت (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) من هذا الكتاب -: هذا أي: حديث: «من سنَّ في الإسلام...» معناه: أحياها وأظهرها، ليس المراد به البدعة.



وإنما المراد هنا: إحياء السنة وإظهارها؛ لأنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى قوماً فقراء، فلما رأى فقرهم خطب الناس وحثهم على الصدقة، ورغبهم فيها، وقال: «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره - حتى قال -: ولو بشق تمره». قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام، وثياب، ورأيت وجه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتهلل، كأنه مذهبة، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام... الحديث». اهـ

قلت: والحديث بين ظاهر في أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قالها بسبب أن أحدهم تصدق بصرة تسابق الناس بسببها إلى الصدقة.

وهل يا ترى هل كانت الصدقة غير مشروعة حتى سنّها هذا الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أم أنه نفذ أمر الله وأمر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟

والجواب الذي لا شك فيه: أن ما فعله الصحابي ليس ابتداءً، وإنما هو من التسابق والتنافس الداخل تحت تسميته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة»، فليعلم هذا، والله المستعان، وهو أعلم.

وله تتمه ذكرتها في (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) عند حديث جرير

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).



(١) راجع للبسط: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٥٨١-٥٩٤) وكتاب «البدعة الشرعية»، وغيرهما.

قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ»، أخرجاه (٢).

❖ الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثْنَا فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»:

❖ منزلة هذا الحديث من الدين:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (٢٧٦/٦): هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث مما ينبغي حفظه وإشهاره، في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به لذلك. اهـ

وقال الحافظ العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث معدود من أصول الدين وقاعدة من قواعده. اهـ

وقال الطوفي: هذا الحديث يصح أن يسمى نصف أدلة الشرع. اهـ
نقلها عنهم صاحب "دليل الفالحين" (١٢٦/٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في "جامع العلوم" (١٧٦/١): وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث: «الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها، وهو ميزان للأعمال في ظاهرها.

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا خديجة؛ ففيهما خلاف شهير. ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح

ع اهـ من "التقريب" (ص ٧٥٠).

(٢) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (٤٤٩٢).



فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله؛ فهو مردود على عامله.
وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله؛ فليس من الدين في شيء.
اهـ

وقال العلامة الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه، فإنه صريح في رد إبطال كل البدع والمحدثات. اهـ^(١).

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه»:**

قال العيني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "عمدة القاري" (١٢/٢٠): قوله: «من أحدث في أمرنا هذا»: الإحداث في أمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو اختراع شيء في دينه بما ليس فيه، مما لا يوجد في الكتاب والسنة. اهـ

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهو رد»:**

قال الإمام النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح مسلم" (٦/٢٧٢): قال أهل اللغة العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير متعبد به. اهـ
وقال العيني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "عمدة القاري" (١٢/٢٠): قوله: «فهو رد» أي: مردود، ومن باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، كما يقال: هذا خلق الله أي: مخلوقه، وهذا نسج فلان أي: منسوجه.

وحاصل معناه: أنه باطل غير معتد به.

(١) من "إيقاظ الأفهام" (٢/٤).

وفيه: رد المحدثات، وأنها ليست من الدين؛ لأنه ليس عليها أمره، والمراد به أمر الدين. اهـ

❖ هل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهو رد» يقتضي فساد العمل؟

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (٢٧٦/٦): هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

وفي الرواية الثانية: زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها.

وفي هذا الحديث: دليل لمن يقول من الأصوليين: أن النهي يقتضي الفساد، ومن قال لا يقتضي الفساد يقول: هذا خبر واحد ولا يكفي في إثبات هذه القاعدة المهمة، وهذا جواب فاسد، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به. اهـ

قلت: وتقدم كلامه وكلام العيني - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى - عند الكلام على معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهو رد».

❖ حرمة الاستحسان في الدين وأنه تشريع جديد ولكن من وجه آخر:

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الجامع في المولد" (ص ٤٥): من استحسَن فقد شرع. اهـ

وقال أبو شامة رَحِمَهُ اللَّهُ في "الباعث" (ص ١٠): فإن من استحسَن فقد شرع. اهـ



قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله، من غير أن يشرعه الله؛ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

ومن اتبعه في ذلك؛ فقد اتخذ شريكاً لله، شرع من الدين ما لم يأذن به الله... الخ. اهـ.

وفي كتاب "إسعاف المؤمنين" (ص ٢٧): وهذه الآية الكريمة ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾

أصل في هذا الباب، بل هي أصل من أصول الدين، لأن رسول الله ﷺ

مُشرّع، ومن تقدّمه بقول، أو رأي؛ فقد شرّع معه، وكأنّ فاعل ذلك يقول بلسان

حاله: لا حاجة لي ببعثة الله تعالى رسوله ﷺ؛ ليلبغ أحكامه، ويشرع

لأهل ملته، ويسن طريق شريعته، وهذا غاية البطلان وطريق الخسران. اهـ.



وفي لفظ^(١): «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ».

✽ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد» من

الفوائد:

الأول: ترك الإحداث وهو قسمان: الأول: إحداث بالقول: وهذا كالأذكار المبتدعة ونحوها.

الثاني: إحداث بالفعل: وهو كالذبح عند الموت ونحوه.

الثانية: ترك العمل بالمحدثات؛ لأنها سبب لدخول النار؛ ففي حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند النسائي (١٥٧٨)، وهي في "صحيح ابن ماجة" برقم (٤٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكل ضلالة في النار».

الثالثة: بيان أن الابتداع في الدين اتهام لهذا الدين بالنقص، وهذا يوافق زعم من قال من طوائف الضلال: بأن القرآن ناقص، وبأن الصحابة خونة كتامة للحق، والعياذ بالله تعالى.

الرابعة: أن الابتداع اتهام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة، ولربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدم إتمام دينه، حتى يأتي من يزعم بأنه أغير على دين الله من الله، ومن رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا يقول: من ابتداع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرسالة؛ لأن الله يقول:

(١) هذا اللفظ انفرد به مسلم برقم (٤٤٩٣)، وعلقه البخاري في "صحيحه" (٣٧١/٦).



﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً؛ فلا يكون اليوم ديناً، رواه الشاطبي في "الاعتصام" (١/ ٢٩). اهـ.

الخامسة: الابتداع طعن في شهادة الله عزَّجَلَّ على كمال الدين، ولو لم يقصد صاحب البدعة ذلك.

قال في كتاب "البدع وأثرها السيء" (ص ١٥): هذا الدين كاملٌ في تشريعه وأحكامه وفروضه وسننه، ومن أتى بشيءٍ مُحدثٍ ينسبه إلى الدين؛ فقد نسب النقص إلى هذا الدين، وطعن في شهادة الله عزَّجَلَّ على كمال الدين والعياذ بالله، بل ونسب الخيانة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ.

السادسة: كذب المبتدع في دعواه الحرص على الخلق، ولا نعلم في دليل واحد أن أحداً أرحم بالخلق، وأحرص على هدايتهم من خالقهم، ثم رسلهم، ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، والله أعلم.



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وللبخاري (١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى... الحديث»:

❖ **معاني لفظ الأمة الواردة في القرآن:**

لفظة الأمة الواردة في القرآن لها أربعة معاني:

المعنى الأول: تطلق ويراد به الدين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [سورة الزخرف: ٢٢].

المعنى الثاني: تطلق ويراد بها الرجل المطيع لله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

المعنى الثالث: تطلق ويراد بها الجماعة، كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوتُ﴾ [سورة القصص: ٢٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [سورة النحل: ٣٦].

المعنى الرابع: تطلق ويراد بها الحين من الدهر، كقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف: ٤٥] أي: بعد حين على أصح القولين، قال: فكَذَلِكَ هَذَا. اهـ بتصرف (٢).

(١) في "صحيحة" (٧٤٨٠).

(٢) "تفسير ابن كثير" (١/ ١٥٨).



✽ أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قسمين:

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في "عمدة القاري" (٣٥/٤): وأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تطلق على معنيين:

أمة الدعوة: وهي من بعث إليهم.

وأمة الإجابة: وهي من صدّقه وآمن به. اهـ

✽ من المراد بالامة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل أمتي يدخلون الجنة»؟

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في "فيض القدير" (١٢/٥): المراد أمة الدعوة، فالأبي هو

الكافر بامتناعه عن قبول الدعوة.

وقيل: أمة الإجابة، فالأبي هو العاصي منهم. استثناهم تغليظاً وزجراً عن

المعاصي.

قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني» أي: انقاد وأذعن لما جئت به

«دخل الجنة»، وفاز بنعيمها الأبدي، بين أن إسناد الامتناع عن الدخول إليهم مجاز

عن الامتناع لسببه، وهو عصيانه بقوله: «ومن عصاني» بعدم التصديق أو بفعل

المنهي، «فقد أبى»، فله سوء المنقلب بإبائه.

والموصوف بالإباء إن كان كافراً لا يدخل الجنة أصلاً، أو مسلماً لم يدخلها مع

السابقين الأولين.

قال الطيبي: ومن أبى عطف على محذوف أي: عرفنا الذين يدخلون الجنة

والذي أبى لا نعرفه، وكان من حق الجواب أن يقال: من عصاني فعدل إلى ما ذكره

تنبيهاً به على أنهم ما عرفوا ذاك ولا هذا.

إذ التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه وزل عن الصواب وخل عن الطريق المستقيم دخل النار، فوضع أبى موضعه وضعاً للسبب موضع المسبب. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (٢٥٤ / ١٣): قوله: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» أي: امتنع، وظاهره أن العموم مستمر؛ لأن كلاً منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا: ومن يأبى، فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنته، وهو عصيان الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. اهـ

قلت: وقد يشملهما الحديث، وقد يراد أمة الإجابة، وله تنمة - تأتي بعد أسطر - إن شاء الله.

✽ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا مَنْ أَبَى»:**

قال العيني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "عمدة القاري" (٢٧ / ٢٥): قوله: «إلا من أبى» أي: امتنع عن قبول الدعوة، أو عن امتثال الأمر.

فإن قلت العاصي يدخل الجنة - أيضاً - إذ لا يبقى مخلداً في النار؟ قلت يعني: لا يدخل في أول الحال، أو المراد بالإباء الامتناع عن الإسلام. اهـ

وقال في "فيض القدير" (١٢ / ٥): قوله: «إلا من أبى»: أي: بامتناعه عن قبول الدعوى، أو بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها؛ لأن من ترك ما هو سبب شيء لا يوجد بغيره فقد أبى أي: امتنع. اهـ

✽ **بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى... الحديث»**

من الفوائد:

الأولى: أن عصيانه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سبب لدخول النار.



الثانية: يجب على المسلم أن يعتقد أن سنة رسول الله ﷺ من الدين وليس من قشوره.

الثالثة: قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: - في إحدى محاضراته -: هذا الحديث دليل الأعمال الظاهرة. اهـ

قلت: أي: علامة هل هي موافقة لهديه ﷺ أم مخالفة؛ لأن البدعة قد تظهر بصورة السنة، وربما استحسنت من ضعفاء العلم والجهال، والله أعلم.

الرابعة: يجب على كل مسلم: أن يخاف على نفسه أن يكون من صنف الإباء؛ لوجود البدع والمحدثات والمخالفات، وترك السنن وتضييع الواجبات، والتشبه بأعداء الإسلام، وغربة الإسلام في بلد الإسلام.

الخامسة: أهمية الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة لمن أحب الله ورسوله ﷺ، والله أعلم.

السادسة: شفقتة ﷺ على أمته وحرصه على هدايتهم، وذلك ظاهر من الحديث، والله أعلم.



قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" (١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بَغِيرٍ حَقٌّ لِيَهْرِيْقَ دَمَهُ»، رواه البخاري.

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ... الحديث»:**

❖ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ»:**

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح البخاري" (٨/٥١٠): قال المهلب: لا يجوز أن يكون هؤلاء أبغض إلى الله من أهل الكفر، وإنما معناه أبغض أهل الذنوب ممن هو من جملة المسلمين. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١٢/٢١٠): أي: أنهم أبغض أهل المعاصي.

(١) أي: "صحيح البخاري" فقد رواه برقم (٦٨٨٢).

تنبيه: ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في "الاقتضاء" (١/٢٢٧): أن مسلماً أخرج، ولم يخرج، والله أعلم.

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر؛ لسعة علمه، وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منّا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة ع. اهـ من "التقريب" (ص ٣٠٩).



ومثله: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أكبر الكبائر...»، وإلّا فالشرك هو أبغض المعاصي إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**. اهـ

قلت: وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثلاثة»: لا يقتضي الحصر؛ لوجود من يشاركهم ممن يبغضهم الله تعالى؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يبغض كثيراً ممن سواهم. وقد سقت جملة من ذلك في كتابي «الجامع في الأسباب» كتاب أسباب بغض الله تعالى، أسأل من الله تعالى العون على إكماله، كما أسأله أن ينفع به وبكاتبه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

❖ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ملحد في الحرم»، وتعريف الإلحاد:**

قال ابن بطال **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «شرح البخاري» (٨/ ٥١٠): وقد عظم الله الإلحاد في الحرم في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلٌ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾ [سورة الحج: ٢٥]، فاشتراط أليم العذاب لمن ألحد في الحرم زائداً على عذابه لو ألحد في غير الحرم، وقيل: كل ظالم فيه ملحد. وقال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: احتكار الطعام بمكة إلحاد. وقال أهل اللغة: والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، والباء زائدة. وقال الزجاج: مذهبنا أن الباء ليست بزائدة، والمعنى: ومن أراد فيه بأن يلحد بظلم.

ومعنى الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد. اهـ

❖ **مضاعفة الإثم في مكان دون آخر كمكة حرسها الله تعالى:**

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلٌ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٥/ ٤١١): أي: يَهْمُ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

وقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول، كما قال ابن جريج، عن ابن عباس: هو التعمد. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك. وقال مجاهد: أن يعبد فيه غير الله. وكذا قال قتادة، وغير واحد.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾ هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم.

وقال مجاهد: ﴿بِظُلْمٍ﴾: يعمل فيه عملاً سيئاً. وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي فيه الشر، إذا كان عازماً عليه، وإن لم يوقعه؛ كما قال ابن أبي حاتم في "تفسيره" حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن السدي: أنه سمع مرة يحدث، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ قال: لو أن رجلاً أراد فيه بالإحاد بظلم، وهو بعدن أبين، أذاقه الله من العذاب الأليم.

قال شعبة: هو رفعه لنا وأنا لا أرفعه لكم. قال يزيد: هو قد رفعه. ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به.

ثم قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه؛ ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود.



وكذلك رواه أسباط، وسفيان الثوري، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفا، والله أعلم.

وقال الثوري، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله قال: ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه، ولو أن رجلا بعدن أبينهم أن يقتل رجلا بهذا البيت؛ لأذاقه الله من العذاب الأليم. وكذا قال الضحاك بن مزاحم. اهـ

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية»:**

قلت: يأتي شرحها - إن شاء الله - في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ساقه المؤلف عقب هذا الحديث.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح البخاري» (٨/٥١١): وأما المبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، فهو طلبهم بالدحول غير القاتل، وقتلهم كل من وجدوا من قومه. ومنها: انتهاك المحارم، واتباع الشهوات؛ لأنها كانت مباحة في الجاهلية، فنسخها الله في الإسلام وحرّمها على المؤمنين، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَيْدُ الْفِتْكِ لَا يَفْتِكُ مَوْمِنًا».

ومنها: النياحة والطيرة والكهانة وغير ذلك، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رغب عن سنتي فليس مني». اهـ

قلت: ومما يؤيد أن ما تقدم من مور الجاهلية: قوله تعالى: ﴿الْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةَ

يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢].

✽ تعريف الجاهلية، وبيان أصلها :

اسم الجاهلية يعود إلى الجهل، وكل من خالف الرسول الذي كان في زمنه؛ فهو في جاهلية، ولذلك قال الله في آية الأحزاب ﴿الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾؛ لأنه كانت جاهلية سابقة أولى، ثم تابعت الجاهليات؛ لأنهم جهلوا ما أنزل الله **جَلَّ وَعَلَا** على رسوله. اهـ^(١). قلت: وبعض سنن الجاهلية قد تكون في قوم دون قوم، ورجل دون رجل، ووقت دون وقت.

وقد تكلم على ذلك جمع من العلماء منهم صاحب المتن **رَحِمَهُ اللَّهُ** في رسالته (مسائل الجاهلية) مع تتمتها لبعض أهل العلم، والله أعلم.

✽ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمُطَلَبُ دَمِ امْرِئٍ بَغِيرِ حَقٍّ لِيُهَرِّقَ دَمَهُ» :

قال الحافظ **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (١٢/٢١٠): والمراد به المبالغ في الطلب. والمراد بالطلب المترتب عليه المطلوب لا مجرد الطلب، أو ذكر الطلب؛ ليلزم الزجر في الفعل بطريق الأولى. اهـ

✽ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ... الْحَدِيثُ» من الفوائد :

الأولى: حرمة دماء المسلمين، وعلى ذلك أدلة كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها. الثانية: تفضيل الله لبعض البقاع دون بعض، فمكة أفضل البقاع، نص على ذلك جمع من أهل العلم^(٢).



(١) من «شرح معالي صالح آل الشيخ» - عند هذه الفقرة -

(٢) انظر: «الفتح» (٣/٤٤٠) تحت تبويب البخاري: (باب فضل مكة وبنائها).



الثالثة: تحذير الدين الإسلامي من العمل بأعمال الجاهلية، أو التشبه بهم، أو بثها بين المسلمين.

الرابعة: إثبات صفة البغض لله تعالى إثبات يليق به **جَلَّ وَعَلَا**.

الخامسة: استحقاق بعض العباد لبغض الله ما لم يستحقه غيره.

السادسة: تفاوت بغض الله من شخص لآخر دال على عدل الله **جَلَّ وَعَلَا**، والله أعلم.



قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (١): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سنة الجاهلية»: يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة أي: في شخصٍ دون شخص، كتابية أو وثنية، أو غيرهما، من كل مخالفة لما جاء به المرسلون. اهـ

❖ **الشاهد من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة... الحديث»:**

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والشاهد: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية»، وأن الواجب على العبد التمسك بالإسلام، والحذر من سنن الجاهلية.

فالعمل في الإسلام ولو قل هو الذي ينفع، وأما الاجتهاد في غير إسلام، وفي غير سنة يضر ولا ينفع.

فالواجب على جميع المكلفين التمسك بالإسلام والتقييد بدين الله، والسير عليه في كل شيء، إخلاصاً لله ومتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ



(١) في كتابه «الاقتضاء» (١/ ٢٢٧)، وابن تيمية هو: شيخ الإسلام الإمام المحدث الحافظ الناقد المفسر الغواص في معاني القرآن، المؤرخ المطلع في التاريخ المبرز في العلوم النقلية والعقلية على كبار المتخصصين.

الأمير المعروف الناهي عن المنكر، الزاهد العابد المجاهد المظفر في ميادين القتال والدفاع عن حياض الإسلام بالحجة والبرهان سيف الله المسلول على الفلاسفة والملحدين والمبتدعين، كثير التصنيفات الدالة على تبحره في العلوم وامتلاك نواصيها.... اهـ بتصرف من «لمحة عن حياته» (ص١).



❁ بعض أسباب الوقوع في أمور الجاهلية :

- ١- الاجتهاد الباطل المضيع للوقت.
- ٢- الاهتمام بكثرة العمل، مع عدم النظر في موافقته للسنة أو مخالفته.
- ٣- عدم الانضباط بالدليل الشرعي.
- ٤- ٥- الاغترار بكثرة العمل، وإهمال العمل بتقاويم الدين الحنيف.
- ٦- التشبه بالكفار، وغيرها مما ذكر المصنف **رَحِمَهُ اللهُ** في رسالته "مسائل الجاهلية"، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" ^(١): عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ: اسْتَقِيمُوا؛ فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا؛ لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

❖ **الكلام على قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** (يا معشر القراء استقيموا... إلخ):

❖ **معنى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** (يا معشر القراء استقيموا... إلخ)، وبيان منهم القراء:

قال الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: القراء: يعني العلماء وطلبة العلم. اهـ
❖ وقوله: (استقيموا): قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى قوله: استقيموا يعني: على الطريق أي: استقيموا على دين الله، فإذا استقام العبد فقد سبق سبْقًا بَعِيدًا، وإن حاد يمينًا وشمالًا؛ فقد ضل ضلالًا بَعِيدًا.

فالواجب التمسك بما شرعه الله والحذر مما ذمه الله، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

فكونه على الطريق ولو مقتصدًا مع الأبرار والمقتصدين، خير من كونه يسلك الطرق المنحرفة عن الهدى؛ لأنها تضله وتبعده عن الله عَزَّجَلَّ.

(١) المراد به "صحيح البخاري" فقد أخرجه برقم (٧٢٨٢).

(٢) هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسيل، ويقال: حسل العبسي، حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين، صح في "مسلم" عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي — أيضا —، استشهد بأحد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين ع. اهـ من "التقريب" (ص ١٥٤).



بل صاحب الهدى وإن ظلم نفسه ببعض المعاصي؛ على طريق النجاة، ولكن من سار على غير الإسلام وابتغى في الإسلام سنة الجاهلية؛ فهو في طريق الهلاك. نسأل الله العافية. اهـ

❁ أهمية العمل بالعلم للعلماء وطلبة العلم:

العمل هو ثمرة العلم، والعلم مقصود لغيره، فهو بمنزلة الشجرة، والعمل بمنزلة الثمرة، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به، وإلا كان شر من الجاهل. وما أحسن ما قيل، كما في "دواوين الشعر العربي" (١٩/ ١١٤):
 إِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ أَوْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ
 والحاصل: أن العمل بما أوجب الله فعله، أو أوجب تركه داخل تحت العمل بالعلم.

فيدخل في ذلك: ما اصطُح على تسميته بالفرائض والواجبات، وما اصطُح على تسميته بالكبائر والمحرمات، فما يجب العمل به يعمل به، وما يجب تركه يترك، وما ندب إليه الشارع يعمل به، وما نهى عنه الشارع يترك، والله أعلم.

❁ بصلاح العلماء صلاح العباد والبلاد وفسادهم فسادهما:

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ كما في "ديوانه" (ص ٢٧):
 وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا
 وقال غيره:
 يَا مَعْشَرَ الْقَرَاءِ يَا مَلِحَ الْبَلَدِ مَنْ يَصْلِحِ الْمَلِحَ إِذَا الْمَلِحُ فَسَدَ

وقديماً قيل: الأمم تبعُ لعلمائها ورؤسائها، وبسط ذلك في غير هذا الموضع، والله المستعان، وهو أعلم.

❁ **بعض ما في قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا معشر القراء... الخ) من الفوائد:**

الأولى: أهمية المحافظة على الاستقامة، ومحاولة التقدم فيها لا التأخر، وملازمة الثبات لا التراجع والميل يمنة ويسرة.

الثانية: الحذر من أسباب التراجع والتأخر إلى الورى، سواء كانت تلك الأسباب مذهباً أو معتقداً، أو جليساً أو كتاباً، أو غير ذلك مما هو سبب تأخير للمسلمين عن ربهم ونبيهم ودينهم، والله المستعان.



قَالَ الصَّغَفَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن محمد بن وضاح ^(١): أنه ^(٢) كان يدخل المسجد، فيقف على الحلق، فيقول، فذكره ^(٣).

❁ ما يستفاد من دخول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسجد ووقوفه على الحلق:

في فعل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا: أن المعلم للخير يحتاج إلى تذكير، ممن هو أعلم منه، أو ممن هو مماثل له، أو دونه؛ ليزداد الخير ويقوى. ويجب الحرص الشديد على الالتزام بالسنة والسير عليها، فإن بحصول ذلك تكون البركة، وبضدها يزول الخير، وهذا أمر مضيع في زماننا، حتى عند من خصصوا أنفسهم لذلك، والله المستعان.



^(١) هو الإمام الحافظ، محدث الأندلس، أبو عبدالله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني، مولى صاحب الأندلس عبدالرحمن بن معاوية الداخل. ولد سنة تسع وتسعين ومئة، توفي في المحرم، سنة سبع وثمانين ومئتين. اهـ بتصرف من "السير" (١٣/٤٤٥).

^(٢) الضمير يعود إلى حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سبقت ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

^(٣) صحيح: أخرجه ابن وضاح في "البدع" (ص ١٠)، وابن نصر في "السنة" برقم (٩٠) من طريق إبراهيم، عن همام، عن حذيفة، وهو صحيح إليه. وتقدم: أن البخاري قد أخرجه، وذكره المصنف - أيضاً - بلفظ آخر، في (باب التحذير من البدع).

قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): أنبأنا سفيان بن عيينة^(٢)، عن مجالد^(٣)، عن الشعبي^(٤)، عن مسروق^(٥) قال: قال عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) -: ليس



(١) صحيح بشواهده: أي: ابن وضاح رَحِمَهُ اللَّهُ في "البدع" (ص ٣٣)، ورواه المدارمي في "مقدمة سننه" برقم (١٩٤) من طريق مجالد بن سعيد به، ومجالد ضعيف. وقد أعله الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجمع الزوائد" (١٨٠/١) بسبب مجالد بن سعيد. وجاء -أيضاً-، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عند البيهقي في "الكبرى" (٣/٣٦٣). وله شواهد ذكر بعضها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، في "الفتح" (١٣/٢٧) وصححه بها، فيكون صحيحاً بشواهده، والله أعلم.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار مات في رجب سنة ثمان وتسعين، وله إحدى وتسعون سنة ع. اهـ من "التقريب" (ص ٢٤٥).

(٣) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، أبو عمرو الكوفي ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره، من صغار السادسة، مات سنة أربع وأربعين م ٤٠٤. اهـ من "التقريب" (ص ٥٢٠).

(٤) هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل، من الثالثة. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين ع. اهـ من "التقريب" (٢٨٧).

(٥) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم من الثانية، مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين ع. اهـ من "التقريب" (ص ٥٢٨).

(٦) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار علماء الصحابة مناقبه جمة.

=



عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، فيهدم الإسلام ويثلم.

❁ الكلام على قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه... إلخ):

❁ معنى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه):

قلت: الناظر في حياتنا يرى ذلك بأم عينيه، ومما يؤيد ذلك، ما روى البخاري برقم (٦٦٥٧)، عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال اصبروا؛ «فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»، سمعته من نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٢٠/١٣): قوله: «فإنه لا يأتي عليكم زمان»: في رواية عبد الرحمن بن مهدي: «لا يأتيكم عام».

وبهذا اللفظ أخرج الطبراني بسند جيد، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نحو هذا الحديث موقوفاً عليه قال: ليس عام إلا والذي بعده شر منه.

وله عنه بسند صحيح قال: أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد، وكذلك حتى تقوم الساعة.

قوله: «إلا والذي بعده»: كذا لأبي ذر، وسقطت الواو للباقيين، وثبت لابن مهدي.

أمّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة ع. اهـ — من «التقريب» (ص ٣٢٣).

قوله: «أشر منه»: كذا لأبي ذر والنسفي، وللباقين بحذف الألف، وعلى الأول شرح ابن التين، فقال: كذا وقع أشر بوزن أفعل، وقد قال في «الصحاح»: فلان شر من فلان، ولا يقال أشر إلا في لغة رديئة.

ووقع في رواية محمد بن القاسم الأسدي، عن الثوري ومالك بن مغول، ومسعر وأبي سنان الشيباني أربعتهم، عن الزبير بن عدي بلفظ: «لا يأتي على الناس زمان إلا شر من الزمان الذي كان قبله»، سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، أخرجه الإسماعيلي.

وكذا أخرجه ابن منده، من طريق مالك بن مغول بلفظ: «إلا وهو شر من الذي قبله». وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير»، من رواية مسلم بن إبراهيم، عن شعبة عن الزبير بن عدي وقال: تفرد به مسلم عن شعبة.

قوله: «حتى تلقوا ربكم» أي: حتى تموتوا، وقد ثبت في «صحيح مسلم» في حديث آخر: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا».

قوله: سمعته من نبيكم ﷺ: في رواية أبي نعيم: سمعت ذلك. قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يعلم بال رأي، وإنما يعلم بالوحي انتهى. اهـ
قلت وله تتمه تجدها في حل الإشكالات الآتية:

✽ إشكال وجوابه : لوقيل : إنه قد وجد في قرن ما من الخير ما لم يسبق له مثيل سواء

كان ذلك في بلد أو زمان أو مكان :

والجواب: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٢١/١٣): وقد استشكل



هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير.

وقد اشتهر الخبر الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل لو قيل إن الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيداً فضلاً عن أن يكون شراً من الزمن الذي قبله.

وقد حملة الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج، فقال: لا بد للناس من تنفيس.

وأجاب بعضهم: أن المراد بالفضل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء.

وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خير القرون قرني»، وهو في «الصحيحين».

وقوله: «أصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي؛ أتى أمتي ما يوعدون»، أخرجه مسلم.

ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالإتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة، من طريق الحارث بن حصيرة، عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مألأ يُفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون.

ومن طريق أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود إلى قوله: شر منه.
قال: فأصابتنا سنة خصب، فقال: ليس ذلك أعني إنما أعني ذهاب العلماء.
ومن طريق الشعبي، عن مسروق، عنه قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشر مما
كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عامّاً خيراً من عام، ولكن علماءكم
وفقهاءكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قوم يفتون برأيهم.
وفي لفظ عنه من هذا الوجه: وما ذاك بكثرة الأمطار وقتلتها، ولكن بذهاب
العلماء، ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم، فيثلمون الإسلام ويهدمون.
وأخرج الدارمي الأول من طريق الشعبي بلفظ: لست أعني عاماً أخصب من
عام، والباقي مثله، وزاد: وخياركم قبل قوله: وفقهاءكم.

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ واستشكلوا - أيضاً - زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدجال:
وأجاب الكرمانى: بأن المراد الزمان الذي يكون بعد عيسى، أو المراد جنس
الزمان الذي فيه الأمراء، وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة: أن زمان النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعصوم لا شرف فيه.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد بالأزمة ما قبل وجود العلامات العظام،
كالدجال وما بعده، ويكون المراد بالأزمة المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فما
بعده إلى زمن الدجال، وأما زمن عيسى؛ فله حكم مستأنف، والله أعلم.
ويحتمل أن يكون المراد بالأزمة المذكورة أزمة الصحابة بناء على أنهم هم
المخاطبون بذلك، فيختص بهم، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن
الصحابي فهم التعميم؛ فلذلك أجاب من شكاً إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر،
وهم أو جلهم من التابعين.



واستدل ابن حبان في "صحيحه" بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.

ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث، وهو ما أخرجه الدارمي بسند حسن، عن عبد الله قال: لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله، أما أني لست أعني عامًا. اهـ

✧ قوله: (أخصب): قال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "النهاية" (ص ٢٦٦): الخصب: ضد الجذب. اهـ

✧ قوله: (لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم): هذا تفسير من عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لقوله: ليس عام إلا والذي بعده شر منه... .

✧ قوله: (يقيسون بآرائهم): أي: من غير دليل، ومن هنا افتتح باب شرٍ على المسلمين، فيحرّمون بالقياس، ويحلّلون بالقياس، لا أقول بالقياس الصحيح، ولكن قياس مع جهل، وقياس مع تقديم هوى النفس، وقياس مع إضاعة الدين واستثقاله، وقياس مع المخالفة للأدلة، والله أعلم، وهو المستعان.

✧ قوله: (يهدم الإسلام ويثلم): قال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "النهاية" (ص ١٠٠٢): الهدم: هو الانهيار والسقوط. اهـ

والثلم: قال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "النهاية" (ص ١٢٦) الثلم: هو التكسير. اهـ

✽ بعض ما في قول ابن م-سعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس عامر إلا والذي بعده -شر منه... إلخ) من

الفوائد:

الأولى: أهمية وجود العلماء النَّصَّحَة في أوساط الناس، فهم نور يستضاء به في الظلمات.

الثانية: أهمية وجود أهل الفضل وخيار الناس في أوساط الناس؛ عسى أن يرفع الله بهم البلاء.

الثالثة: كلما بُعد الناس عن العصر النبوي؛ كلما قلَّ الدين وضعفت الاستقامة، وقلَّ الخير وكثر الشر.

الرابعة: أغلى ما يملكه المؤمن في هذه الحياة؛ دينه، فهو رأس ماله في الدنيا والآخرة.

الخامسة: الاستفادة من تجارب العلماء، وبذل ما تلخص من التجربة عند الحاجة لها، والله أعلم.



باب تفسير الإسلام

قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠].

✧ قوله: (باب تفسير الإسلام):

✧ تعريف الاسلام:

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك والبدع وأهلهما. اهـ^(١).

✧ **الكلام على قوله تعالى:** ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ... الآية﴾:

✧ **معنى قوله تعالى:** ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢/٢٦): ثم قَالَ هِيَ أَيْ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أَيْ: جادلوك في التوحيد ﴿فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أَيْ: فقل أخلصت عبادتي لله وحده، لا شريك له ولا ند له، ولا ولد ولا صاحبة له. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عَلَى دِينِي، يقول كعقالتني، كما قَالَ هِيَ أَيْ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]. اهـ

(١) انظر للبسط: "مقدمة كتاب دروس مفرغة على نوافض الإسلام" للعلامة الفوزان

- حفظه الله -

❖ **لطيفة: في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾** [سورة آل عمران: ٢٠].

قال صالح آل الشيخ - وفقه الله في شرحه لهذه الرسالة :-

وعبرَ هنا بالوجه في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾؛ لأن الوجه هو أشرف الأعضاء، والعرب تطلق الوجه وتريد جميع الجوارح وجميع الأعضاء في الإنسان، إذا قال: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾، فيكون المراد هنا ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ يعني أسلمت الوجه والقلب والجوارح، والإرادة والقصد لله **جَلَّ وَعَلَا** وحده، ﴿وَمِنْ أَتْبَعِنُ﴾ كذلك، فقد أسلم.

فإذاً يكون هنا مطلق الوجه لشرفه، والمراد إسلام جميع الأعضاء والإيرادات والقلب إلى آخره.

ولهذا في غير ما آية في القرآن ذكر إسلام الوجه لله، وأثني على من يسلم وجهه لله وهو محسن، كقوله **﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾** [سورة البقرة: ١١٢].

وكقوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ﴾ [سورة لقمان: ٢٢]، وغير ذلك من الآيات، كقوله الله **﴿جَلَّ وَعَلَا﴾** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ... الآية﴾ [سورة النساء: ١٢٥].

وإسلام الوجه لله **﴿جَلَّ وَعَلَا﴾** فيه فائدة - يعني التعبير بالوجه - فيه فائدة، أن من أسلم الوجه؛ فإنه لا يلتفت عمن توجه إليه أي التفات؛ لأن الوجه هو محل التركيز ومحل الآلات ومحل الحواس، فإذا أسلم الوجه وتوجه به؛ فإنه لا يلتفت ببدنه ولا بقلبه ولا بإرادته وقصده عن الله **﴿جَلَّ وَعَلَا﴾**. اهـ



❖ **ذكر بعض ما حاج الله به أهل الكتاب وبين فيه باطلهم:**

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٦٥-٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١١١-١١٢].

وقال: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ الآيات إلى قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣٥ - ١٤١]، وغيرها من الأدلة، والله المستعان.

❖ **بعض ما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾**

[سورة آل عمران: ٢٠] **من الفوائد:**

الأولى: أهمية الاستسلام لله تعالى فيما شرع.

الثانية: الإخلاص لله **جَلَّ وَعَلَا** في كل حياة المسلم.

الثالثة: إظهار المسلم لدينه قولاً وعملاً، وأن ذلك سبب لنشر هذا الدين القويم.

الرابعة: دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، وإلا تحقيق الشهادتين، لمن قدر على ذلك.

الخامسة: محاجة أهل الكتاب بوفق ما ذكر القرآن الكريم.



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" ^(١)، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.....»

❁ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»:**

❁ **تعريف الشهادة:**

قال العلامة الهراس **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح الواسطية" (ص ٢١): الشهادة الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته.

ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار، والإذعان، وواطأ القلب عليه اللسان، فإن الله قد كذب المنافقين في قولهم: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]. اهـ ^(٣).



(١) المراد به "صحيح مسلم" فقد رواه برقم (٨).

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم (٩٧).

وجاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو في "البخاري" برقم (١٦)، و"مسلم" (١١١).

وجاء عنه - أيضا -، أخرجه مسلم برقم (١١٤).

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح — بتحتانية — بن عبد الله بن قرط بن رزاح — براء ثم زاي خفيفة — بن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين مشهور جم المناقب.

استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً ع. اهـ من "التقريب" (٤١٢).

(٣) وللبسط والإيضاح راجع "شرح ابن أبي العز على الطحاوية" (ص ١٩).

❖ معنى لا إله إلا الله وبيان مقتضاها :

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ في رسالته القيمة "الأصول الثلاثة": وتفسيرها - أي: تفسير لا إله إلا الله - الذي يوضحها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ

﴿٢٧﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]. اهـ

❖ ذكر التقدير الصحيح لخبر (لا) وغلط من قدره (موجود) :

قال العلامة صالح آل الشيخ - حفظه الله - في "التمهيد" (ص ٩١): عُلم أن مشركي قريش لم يكونوا ينازعون في الربوبية، فصارت هذه الكلمة إذا دالة على غير ما أراد أولئك المتكلمون، وهو ما ذكرناه آنفاً من أن معنى: (لا إله) هو لا معبود، وأن تقدير الخبر: (موجود).

فيكون المعنى: لا معبود موجود إلا الله، وهذا باطل؛ لأننا نرى أن المعبودات كثيرة، وقد قال جَلَّ وَعَلَا مخبراً عن قول الكفار: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [سورة ص: ٥]، فدل ذلك: أن المعبودات كثيرة، والمعبودات موجودة، فتقدير الخبر بـ(موجود) غلط. ومن المعلوم: أن المتقرر في علم العربية أن خبر (لا) النافية للجنس يكثر حذفه في لغة العرب، وفي نصوص الكتاب والسنة:

من ذلك أن خبر (لا) النافية للجنس، يحذف إذا كان المقام يدل عليه.

و- أيضاً - إذا كان السامع يعلم ما المقصود من ذلك.

وقد قال ابن مالك في آخر باب (لا) النافية للجنس - لما ساق هذه المسألة -:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوطه ظهر



فإذا ظهر المراد مع حذف الخبر، فإنك تحذف الخبر؛ لأن الأنسب أن يكون الكلام مختصراً، كما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر ولا نوء ولا غول^(١)»، فأين الخبر فيما تقدم؟.

الجواب: أنه في كل ذلك محذوف؛ لكونه معلوماً لدى السامع. إذاً: فخبر (لا إله) معلوم، ولا يصح تقديره: بـ(موجود)؛ لأن الآلهة التي عبدت مع الله موجودة.

فالصحيح: تقدير الخبر بقولك: بِحَقٍّ أَوْ: حَقٌّ يعني: لا إله بحق أو لا معبود بحق، أو لا معبود حق إلا الله، وإن قدرت الظرف فلا بأس، أو قدرت كلمة مفردة فلا بأس.

فلا معبود حق إلا الله: هذا معنى كلمة التوحيد، فيكون كل معبود غير الله **جَلَّ وَعَلَا** قد عبد، ولكن هل عبد بالحق، أو عبد بالباطل، والظلم، والطغيان، والتعدي؟؟!.
الجواب: أنه قد عبد بالباطل، والظلم، والطغيان، والتعدي، وهذا يفهمه العربي بمجرد سماعه لكلمة لا إله إلا الله، ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب **رَحِمَهُ اللَّهُ**: بئس قوم أبو جهل أعلم منهم بـ(لا إله إلا الله)، فأبو جهل كان يفهم هذه الكلمة، وأبى أن يقولها.

ولو كان معناها: لا إله موجود، كما يزعم كثير من أهل هذا العصر وما قبله: لقالوها بسهولة، ولم يدروا ما تحتها من المعاني، لكنهم كانوا يعلمون أن معناها:

(١) رواه مسلم برقم (١٠٦) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

لا معبود حق إلا الله، وأن عبادة غيره إنما هي بالظلم، فهل يقرون على أنفسهم بالظلم، والبغي، والعدوان؟!.

وحقيقة معنى: (لا إله إلا الله)، هي ما شرحناه، وبيناه. اهـ

✽ حكم قول القائل: لا يوجد إله إلا الله، وقول: لا إله موجود إلا الله؟

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في "شرح أصول التفسير" (ص ١٣): قول القائل: لا يوجد إله إلا الله: هذا غير صحيح؛ لأن هناك آلهة تعبد من دون الله وتسمى آلهة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧].

وقال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة هود: ١٠١]، وغيرها من الآية التي أثبت الله للمشركين وجود آلهة، وهي حقيقة ليست بشيء.

وقول القائل: لا إله موجود إلا الله: هذا من القول بوحدة الوجود؛ لأن الله إله خالق السموات والأرض، وهذه الأصنام إله، إذن هم واحد، وبهذا يتعين أن المعنى الصحيح لكلمة الشهادة هو: أنه لا إله حق إلا الله. اهـ

✽ الحكمة في أن لفظة: (أشهد) بصيغة المتكلم المفرد بخلاف غيرها فبصيغة الجمع؟

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "خطبة الحاجة" (ص ٩): يلاحظ هنا أن الفعل بصيغة المتكلم المفرد بخلاف الأفعال المتقدمة فهي بصيغة الجمع.

وقد أبدى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في ذلك حكمة لطيفة نقلها عنه تلميذه ابن القيم في "تهذيب السنن" (٣/ ٥٤)، فقال: والأحاديث كلها متفقة على أن



«نستغفره»، و«نعوذ به»، والشهادتين بالإنفراد: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد، ولا تقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها.

ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار تقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره ويستعين الله له ويستعيذ بالله له أتى فيها بلفظ الجمع، ولهذا يقول: اللهم أعنا وأعزنا واغفر لنا.

قال ذلك في حديث ابن مسعود، وليس فيه نحمده.

وفي حديث ابن عباس: «نحمده» - بالنون - مع أن الحمد لا يتحملة أحد عن أحد، ولا يقبل النيابة.

وفيه معنى آخر: وهو أن الاستعانة، والاستعاذة، والاستغفار طلب وإنشاء، فيستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين.

وأما الشهادة فهي إخبار عن شهادته لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله، بخلاف إخباره عن غيره؛ فإنه يخبر عن قوله ونطقه لا عن عقد قلبه، والله أعلم. اهـ

قلت - أي: الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** -: إن لفظة: «نحمده» قد وردت في حديث ابن مسعود

من طريقين، ووردت في حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عند «مسلم»، وغيره. اهـ

❁ شروط لا إله إلا الله:

قال العلامة حافظ حكيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "معارج القبول" (٢/ ٤١٩): هذا تفصيل الشروط السبعة التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وفق ذلك تفز بسعادة الدنيا والآخرة - إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ** -، كما وعد الله تعالى ذلك، إنه لا يخلف الميعاد:

❁ **الأول: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك:**

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٦] أي: بلا إله إلا الله، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

وقال الله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

﴾ [سورة العنكبوت: ٤٢].

وفي صحيح مسلم (٤٣)، عن عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة».



✽ **الثاني: اليقين المنافي لا شك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً:**

فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله، كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا. فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله - الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٥].

وفي - "صحيح مسلم" (٤٤) - من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما؛ إلا دخل الجنة».

وفي رواية لمسلم (٤٥): «لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما؛ فيحجب عن الجنة».

وفي "صحيح مسلم" (٥١) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من حديث طويل - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بنعليه، فقال: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه؛ فبشره بالجنة... الحديث».

فاشترط في دخول قائلها الجنة: أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

✽ الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه :

قد قص الله عَزَّوَجَلَّ علينا من أنباء ما قد سبق، من إنجاء من قَبْلَهَا، وانتقامه ممن رَدَّهَا وأبأها، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰؤِجِدْتُمْ يُهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الزخرف: ٢٣-٢٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم: ٤٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة يونس: ١٠٣].

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدّه لمن ردها من العذاب، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الصافات: ٣٥-٣٦].

فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يشبوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً - كما أخبر الله عنهم -: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَٰهًا وَحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأُخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خَيْالٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة ص: ٥-٧].



وقالوا هاهنا: ﴿أَيُّنَا لَتَارِكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [سورة الصافات: ٣٦].

فكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ، ورد ذلك عليهم عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿بَلْ جَاءَ

بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات.

ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾

فَوَكَهَهُمْ مُمْكِرُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ [سورة الصافات: ٤٠-٤٣] إلى آخر الآيات.

وقَالَ تَبٰرَكَ الَّذِي جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمِذٍ ؕ ؕ ﴿٨٩﴾ [سورة

النمل: ٨٩].

وفي - "البخاري" (٧٩)، و"مسلم" (٢٢٨٢) -، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير

أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت

منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب

منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في

دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل

هدى الله الذي أرسلت به».

❁ الرابع: الانقياد لما دلت عليه الانقياد المنافي للترك :

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [سورة الزمر: ٥٤].

وقَالَ تَبٰرَكَ الَّذِي أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١٢٥﴾

[سورة النساء: ١٢٥].

وَقَالَ نِسَالِي: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾
أي: بلا إله إلا الله ﴿وَالَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) [سورة لقمان: ٢٢].

ومعنى: ﴿يُسَلِّمْ وَجْهَهُ﴾ أي: ينقاد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد، ومن لم يسلم وجهه
إلى الله، ولم يك محسناً؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

وهو المعنى بقوله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ؛ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى
عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) [سورة لقمان: ٢٣-٢٤].

وفي حديث صحيح^(١)، - عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم؛ حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» هذا هو
تمام الانقياد وغايته.



(١) ضعيفٌ سنداً صحيحٌ معناً: قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحكم»
(٢/ ٣٩٣): قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - أي: النووي -: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب
«الحجة» بإسناد صحيح!.

يريد بصاحب كتاب الحجة، الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الفقيه
الزاهد، نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب: «الحجة على تارك المحجة» يتضمن ذكر
أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة، وقد خرج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم
في كتاب «الأربعين»، وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار، وحياد الآثار مما
أجمع الناقلون على عدالة ناقله، وخرجته الأئمة في مسانيدهم... إلخ. اهـ.
قلت: والحديث وإن كان قد أعلّه بعض العلماء بضعف نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن معناه
صحيحٌ، والله أعلم.



❖ الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطىء قلبه لسانه، قال الله عزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَلَهُمُ الْوَسْطَةُ الْعَظِيمَةُ﴾ [سورة العنكبوت: ١-٣].

وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذبا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨-١٠].

وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد، وكشف أستارهم وهتكها، وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه، كالبقرة وآل عمران والنساء، والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم، وغير ذلك.

وفي - "البخاري" برقم (١٢٨)، و"مسلم" (٣٢) - عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه؛ إلا حرمه الله على النار».

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار؛ أن يقولها صدقا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطاة القلب.

وفي "البخاري" (٦٣) و"مسلم" (١٢) - من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ومن حديث طلحة بن عبيد الله - في "البخاري" (٤٦) و"مسلم" (١١) - في قصة ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شرائع الإسلام،

فأخبره - قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع». قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق». وفي رواية للنسائي (٤٥٩) - قال عنها العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف النسائي": صحيح - قال ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة»، فاشتراط في فلاحه ودخول الجنة: أن يكون صادقاً.

❁ السادس: الإخلاص:

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [سورة الزمر: ١٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [١٤٥] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا [١٤٦] [سورة النساء: ١٤٥-١٤٦].

وفي - "البخاري" (٩٩) - عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه - أو نفسه -».

وفي "البخاري" (٤٢٥) و"مسلم" (٣٣)، عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،



عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**».

وفي "جامع الترمذي" (٣٥٩٠)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً؛ إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ
وقال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح وضعيف الترمذي" الرقم السابق: حسن. اهـ

وللنسائي في "اليوم والليلة" (٢٨)، من حديث رجلين من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصاً له بها قلبه، يصدق بها لسانه؛ إلا فتق الله لها السماء فتقاً، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله».

قال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تخريج "كلمة الإخلاص" (ص ٦١): إسناده صحيح. اهـ

✽ السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها المنتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك:

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ نَبِيُّهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

فأخبرنا الله عزَّ وجلَّ أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونه كحبه. اهـ

وقد نظم بعضهم شروط لا إله إلا الله، فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها
وزيد ثا منها الكفرانُ منك بما سوى الإله من الأشياء قد ألهها

❁ **ركنا شهادة أن لا إله إلا الله وبيان أن النفي المحض أو الإثبات المحض ليسا بتوحيد:**

الركن الأول: النفي، وهو قول (لا إله) نافياً وجود معبود بحق سوى الله.
والركن الثاني: الإثبات: وهو قول (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده، دون كل من سواه.

فالإثبات المحض ليس بتوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، فلا بد من الجمع بينهما، والله أعلم.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "البدائع" (١/١٤١): طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد. اهـ (١)



(١) انظر: للمزيد: "معارج القبول" (٢/٤١٨) و"الدروس المهمة" الدرس الثاني و"البيان =



✽ إعراب لا إله إلا الله :

قال العلامة العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "شرح أصول في التفسير" (ص ١٣): أسلم ما يقال في إعراب (لا إله إلا الله): أن خبر (لا) النافية محذوف، ولفظ الجلالة الذي بعد (إلا) بدل منه. اهـ

قلت: وتقدم قبل صفحات كلام صاحب "التمهيد" المتعلق بإعرابها في الكلام على معناها، فيراجع.



المفيد" (ص ١٢) و "التمهيد شرح كتاب التوحيد" (ص ٩٣) و "القول المفيد في أدلة التوحيد" (ص ٢٨) وغيرها.

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....

✽ معنى اسم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان أيهما أبلغ هو أو محمود:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "الزاد" (١/ ٨٧): أما محمد، فهو اسم مفعول من حمد، فهو مُحَمَّدٌ إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود؛ فإن محمودا من الثلاثي المجرد، ومحمد من المضاعف للمبالغة، فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر.

ولهذا - والله أعلم - سمي به في التوراة؛ لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه، وأتمته في التوراة حتى تمنى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون منهم. اهـ قلت: والمعنى الذي ذكره ابن القيم هو الأقرب، والله أعلم. وقد سمي به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن وفي السنة:

أما القرآن: فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

[سورة آل عمران: ١٤٤].

وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة

الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة محمد: ٢].

ومن السنة: الحديث الذي نشرحه، والله المستعان.

ومن أسمائه - أيضًا - أحمد: قال تعالى مخبراً عن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمُبَشِّرًا

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف: ٦].



وقد سمي به في القرآن، ومن أسمائه القافي والحاشر، وغيرها... ليس هذا موضعها.

وقد قمت بجمع ما تيسر مما ثبت من أسمائه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وصفاته، نسأل من الله الإعانة على إتمامها.

❖ أدلة إثبات رسالته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٨١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦١].

وقال تعالى وتقدس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

وقال الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، وغيرها من الأدلة.

❖ تعريف النبي والرسول والفرق بينهما:

قال العلامة الهراس **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح الواسطية" (ص ١٦): الرسول في اللغة: هو

من بعث بالرسالة يقال: أرسله بكذا إذا طلب إليه تأديته وتبليغه، وجمعه رُسل -

بسكون السين - ورُسل - بضمها - .

وفي لسان الشرع: إنسان ذكر حر، أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن أوحى إليه

ولم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبي، فكل رسول نبي ولا عكس؛ فقد يكون نبياً غير رسول.
اهـ

وقال الإمام الشنقيطي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "أضواء البيان" (٢٩٠/٥): وآية الحج هذه تبين أن ما أشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحى إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحى إليه، وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [سورة الحج: ٥٢]. يدل على أن كلاهما مرسل، وأنها مع ذلك بينهما تغاير.

واستظهر بعضهم: أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل، مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنباء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [سورة المائدة: ٤٤]. اهـ

وقال العلامة الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في "التعليقات الأثرية" (ص ١١): أعلم أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، وقد ذكروا فروقا بين الرسول والنبي، تراها في "تفسير الألوسي" (٥/ ٤٤٩-٤٥٠) وغيره.

ولعل الأقرب: أن الرسول من بعث بشرع جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم: أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى، كما لا يخفيها. اهـ



❖ شروط شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الأول: الاعتراف برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقادها باطناً وظاهراً.

الثاني: النطق بذلك، والاعتراف به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهراً وباطناً.

الثالث: المتابعة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

الرابع: تصديقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر من أمر ونهي، وغيوب ماضية ومستقبلية، وغير ذلك.

الخامس: محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد من محبة النفس، والوالد والولد، والمال، والناس أجمعين.

السادس: تقديم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قول كل أحد من الناس، كائناً من كان، والعمل بسنته.

السابع: تعظيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوقيره واحترامه وإجلاله وإعظامه، وكذا ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ (١).

❖ بيان معنى: شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعرفة مقتضاها:

أما معناها: فهو أنه لا متبوع بحقٍ إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغير رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن اتبع فيما لا دليل عليه؛ فقد اتبع بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا

ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].



(١) من "التوحيد المقرر" (ص ٥٠) و"القول المفيد في أدلة التوحيد" (ص ٣٦)، وغيرها.

وأما مقتضاها: فهو أن يعبد الله بما شرع على لسان رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، مقتدياً به في أموره في حله وترحاله مع القريب والبعيد والصديق والعدو، فما أمرنا به نفعل ما استطعنا منه، وما نهانا عنه نجتنبه، والله أعلم ^(١).



(١) راجع: "التوحيد المقرر" (ص ٥٠)، و"القول المفيد في أدلة التوحيد" (ص ٣٦).



وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعَتْ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

✽ تعريف الصلاة لغةً وشرعاً ومتى كان فرضها :

الصلاة لغة: هي الدعاء.

وشرعاً: هي التعبد لله تعالى بأقوال، وأفعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وكان فرضها في مكة ليلة ما أسري به ﷺ. لها شروط وأركان وسنن وواجبات محلها كتب الفقه.

✽ هل الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة أم مفترقين؟

جمهور أهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: أن الإسراء والمعراج كان في ليلة واحدة في اليقظة، وكان بجسده وروحه^(١).

✽ تعريف الزكاة لغةً وشرعاً ومتى كان فرضها :

الزكاة لغة: النماء.

وشرعاً: جزء واجب من مال مخصوص، لطائفة وجهة مخصوصة. كان فرضها في السنة الثانية بعد الهجرة قبل فرض رمضان، وهو قول الأكثرين. لها شروط وأركان وسنن وواجبات محلها كتب الفقه^(٢).

✽ تعريف الصيام لغةً وشرعاً ومتى كان فرضه :

الصيام لغةً: هو الإمساك.

(١) انظر: "الفتح" تحت رقم (٣٨٨٦) وغيره.

(٢) انظر: "لسان العرب" (٣٥٨/١٤) و"الفتح" (٣/٣٣٦).

وشرعاً: هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع، وغيرها من المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، على نية التقرب إلى الله. وقيل: هو إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص بشرائط مخصوصة، كان فرضه في السنة الثانية من الهجرة. له شروط وأركان وسنن وواجبات محلها كتب الفقه^(١).

✽ تعريف الحج لغةً وشرعاً ومتى كان فرضه :

الحج لغةً: القصد. وشرعاً: هو قصد مكة، لأداء مناسكه، في زمن مخصوص، كان فرضه في السنة التاسعة من الهجرة على أرجح الأقوال. له شروط وأركان وسنن وواجبات محلها كتب الفقه^(٢).

وقد يسر الله جَلَّ وَعَلَا أن شرعنا في بحث شامل لأركان الإسلام، وما يتعلق بها من شروط وأركان وواجبات ومستحبات ومبطلات، نسأل من الله الإعانة على إتمامه وأن يرزقنا الإخلاص وأن يستعملنا في دينه.

✽ الإسلام يتفاضل كما يتفاضل الإيمان :

لحديث إي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام... الحديث»، وهو عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «البخاري» برقم (١٢) و«مسلم» (١٦٠).



(١) انظر: «المغني» (٣/ ٨٥) و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٧٢) و«البداية والنهاية» (٣/ ٢٥٤) و«الفتح» (٤/ ١٠٢).

(٢) راجع: «الزاد» (٢/ ١٠١) و«الفتح» (٣/ ٤٧٦ - ٤٧٧).



ولحديث: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وهو عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «البخاري» برقم (١١) و«مسلم» (١٦٠)، وغيرهما من الأدلة (١).

❁ اتفاق الملل على أركان الإسلام والإيمان مع اختلاف في الفروع:

جمهور أهل العلم: على أن أركان الإسلام والإيمان وأصول الدين: اتفقت عليها الملل كلها، مع اختلاف في بعض الفروع والكيفيات. ومن نظر في الكتاب والسنة؛ يجد الكثير من الأدلة الدالة على ذلك، ولولا خشية الإطالة لسقتها، والله المستعان، وهو أعلم وأحكم.



قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»:

❖ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١/ ٥٣): قوله: «المسلم»: قيل الألف واللام فيه للكمال، نحو زيد الرجل أي: الكامل في الرجولية، وتعقب: بأنه يستلزم أن من اتصف بهذا خاصة كان كاملاً، ويجب أن المراد بذلك مع مراعاة باقي الأركان.

قال الخطابي: المراد أفضل المسلمين من جَمَعَ إلى أداء حقوق الله تعالى، أداء حقوق المسلمين انتهى.

وإثبات اسم الشيء على معنى إثبات الكمال له مستفيض في كلامهم. ويحتمل أن يكون المراد بذلك: أن يبين علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه، وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده؛ كما ذكر مثله في علامة المنافق.

(١) إن كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يريد بقوله: وفيه أي: في الباب؛ فصواب، وإن كان يريد في «الصحيح»، فوهم؛ لأن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ، أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، ولم يخرج أحد صاحبَي الصحيحين، والله أعلم.

وقد جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عند «البخاري» برقم (١٠)، و«مسلم» (١٦١).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «البخاري» (١١)، و«مسلم» (١٦٢). وعن جابر، في «مسلم» (٤١)، والله أعلم.



ويحتمل أن يكون المراد بذلك: الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه؛ لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه؛ فأولى أن يحسن معاملة ربه من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

قال الحافظ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: تنبيه: ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب: لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا، وإن كان فيهم من يجب الكف عنه، والإتيان بجمع التذكير؛ للتغليب، فإن المسلمات يدخلن في ذلك. اهـ

✽ **الحكمة من تخصيص اللسان واليد:**

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "الفتح" (١/ ٥٤): وخص اللسان بالذكر؛ لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد؛ لأن أكثر الأفعال بها. والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد؛ لأن اللسان يمكنه القول في الماضيين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد، نعم يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وأن أثرها في ذلك لعظيم.

✽ **هل يدخل في الأذية باليد إقامة الحدود والتعزير للمسلم؟**

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ** - عقب كلامه السابق -: ويستثنى من ذلك شرعاً تعاطي الضرب باليد، في إقامة الحدود والتعازير على المسلم المستحق لذلك. وفي التعبير باللسان دون القول نكتة: فيدخل فيه: من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء.

وفي ذكر اليد دون غيرها من الجوارح نكتة: فيدخل فيها: اليد المعنوية، كالاستيلاء على حق الغير بغير حق. اهـ

✽ تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الْحَدِيثِ :

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»: هذا يدل على التعميم، وأن الإسلام أعم، يعم الأركان وغير الأركان.

فالمسلم حقاً هو الذي أدى الأركان وأدى ما أوجب الله عليه، وكف يده عن ظلم الناس، وعن التعدي لحدود الله. اهـ

✽ بعض ما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» من

الفوائد:

الأولى: أهمية المحافظة على الجوارح التي استأمننا الله عليها.

الثانية: حرمة دم المسلم وعرضه إلا بحق.

الثالثة: نقصان إسلام المرء بقدر ما ينال من عرض ودم أخيه المسلم، بغير حق.

الرابعة: حفظ حقوق الغير من مسلمين وكفار، بموجب الشريعة الإسلامية، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ^(١) أنه سأل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الإسلام؟، فقال: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وَأَنْ تُولِيَ وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ تَصْلِيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ»، رواه أحمد ^(٢).

✧ قوله: («تولي وجهك إلى الله»): قال الإمام الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** «الرسالة» (ص ٤٥): أي: وجَّهه إلى الله. اهـ

✧ قوله: («تصلي الصلاة المكتوبة»): أي: تأتي بها على ما ينبغي. اهـ من «إرشاد الساري» (١/ ١٣٩).

✧ قوله: («تؤدي الزكاة المفروضة»): قال القسطلاني **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** «إرشاد الساري» (١/ ١٣٩): قُيِّدَ بها احترازًا من صدقة التطوُّع، فإنها زكاة لغوية أو من المعجلة،

✦
^(١) هو بهز بن حكيم بن معاوية القشيري أبو عبد الملك صدوق من السادسة مات قبل الستين خت ٤٠٤هـ من «التقريب» (ص ١٢٨).

ووالده هو: حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري صدوق من الثالثة خت ٤٠٤هـ «التقريب» (ص ١٧٧).

وجده هو: معاوية بن حيدة بن معاوية بن كعب القشيري صحابي نزل البصرة ومات بخراسان وهو جد بهز بن حكيم خت ٤٠٤هـ من «التقريب» (ص ٥٣٧).

^(٢) حسنٌ: أخرجه أحمد برقم (٢٠٠٢٢)، وأبو داود (٢١٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٢)،

والبيهقي في «الكبرى» (٣٥٥/٧)، وابن نصر في «السنة» (٤٠٤)، كلهم من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، وبهز وأبوه صدوقان. وبقية رجاله ثقات، فالحديث حسن. وله شواهد يأتي ذكرها بعد - إن شاء الله تعالى -.

أو لأن العرب كانت تدفع المال للسخاء والجود، فنَبّه بالفرض على رفض ما كانوا عليه.

قال الزركشي: والظاهر أنها للتأكيد.

وفي رواية مسلم: «تقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة». اهـ

❁ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإسلام أن تسلم قلبك لله... الحديث» من

الفوائد:

الأولى: أخذ المسلم لدينه من جميع جوانبه.

الثانية: الإقبال على الله تعالى، والانقياد له، والتذلل والاستسلام له، في كل ما شرع.

الثالثة: المحافظة على أركان الإسلام، ومن بابٍ أولاً: أركان الإيمان.

الرابعة: تلازم الصلاة والزكاة في كثير من الآيات والأحاديث:

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن

الزكاة حق المال، رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي قلابة^(١)، عن رجلٍ من أهل الشام، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) أنه سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الإسلام؟ قال: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وَيُسَلِّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدُكَ». قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال: «أَنْ تَوْمِنَ بِاللَّهِ.....»

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته... الحديث»:**

طريقة الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا وبيان أنه أهم أركان الإيمان الستة:

❖ **الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:**

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (ص ٥٥): الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

❖ **الأول: الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ دَلَّ عَلَى وَجُودِهِ: الفطرة والعقل والشرع والحس:**

أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

(١) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجرمي، أبو قلابة البصري ثقة فاضل كثير الإرسال. قال العجلي: فيه نصب يسير من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها ع. اهـ. «التقريب» (ص ٤٠٣).

(٢) الرجل من أهل الشام: هو ولد عمرو بن عبسة، ولا يدري ما اسمه، وما حاله. ووالده هو: عمرو بن عبسة — بموحدة ومهملتين مفتوحات — بن عامر بن خالد السلمي، أبو نجيح صحابي مشهور، أسلم قديماً، وهاجر بعد أحد، ثم نزل الشام م ٤. اهـ — من «التقريب» (ص ٤٤).

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، رواه البخاري برقم (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟.

ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقاءه وتطوره؟!.

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ حُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيطُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٧]، وكان جبير يومئذ مشركاً قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبه، رواه البخاري برقم (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣).

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحداثق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفها من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!.

وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك. وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه.

وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين: أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين، ما يدل دلالة

قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦].

وَقَالَ نِسَالِي: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٩].

وفي "صحيح البخاري" برقم (٩٣٣)، و"مسلم" (٨٩٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب فقال يا رسول الله: هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأى المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال يا رسول الله: تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت. وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق أثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الشعراء: ٦٣].



ومثال ثان: آية عيسى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث كان يحيى الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: **﴿وَأَحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [سورة آل عمران: ٤٩].

وقال: **﴿وَأَدْ تَخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾** [سورة المائدة: ١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فأنفلق فرقتين فرآه الناس، **قَالَ نَسَاطَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾** **﴿١﴾** **وَأَنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُونَ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ** **﴿٢﴾** [سورة القمر: ١-٢].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

✽ الثاني: الإيمان بربوبيته : أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

تعريف الرب:

الرب: من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله ولا مالك إلا هو ولا أمر إلا له، **قَالَ نَسَاطَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** [سورة الأعراف: ٥٤].

وقال: **﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾** **﴿٣﴾** [سورة فاطر: ١٣].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتمد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: **﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾** **﴿٢٤﴾** [سورة النازعات: ٢٤].

وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾** [سورة القصص: ٢٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾** [سورة النمل: ١٤].

وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله

تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْرِيءُ مَلَائِكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ

الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٩].

وقال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي

فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات

وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مُشْرَعًا في

العبادات أو حاكمًا في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

❖ **الثالث: الإيمان بألوهيته أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له :**

والإله: بمعنى المألوه أي: المعبود حبا وتعظيما، قال الله تعالى: ﴿وَالْهَكَمُ إِلَهٌ

وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨].



وكل ما اتخذَ إليها مع الله يعبد من دونه؛ فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج: ٦٢].

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية.

قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [سورة النجم: ٢٣].

وقال عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَتَجِدُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧١].

وقال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لصاحبي السجن: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْتُكَ خَيْرَ أَمْرِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف: ٣٩-٤٠].

ولهذا كانت الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩]، ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويستنصرون بهم، ويستغيثون، وقد:

أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعباديتها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝﴾ [سورة الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۝﴾ [سورة سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال: ﴿يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۝﴾ [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه.

وهذا يستلزم أن يوحده بالألوهية، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١-٣٢].

❖ الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته :

أي: ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم: ٢٧].

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]. وقد:

ضل في هذا الأمر - أمر الأسماء والصفات - طائفتان:

إحداهما: المعطلة الذين أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها، زاعمين أن إثباتها

يستلزم التشبيه أي: تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وذلك أن الله

تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات ونفى أن يكون كمثل شيء، ولو كان إثباتها

يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشئيين في أسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهما إنسان سميع بصير متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع والبصر والكلام.

وترى الحيوانات لها أيد وأرجل وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: المشبهة الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص؛ لأن الله تعالى يخاطب العباد يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل، يبطله العقل والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى - وهو إدراك الأصوات - لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سميع الله تعالى غير معلومة؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل



المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، فإن الاستواء تتباين في حق المخلوق.

فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها ما يلي:

١- تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفًا، ولا يعبد

غيره.

٢- كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العليا.

٣- تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه. اهـ



وملائكته، وكتبه، ورسله.....

✽ الإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على قسمين:

إيمانٌ مجمل: وهو أن نؤمن بأنهم عالم غيبي، خلقوا من نور، لا يأكلون ولا يتزوجون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم، ولا يُحْصَوْنَ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

وإيمانٌ مفصل: وهو أن نؤمن بمن عرفنا اسمه منهم، وبما وكل به من العمل، كجبريل موكل بالوحي، ومالك بالنار، إلى غير ذلك. وله تتمّة، ذكرتها في التكميل الآتي بعد أسطر - إن شاء الله تعالى -.

✽ الإيمان بالكتب المنزلّة من عند الله على قسمين:

إيمانٌ مجمل: وهو أن نؤمن بالكتب المنزلّة ما علمنا منها وما لم نعلم، وبما فيها مما لم يغير ولم يبدل ولم ينسخ، وأن القرآن ناسخ لها جميعاً، والله أعلم. وإيمانٌ مفصل: وهو أن نؤمن بأن التوراة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد، والزبور على داود عليهم الصلاة والسلام إلى غير ذلك. وله تتمّة تأتي بعد أسطر - إن شاء الله -.

✽ الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على قسمين:

إيمانٌ مجمل: وهو أن الله بعث الرسل إلى الناس منذرين ومبشرين، منهم من علمنا ومنهم من لم نعلم، كما قال الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَّصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر: ٧٨].



وإيمانٌ مفصل: وهو الإيمان بمن سماه الله لنا في كتابه، ممن علمنا برسالته، وعلى من أرسل، كعيسى وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى بني إسرائيل، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس عامة، إلى غير ذلك.

وله تتمّة تأتي بعد أسطر - إن شاء الله - (١).

❖ ذكر من سُمِّي في الكتاب والسنة من الملائكة والكتب والرسل:

❖ الأول: ذكر من سُمِّي في الكتاب والسنة من الملائكة:

قال الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٧-٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٤/٤٣٧): أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَسَ بالليل وحَرَسَ بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار: فائنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات.

(١) راجع: "شرح الطحاوية" لابن أبي العز: (ص ٥٨ - ٦١)، (٧٣ - ٧٥)، و"تفسير السعدي"

عند قوله تعالى: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، وغيرها من

المصادر، والله أعلم.

وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدًا من ورائه وآخر من قدامه.
فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلًا حافطان وكاتبان.
كما جاء في "البخاري" برقم (٥٥٥)، و"مسلم" (٦٣٢): «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟، فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون».
وفي الحديث الآخر^(١): «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرمموهم».

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة.
وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه.
وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه.

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ قال: ذلك ملك من ملوك الدنيا، له حرس من دونه حرس.

(١) ضعيفٌ: رواه الترمذي برقم (٢٨٠٠)، راجع "ضعيف الترمذي" برقم (٥٢٩).



وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني: ولي الشيطان، يكون عليه الحرس. وقال عكرمة في تفسيرها: هؤلاء الأمراء: المواكب من بين يديه ومن خلفه.

وقال الضحاك: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: هو السلطان المحترس من أمر الله، وهم أهل الشرك.

والظاهر - والله أعلم -: أن مُراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا: أن حرس الملائكة للعبيد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم.

وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً غريباً جداً - وساق بسنده -، عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أخبرني عن العبد، كم معه من ملك؟، فقال: «ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمر على الذي على الشمال، إذا عملت حسنة كتبت عشرا، فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: اكتب؟. قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب، فإذا قال ثلاثا. قال: نعم، اكتب أراحنا الله منه، فبئس القرين ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياءه منا، يقول الله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]، وملكان من بين يديك

ومن خلفك، يقول الله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١]، وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفيتك، ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ﷺ، وملك قائم على فيك لا يدع الحية أن تدخل في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة

النهار؛ لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي وإبليس بالنهار، وولده بالليل»^(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولكن أعاني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير»، رواه مسلم برقم (٧٢٨٦). وقوله: **﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** قيل: المراد حفظهم له من أمر الله، رواه علي بن أبي طلحة، وغيره، عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم النخعي، وغيرهم.

وقال قتادة: **﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** قال: وفي بعض القراءات: يحفظونه بأمر الله. وقال كعب الأحبار: لو تجلّى لابن آدم كل سهل وحزن، لرأى كل شيء من ذلك شياطين لولا أن الله وكّل بكم ملائكة عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم، إذا لتخطفتم.

وقال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه، حتى يسلمه للذي قدر له. وقال أبو مجلز: جاء رجل من مُراد إلى علي س وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدرُ خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.



(١) ضعيفٌ: قال العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على "تفسير الطبري" (١٦/٣٧٠): فيه نكارة وضعف شديد، وانفرد بروايته أبو جعفر الطبري عن المثنى. اهـ وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث غريب جداً. اهـ



وقال بعضهم: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بأمر الله، كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، أرايت رُقِيْ نَسْتَرَقِي بها، هل ترد من قَدَر الله شيئاً؟، فقال: «هي من قَدَر الله (١)». اهـ

وقال الألوسي في "تفسيره" (٣٤٤/١٩): روى ابن المنذر، وأبو الشيخ في "العظمة"، عن ابن المبارك أنه قال: وكل بالعبد خمسة أملاك ملكان بالليل، وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان، وملك خامس لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً.

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ [سورة الزمر: ٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٨]. وَقَالَ نَبِيُّ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تفسيره" (ص ٨٠٥): قوله: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨] أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١١]. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿إِن تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [سورة التحريم: ٤].

(١) ضعيفٌ: رواه الترمذي (٢٠٦٥)، عن أبي خزيمة، وقال: حديث حسن. اهـ وهو في "ضعيف الترمذي" (٣٥٩).

وقال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٣١)

[سورة المدثر: ٣١].

وروى البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٤)، عن مالك بن صعصعة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حديث الإسراء -: «فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم». وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل افتتح صلاته يقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة...»، رواه مسلم (١٨٤٧).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى بهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، رواه مسلم (٧٣٤٣).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن تظط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا، والله لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»، رواه أحمد (٢١٥٥٥)، والترمذي (٢٣١٢)، وقال: حسن غريب. اهـ

ورواه ابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم (٣٨٨٣)، وقال: صحيح الإسناد. اهـ (١)

(١) صحيح: راجع "الصحيحة" برقم (١٧٢١).



وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر، ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راکع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك! ما عبدناك حقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»، رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٨٤) (١).

✽ بعض ما وكل به الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الأعمال:

منهم الموكل بالوحي:

وهو جبريل، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾﴾ [سورة النجم: ٥-٧].

وقال الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة التكويم: ١٩-٢١].

المواطن التي رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها جبريل على صورته الحقيقية: رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورته التي خلق عليها مرتين، وبقيتها كان يأتيه في صورة رجل:

الأولى: قال الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة التكويم: ٢٣].

(١) فيه كلام: قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢): فيه عروة بن مروان. اهـ.
وقال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣٩٦): ليس بالقوى. اهـ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره" (٣٣٩ / ٨): يعني: ولقد رأى محمدٌ جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّوَجَلَّ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣) أي: البين.

وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء.

وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) [سورة النجم: ٥-٩]، كما تقدم تفسير ذلك وتقريره. اهـ.

الثانية: ليلة الإسراء في السماء: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) [سورة النجم: ١٣-١٥].

وروى مسلم (١٧٧)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها سألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تفسير الآيتين المتقدمتين، فقال: «إنما هو جبريل لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عِظْمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض».

إذا سلمنا بأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من نزل بالقرآن فما معنى قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هذا ملك نزل إلى الأرض... أبشر بنورين أوتيتهما... فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة»:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم»، فنزل منه ملك، فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم»،



فسلم، وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أعطيته»، رواه مسلم برقم (١٩١٣).

قال القاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مرقاة المفاتيح» (١٧/١٥): قال ابن مسعود: فأعطني رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أي: تلك الليلة - ليلة الإسراء - أو في ذلك المقام والحالة ثلاثاً أي: لها - هذه الأمة - على ما عداها مزية كاملة:

أعطي الصلوات الخمس أي: فرضيتها، وأعطي خواتيم سورة البقرة أي: إجابة دعواتها. فإن قلت هذا بظاهره ينافي ما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره، من حديث ابن عباس بينا جبريل، - وذكر الحديث السابق - وفيه: فقال يعني الملك الآخر: «أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أعطيته».

قلت: لا منافاة، فإن الإعطاء كان في السماء، من جملة ما أوحى إلى عبده ما أوحى، بقرينة إعطاء الصلوات الخمس في المقام الأعلى، ونزول الملك المعظم لتعظيم ما أعطي، وبشارة ما خص به من بين سائر الأنبياء.

نعم يشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية، وقضية المعراج بالاتفاق مكية، فيدفع باستثناء الخواتيم من السورة؛ فهي مدنية باعتبار أكثرها، فقد نقل ابن الملك عن الحسن، وابن سيرين، ومجاهد: إن الله تعالى تولى إحياءها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج، فهي مكية عندهم.

وأما الجواب على قول الجمهور: أن السورة بكمالها مدنية، فقد قال التوربشتي: ليس معنى قوله: «أعطي» أنها أنزلت عليه، بل المعنى أنه استجيب له فيما لقن، في

الآيتين من قوله: سبحانه: ﴿عُفِّرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥] إلى قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا

فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، ولمن يقوم بحقها من السائلين.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: في كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال؛ لأن المراد منه الاستجابة، وهي مسبقة بالطلب، والسورة مدنية، والمعراج في مكة.

ويمكن أن يقال هذا من قبيل: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٠]، والنزول بالمدينة من قبيل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣] إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٥]. اهـ

وحاصله: أنه وقع تكرار الوحي فيه تعظيمًا له، واهتمامًا بشأنه، فأوحى إليه في تلك الليلة بلا واسطة، ثم أوحى إليه في المدينة بواسطة جبريل.

وبهذا يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

ويمكن أن يحمل كلام الشيخ على أن المراد هنا بالإعطاء استجابة الدعاء، مما اشتمل الإتيان عليه، وهو لا ينافي نزولها بعد الإسراء إليه.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما أوتر الإعطاء، لما عبر عنها بكنز تحت العرش، فقد روينا عن أحمد بن حنبل: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهن نبي قبل». اهـ

ومنهم الموكل بالقطر والنبات:

وهو ميكائيل: قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٨].



وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفهما على الملائكة مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام.

وفي الحديث: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل» - تقدم تخريجه -.

ومنهم الموكل بالصور:

وهو إسرافيل: وهو ثالث الملائكة المفضلين، وأحد حملة العرش.

تعريف الصور:

الصور: قرن عظيم ينفخ فيه، روى الإمام أحمد (١٦٢/٢)، عن ابن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: جاء أعرابي إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: ما الصور؟، فقال: «قرن ينفخ فيه».

ورواه الحاكم (٥٠٦/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي واللفظ للحاكم ^(١). وعن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر». قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟. قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا» رواه أحمد (٧/٣) والترمذي (٢٤٣١).

قلت: وهو في «الصحيحة» برقم (١٠٧٨).

عدد نفخات الصور:

ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث:



(١) صحيح: راجع «صحيح الترمذي» برقم (١٩٧٩).

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة النمل: ٨٧].

وهذه هي نفخة الفزع، ودل على النفختين الآخرين: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٨] (١).

الحكمة من تخصيصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل وميكائيل وإسرافيل في دعاء قيام الليل: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "الزاد" (١/٤٣): فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة؛ لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات، فلم يُسم إلا هؤلاء الثلاثة:

فجبريل: صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.
وميكائيل: صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات.
وإسرافيل: صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه، أحييت نفخته بإذن الله الأموات، وأخرجتهم من قبورهم. اهـ

ومنهم الموكل بقبض الأرواح:

وهو ملك الموت، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَقَّعُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة: ١١].

وله أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسناً ففي أحسن



(١) انظر: "كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ص ١٤٧).



هيئة، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة، قال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٦١].

ويأتي تفصيل ذلك أكثر - إن شاء الله - في الكلام على حديث البراء.

ما صحة ما ورد من أن اسم ملك الموت عزرائيل؟

قال في "شرح الطحاوية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية" (ص ٨٧): وتسميته بعزرائيل لم يثبت في كتاب ولا سنة، وإن ورد عن أهل الكتاب، فلا نثبته ولا نفيه؛ لقول النبي ﷺ: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم». اهـ

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "أحكام الجنائز" (ص ١٥٦): اسمه في الكتاب والسنة: ملك الموت، وأما تسميته بعزرائيل، فمما لا أصل له، خلافا لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات! اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في "تخريجه للطحاوية" (ص ٧٢): أما تسميته عزرائيل، كما هو الشائع بين الناس، فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات. اهـ

ومنهم الموكل بالجبال:

في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف، - قال ﷺ: «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله

من أصلا بهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»، رواه البخاري برقم (٣٢٣١)،
ومسلم (١٧٩٥)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قبيس، والذي يقابله.

ومنهم الموكل بالرحم:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله لأوكل ملكاً يقول: يا رب! نطفة. يا رب! علقة. يا رب! مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه. قال: أذكر أم أنثى؟. شقي أم سعيد؟، فما الرزق والأجل؟، فيكتب في بطن أمه»، رواه البخاري برقم (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

ومنهم حملة العرش:

قَالَ نَبِيُّ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة غافر: ٧].

وقال الله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [سورة الحاقة: ١٧].

قال بعض العلماء: الذين حول العرش هم (الكروبيون)، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة. اهـ (١).

ومنهم خازن الجنة وأعوانه:

قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" (١٢٠/٧).



وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٣].

ما صحة ما ورد من أن اسم خازن الجنة رضوان؟

جاء عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: وفيه: «ومن قرأ يس وهو في سكرات الموت؛ جاء رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة حتى يسقيه، وهو على فراشه حتى يموت ريان، ويبعث ريان».

وهو حديث ضعيف لضعف هارون بن كثير. قاله في «إتحاف الخيرة المهرة» (٢٥٩ / ٦) (٥٧٩٧).

ومنهم مالك خازن النار وأعوانه الخزان، وهم الزبانية، ورؤسائهم تسعة عشر:

قَالَ نَبِيُّنَا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة غافر: ٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة العلق: ١٧-١٨].

وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المدثر: ٣٠].

وقال: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٧].

وفي حديث سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»، رواه البخاري (٣٢٣٦).

ومنهم زوار البيت المعمور:

يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه،

كما في حديث مالك بن صعصعة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وفيه: «ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟. قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»، رواه البخاري برقم (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤)، واللفظ لمسلم.

ومنهم سياحون يتتبعون حلق الذكر ويبلغون النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** السلام من أمته: عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله؛ تنادوا هلموا إلى حاجتكم - قال - فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»، رواه البخاري برقم (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ للبخاري.

وجاء أنهم يبلغونه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** السلام، عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً: «إن لله **عَزَّ وَجَلَّ** ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام»، رواه أحمد (٤٥٢/١)، وهذا لفظه، والترمذي (١٢٨٢) (١).

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١٢].

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۚ﴾ [سورة ق: ١٧-١٨].

(١) صحيح: راجع "صحيح الجامع" (٢١٧٤).



قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر، رواه ابن جرير في "تفسيره" (٣٤٤ / ٢٢).

ومنهم الموكل بفتنة القبر وسؤاله ، وهما مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ :

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً»، رواه البخاري برقم (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ... الحديث»، رواه الترمذي (١٠٧٣) وابن حبان (٣١١٧)، واللفظ للترمذي، وقال: حديث حسن. اهـ (١).

فمما تقدم ذكره: علمنا تسمية من يلي: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت، وماروت، ورضوان - على خلاف في ثبوت خبره -، ومنكر، ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد.

أو بذكر وظيفته: كملك الموت، وملك الجبال.



أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتبين، والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطوَّاف البيت المعمور، والسياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم، والله أعلم.

معنى أسماء بعض الملائكة :

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (١/ ٣٤٣): قال ابن أبي حاتم: - وساق بسنده - عن ابن عباس. قال: إنما قوله: جبريل، كقوله: عبد الله، وعبد الرحمن. وقيل: جبر: عبد. وإيل: الله.

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن علي بن الحسين، قال: أتدرون ما اسم جبرائيل من أسمائكم؟ قلنا: لا. قال: اسمه عبد الله. قال: فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟ قلنا: لا. قال: اسمه عبيد الله. وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله. اهـ

❖ الثاني: ذكر من سمي في الكتاب والسنة من الكتب:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٥].

ويقول الله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران: ٣-٤].



وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [سورة المائدة: ٤٦-٤٨].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٦٦].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله: ﴿وَمَا أَنزَلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: يعني القرآن (١).
وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾ [سورة التوبة: ١١١].

وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ ۖ وَآخِذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٣ / ٢٨٤): قوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ التي فيها التوراة، وكان حاملا لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع،



(١) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٣ / ١٤٧).

فرجع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام. اهـ

قال أبو محمد - سدد الله خطاه -: ما أريده: هو أن الألواح، المراد بها التوراة لا غيرها، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [سورة النجم: ٣٦].

قال الإمام البغوي رحمه الله في "تفسيره" (٧/ ٤١٤): قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ﴾ لم يُخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ يعني: أسفار التوراة. اهـ

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" (٧/ ٧٨): قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [سورة النجم: ٣٦-٣٧] أي: ألم يخبر، ولم يحدث بما في صحف موسى يعني: أسفاره، وهي التوراة، وبما في صحف إبراهيم، الذي وفي أي: تمم وأكمل ما أمر به.

قال المفسرون: أي: بلغ قومه ما أمر به وأدّاه إليهم.

وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه، ثم بين سبحانه ما في صحفهما. اهـ

قلت: ما أريده: هو أن صحف موسى، المراد بها التوراة، وإثبات صحف إبراهيم صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

وقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [سورة النجم: ١٨] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة النجم: ١٩].

[سورة الأعلى: ١٨-١٩].

تنبيه:

لم أجد من فرق بين التوراة والألواح، أو الصحف التي لموسى صلى الله عليه وسلم،



إلا ما يأتي في حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** المذكور بعد ورقة إن شاء الله تعالى، وعلى هذا يقال: فالمراد بما تقدم التوراة تعددت أسمائها وصفاتها، والله أعلم.

فما علمنا من الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، والقرآن، والله أعلم.

هل لكل نبي أو رسول كتاب؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

﴿٣٨﴾ [سورة الرعد: ٣٨].

وقال تعالى وتقدس: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ

أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ [سورة غافر: ٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

قال العلامة العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسير سورة البقرة" عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ

مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: والمعية هنا للمصاحبة، والمعية كلما أطلقت فهي للمصاحبة،

لكنها في كل موضع بحسبه.

و﴿الْكِتَابَ﴾ هنا مفرد يراد به الجنس، فيعم كل كتاب، إذ لكل رسول كتاب.

وقد زعم بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مَعَهُمُ﴾ أي: مع بعضهم، وقال:

ليس كل الرسل معهم كتاب، ولكن هذا خلاف ظاهر القرآن.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

فظاهر الآية: أن مع كل رسول كتاباً، وهذا هو مقتضى الحال حتى يكون هذا الكتاب الذي معه يبلغه إلى الناس.

ولا يرد على هذا أن بعض الشرائع تتفق في مشروعاتها، وحتى في منهاجها، ولا يكون فيها إلا اختلاف يسير، كما في شريعة التوراة والإنجيل. فإن هذا لا يضر.

المهم: أن كل رسول في ظاهر القرآن معه كتاب؛ وكتاب بمعنى مكتوب، فمне ما نعلم أن الله كتبه، ومنه ما لا نعلم أن الله كتبه، لكن تكلم به. اهـ

✽ الثالث: ذكر من سمي في الكتاب والسنة من الأنبياء والرسل:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۖ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ [سورة النساء: ١٦٣-١٦٥].

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر: ٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۖ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۖ﴾

[سورة الأنعام: ٨٣-٨٦].



وقد نص بعض أهل العلم على أن عدد من ذكر من الأنبياء والرسل في القرآن خمسة وعشرون، نظموا بقول الشاعر:

في (تلك حجتنا) منهم ثمانية من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ذا الكفل آدم بالمختار قد ختموا^(١)
وفي الباب: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين» المشهور بحديث
الشفاعة.

وروى الحاكم (٢/ ٢٦٢)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا قال يا رسول الله: أنبيا
كان آدم؟ قال: «نعم، معلم مكلم». قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون».
قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «عشرة قرون». قالوا يا رسول الله: كم كانت
الرسل؟ قال: «ثلاث مائة وخمس عشرة، جما غفيرا»^(٢).

وعند الطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥) زيادة: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث مئة وثلاثة
عشر»^(٣).

والقاعدة عند أهل العلم: أن الأقل يدخل تحت الأكثر، والله أعلم.
وعند أحمد (٥/ ٢٦٥) - في حديث طويل، وفيه -: قال: قلت يا نبي الله: فأبي الأنبياء
كان أول؟ قال: «آدم». قال: قلت يا نبي الله: أو نبي كان آدم؟ قال: «نعم، نبي
مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم قال له: يا آدم قبالا». قال: قلت: يا



(١) راجع للمزيد: «شرح الواسطية» لهراس (ص ٥٤ - ط دار ابن تيمية).

(٢) صحيح: راجع: «الصحيح المسند» (٤٨١).

(٣) صحيح: وهذه الرواية أيضًا في «الصحيح المسند» (٤٨٠).

رسول الله: كم وفّي عدد الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جما غفيرا».

وهذه الرواية من طريق علي بن يزيد الألهماني.

قال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في «الصحيحة» تحت رقم (٢٦٦٨) - بعد سوق الشواهد -: وجملة القول: إن عدد الرسل المذكورين في حديث الترجمة - حديث أبي أمامة السابق -: صحيح لذاته، وأن عدد الأنبياء المذكورين في أحد طرقه.

وفي حديث أبي ذر من ثلاث طرق، فهو صحيح لغيره، ولعله لذلك لمّا ذكره ابن كثير في «تاريخه» (١/ ٩٧)، من رواية ابن حبان في «صحيحه» سكت عنه، ولم يتعقبه بشيء، فدل على ثبوته عنده.

وكذلك فعل الحافظ ابن حجر، في «الفتح» (٦/ ٢٥٧)، والعيني في «العمدة» (٧/ ٣٠٧)، وغيرهم.

وقال المحقق الألويسي في «تفسيره» (٥/ ٤٤٩): زعم ابن الجوزي أنه موضوع، وليس كذلك. نعم. قيل: في سنده ضعف جبر بالمتابعة. اهـ.

وسبقه إلى ذلك والرد على ابن الجوزي الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١٤)، وهو الذي لا يسع الباحث المحقق غيره، كما تراه مبيناً في تخريجنا هذا، والحمد لله.

وفي عدد الأنبياء أحاديث أخرى، هي في الجملة متفقة مع الأحاديث المتقدمة، على أن عددهم أكثر من عدد الرسل: رويت من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث أنس بن مالك من طرق عنه، عند أبي يعلى، والطبراني والحاكم، لعلنا نتفرغ



لتتبعها، وتخريجها في المكان المناسب لها في فرصة أخرى - إن شاء الله تعالى -، ثم خرجتها في "الضعيفة" (٦٠٩٠). اهـ.

قلت: وحديث أبي ذر المشار إليه، هو عند "ابن حبان" برقم (٣٦١)، وفيه: قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وعشرون ألفاً». قلت: كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاث مئة وثلاثة عشر جمًّا غفيرا» - الحديث.

وفيه: - قلت كم كتابا أنزله الله؟ قال: «مئة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن»^(١).



(١) ضعيف راجع: "الضعيفة" برقم (١٩١٠).

والبعث بعد الموت»، - رواه أحمد وغيره - (١).

❖ الكلام على البعث وما بعده وفيه مطالب: (٢)

قال نخبة من العلماء - كما في كتاب "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ص ٣٠٧) -: الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين، وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به، وما يجب على المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

(١) أخرجه أحمد (١٧٠٢٧)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (٢٠١٧)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٣٠١)، كلهم من الطريق المذكورة.

وقد وقع التصريح باسم الصحابي أنه عمرو بن عبسة في "مسند أحمد" المصدر السابق. وفي الحديث: ولد عمرو بن عبسة لا يدري ما اسمه ولا ما حاله، فالحديث ضعيف؛ لذلك.

لكن يشهد له من الأحاديث ما يلي:

الأول: حديث معاوية بن حيدة المتقدم.

الثاني: حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور بحديث بجبريل يشهد للقطعة الأخيرة منه — تقدم تخريجه —.

الثالث: حديث عبد الله بن عمرو، وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيهما: أي: الإسلام خير؟...؛ فيشهدان للقطعة الأولى منه - تقدم تخريجهما -، والله أعلم.

(٢) سقت من هذا الكتاب ما يزيد على عشر صفحات، وما أضفت فيه فقد جعلته بين (-) -).



✽ المطلب الأول : معنى البعث وحقيقته :

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين :

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٣] أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي: أثرته فثار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قَالَ تَبَّالِي: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٦] أي: أحييناكم.

تعريف البعث شرعاً وحقيقةً :

فالبعث شرعاً: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم. وحقيقةً: هو أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته، كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء. قَالَ تَبَّالِي: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [سورة يس: ٧٨-٧٩].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَمَّا أَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَىٰ أَهْلَهُ: إِذَا مِتَ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا حَتَّىٰ إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَىٰ عَظْمِي، فَخَذَوْهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَوْ رَاحٍ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»، رواه البخاري (٣٤٧٩).

فدللت الآية والأحاديث: على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفاتها

المتحلل حتى تعود كما كانت، فيعيد إليها أرواحها، فسبحان، من لا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث، وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً، فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب.

وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه الشيخان: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما بين النفختين أربعون». قال: أربعون يومًا؟ قال: «أُيُت». قال: أربعون شهرًا؟ قال: «أُيُت». قال: أربعون سنة؟ قال: «أُيُت». قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»، رواه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث، وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين، وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث، ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي، وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة؟ على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة، ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء.

جاء في بعض الروايات: أنه مثل مني الرجال، فينبت أهل القبور من ذلك الماء، كما ينبت العشب بعد أن فت أجسادهم إلا عجب الذنب.

وهذا بخلاف الأنبياء؛ فإن أجسادهم لا تبلى، فتبين بهذا حقيقة البعث ووقته وكيفيته، والله أعلم.

- قلت: لما تواتر: من أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، والله أعلم..-



☆ المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر:

دَلَّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات، وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥٦].

وقوله عز وجل: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧].

ومن السنة: حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور؛ فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله - قال -: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث - أو في أول من بعث - فإذا موسى أخذ بالعرش»، رواه البخاري برقم (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

وفي حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في «البخاري» برقم (٢٤١٢)، و«مسلم» (٢٢٧٨): «أكون أول من تنشق عنه الأرض».

فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامة من قبورهم إلى أرض المحشر، وفيهما فضيلة للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لكونه أول من يبعث. كما دل النظر الصحيح: على تقرير البعث، وذلك أن البعث هو إعادة للخلق.

ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه، ولهذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولى، وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من باب أولى، فقال المعترض على البعث، كما حكى الله عنه: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ﴾ [سورة يس: ٧٨] قَالَ تَبٰىءُ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة يس: ٧٩].

وَقَالَ تَبٰىءُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧].
فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع رده.

✽ المطلب الثالث: الحشر:

دلت النصوص: على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، قَالَ تَبٰىءُ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ﴾ [سورة الكهف: ٤٧].
وَقَالَ تَبٰىءُ: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً». قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»، رواه البخاري برقم (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق.



أنواع الحشر في الآخرة:

قد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر: إما في الجنة، وإما في النار: فيحشر المؤمنون إلى الجنة، وفدا.

والوفد هم القائمون الركبان، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا

﴿٨٥﴾ [سورة مريم: ٨٥].

أخرج الطبري في "تفسيره" (٨/ ٣٨٠)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾ ﴿٣٤﴾ [سورة الفرقان: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [سورة الإسراء: ٩٧].

المطلب الرابع: الحوض:

مكانه:

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المحشر يرده هو وأمته.

صفته:

جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك.

عرضه وطوله :

وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

من أين يمدّ ماؤه؟

يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة.

عدد أنيته :

آنيته عددها كعدد نجوم السماء.

تواتر أدلة ثبوته :

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق من الأحاديث الصحيحة كثير ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر، ورواها عن النبي ﷺ بضعة وثلاثون صحابياً؛ منها:

حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»، رواه البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).

وحديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منها؛ فلا يظمأ أبداً»، رواه البخاري برقم (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

الفرق بين الحوض والكوثر وبيان موضع الكوثر :

الحوض يكون في أرض المحشر، ويمد ماؤه من الكوثر، و - الكوثر - نهر آخر



أعطاه الله لنبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الجنة، **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾
[سورة الكوثر: ١].

أيهما قبل الآخر الحوض أو الميزان؟

الصحيح: أن الحوض قبل؛ قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: والمعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم. اهـ

✽ المطلب الخامس: الميزان:

صفة الميزان:

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان:

قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۝٧﴾

[سورة الأنبياء: ٤٧]، وقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦﴾ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٧**

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨﴾ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ۝٩﴾ [سورة القارعة: ٦-٩].

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

«كلمتان حببتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله

وبحمده، سبحان الله العظيم»، رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

وروى الإمام أحمد (٤٢٠/١)، والحاكم (٣/٣١٧) وصححه ووافقه الذهبي،

وغيرهما عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين، فجعلت

الريح تكفؤه - أي: تحركه - فضحك القوم، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مم

تضحكون؟». قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده: لهما أثقل في الميزان من أحد (١)».

والذي يوزن ثلاثة أشياء دلت على ذلك النصوص:

١- الأعمال: فإنها تجسم وتوزن؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق: وفيه: «ثقيلتان في الميزان».

٢- صحف الأعمال: وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة - قال -: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) والحاكم (١/ ٦)، وصححه، ووافقه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢).

وقوله: «بسم الله» أي: مع اسم الله.

٣- العامل نفسه: وقد دل على وزنه قوله تعالى: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾

(١) صحيح: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٧٥٠) و«الصحيح المسند» (٨٣٧).

(٢) صحيح: راجع: «الصحيحة» (١٣٥) و«الصحيح المسند» (٧٨٧).



[سورة الكهف: ١٠٥]، وكذلك حديث عبد الله بن مسعود السابق، وأن ساقِيَه في الميزان أثقل من أحد.

✽ المطلب السادس: الشفاعة:

تعريف الشفاعة لغة وعرفاً:

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب.

وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

حقيقة الشفاعة:

حقيقتها: أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهاراً لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

شروط قبول الشفاعة:

لا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣].

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه: وقد دل على هذا الشرط قوله

تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨].

لمن تكون الشفاعة ؟

قد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد؛ لما ثبت في "مسلم" (١٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي؛ شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً».

وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [سورة الم نشر: ٤٨].

- تواتر - أدلة إثبات الشفاعة:

قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيامة: أما الكتاب: فقد تقدم ذكر بعضها.

وأما من السنة: فالأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط»، رواه أحمد (٣/ ٩٤)، وعبد الرزاق في "المصنف" (٢٠٨٥٧) (١).

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جداً، وقد صرح الأئمة المحققون: بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد.

ففي "البخاري" (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٤)، - في حديث طويل - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» (٢).



(١) صحيح راجع: "صحيح الجامع" (١٢٩٨٧).

(٢) وقد ألف شيخنا الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ مجلداً أسماه "الجامع الصحيح في الشفاعة"، ذكر فيه ما يزيد عن مائة دليل صحيح صريح، والله المستعان.



أقسام الشفاعة من جهة القبول والرد:

الشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين:

مردودة: وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة.

ومقبولة: وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة، وقد:

ثبت لنبيينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

١- الشفاعة العظمى، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهي المقام المحمود.

وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين -.

٢- شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣- شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ لرفع درجات - بعض - أهل الجنة في الجنة.

٥- شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ - شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب، এমন كان يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها، وهي مبسطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد.

وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب، وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها. ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى، على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

✽ **المطلب السابع: الصراط:**

تعريف الصراط لغةً وشرعاً:

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرين، وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة.

أدلة إثبات الصراط:

قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)** [سورة مريم: ٧١-٧٢].

ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط، وهو منقول عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي «البخاري» (٧٤٣٩)، و«مسلم» (١٨٣)، واللفظ للبخاري من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، - وهو حديث طويل - وفيه: عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه



قال: «ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم». قلنا يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: «مدحضة مزلة، عليه خطاطيف، وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف والبرق، والكربح، وكأجاويد الخيل، والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم، يمر آخرهم يسحب سحباً».

صفة الصراط :

قد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة، وملخص ما جاء فيها: أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله، وأنه ينصب في ظلمة، فيعطى الناس أنواراً على قدر إيمانهم، ويمرون فوقه على قدر إيمانهم، على ما جاء في الحديث السابق.

المطلب الثامن: الجنة والنار- وبعض ما يتعلق بهما :-

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار، والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله.

موضع الجنة :

أما الجنة فموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ

نَزْلَةً أُخْرَى ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۖ﴾ [سورة النجم: ١٣-١٥].

عدد درجات الجنة :

والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض؛ كما في

«البخاري» (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

أعلى الجنة وسقفها:

وأعلى الجنة الفردوس، وفوقه العرش، ومنه تتفجر أنهار الجنة؛ كما في حديث أبي هريرة السابق عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إذا سألتم الله، فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

عدد أبواب الجنة:

وللجنة ثمانية أبواب: كما جاء في حديث سهل بن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في «البخاري» (٣٢٥٧)، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم؛ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم، ثم مآلهم إلى الجنة؛ كما قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النساء: ٤٨].

موضع النار:

وموضعها في الأرض السابعة: كذا نقل عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.



النار دركات:

وهي دركات بعضها أسفل من بعض: قال عبد الرحمن بن أسلم: درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفولاً، وأسفل الدرجات هي دار المنافقين، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

عدد أبواب النار:

وللنار سبعة أبواب: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ﴾ [سورة الحجر: ٤٤].

الفرق بين نار الدنيا ونار الآخرة:

نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، على ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم (٨٧١)، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم».

الإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد الجازم بأنهما حق، وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٥٦] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [سورة النساء: ٥٦-٥٧].

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن؛ قال تعالى في الجنة: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٢٣]

[سورة آل عمران: ١٢٣].

وقال تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤].

وفي "البخاري" برقم (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨) - مختصرا بمعناه، واللفظ للبخاري -، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: «اطلعت في الجنة؛ فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار؛ فرأيت أكثر أهلها النساء».

الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفتيان ولا يفنى من فيهما، قال تعالى

في الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ٨٩].

وقال تعالى عن النار: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا

﴾ [سورة الجن: ٢٣].

والمقصود من المعصية هنا الكفر؛ لتأكيد الخلود في النار بالتأييد.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢٧/١٩): قوله: ﴿أَبَدًا﴾: دليل على أن

العصيان هنا هو الشرك. اهـ

وروى البخاري (٦٥٤٤) ومسلم (٢٨٥٠) واللفظ لمسلم من حديث عبد الله بن عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار

النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار

لا موت كل خالد فيما هو فيه».

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

١- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفا من

عقاب ذلك اليوم.



٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٣- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده. اهـ
إلى هنا انتهى ما نقلته من كتاب "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة"
بتصرف يسير.



باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصَّيَّامُ، فَيَقُولُ: أَيُّ يَا رَبِّ أَنَا الصَّيَّامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمَ أَخْذُ وَبِكَ أُعْطِيَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]، رواه أحمد (١).

الكلام على ألفاظ حديث: «تجيء الأعمال يوم القيامة... الحديث»:

✧ قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ... الآية﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]: قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى هذا: أنه يجب الإسلام على جميع الأمة الإسلامية، وأنه لا نجاة لها ولا سعادة إلا بالإسلام. اهـ

(١) رواه أحمد (٣٦٢/٢)، وهو منقطع؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: "مقدمة الجرح" (٣/٣٦٢).



✧ قوله: («تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»): في هذا بيان أن الأعمال الصالحة تتجسد، وفي حديث البراء - الطويل في عذاب القبر - ما يدل على تجسيد الأعمال الصالحة والسيئة، والله أعلم.

✧ قوله: («إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»): قال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «المرقاة» (١٢١/١٥): وهذا رد لها على ألطف وجه أي: أنت ثابتة مستقرة على خير، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ [سورة البقرة: ٥].

ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية في الاحتجاج، وعلى هذا المنوال سائر الأعمال من الصدقة والصيام، وبقية الأفعال، وهكذا بقية الأعمال. اهـ

✧ قوله: («فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ»): يدخل فيها الزكاة المفروضة، والفطر، والتطوع وغيرها، والله أعلم.

✧ قوله: «ثُمَّ يَجِيءُ الصَّيَّامُ»: قال في «المرقاة» (١٢١/١٥): ولعل وجه تأخيره عن الصدقة في العقبي، تأخير وجوبه عنها في الدنيا. اهـ

✧ قوله: («ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ»): قال في «المرقاة» (١٢١/١٥): أي: سائرهما من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها على ذلك أي: على هذا المنوال متفقة على هذا المقال يقول: استئناف أو حال، وكان مقتضى الظاهر: فيقول الله تعالى - وفي نسخة صحيحة: فيقول عزَّ وجلَّ: «إِنَّكَ - أي: أيها العمل - على خير». اهـ

✧ قوله: («ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ»): قال في «المرقاة» (١٢١/١٥): أي: الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالإيمان، وعلى ترادفهما أصحاب الإيقان وأرباب الإتيقان. اهـ

✧ قوله: ((فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ)): قال في "المرقاة" (١٢١/١٥):

أي: وبيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوسمية، كما حقق في حديث: «الرحم شجنة من الرحمان»، فإن المقتضى بذلك أن القائم بي يدخل دارك دار السلام. اهـ

✧ قوله: ((فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ)): قال في "المرقاة" (١٢١/١٥): أي:

خير عظيم؛ لاشتمالك على دين وسيم. اهـ

✧ قوله: ((بِكَ الْيَوْمَ آخِذُ وَبِكَ أُعْطِي)): قال في "المرقاة" (١٢١/١٥): قوله: «بك

اليوم آخذ» بصيغة المتكلم أي: آخذ بك من أؤاخذه بالعقوبة.

✧ وقوله: ((وبك أعطي)): أي: من أسامحه بالمشوبة؛ فإنك أنت الأصل تدار

عليك أمر الطاعة والمعصية، قال الله في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقَبَّلَ مِنْهُ... (الآية)﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]. اهـ

✧ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تجيء الأعمال يوم القيامة... الحديث» من

الفوائد:

الأولى: تعليق العلامة القاري صاحب مرقاة المصابيح على الحديث:

قال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في "المرقاة" (١٢٢/١٥): وفيه إشارة لطيفة متضمنة

لبشارة تشريفه، وهي أن من مات على الإسلام ليس من الخاسرين أبداً، بل من المفلحين الناجين مآلاً ومناً.

وأن أمر الطاعة والعبادة مع قوة الإسلام يرجي فيهما المسامحة، نسأل الله العفو

والعافية ونعوذ بالله من درك الهاوية. اهـ



الثانية: تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على قوله: «بك اليوم آخذ وبك أعطي»:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي»:

فمن توفي على الإسلام فله الجنة، إما من أول وهلة إن سلم من المعاصي، وإما بعد العقوبة التي يقدرها الله عليه بسبب المعاصي التي مات عليها إن لم يعف الله عنه،

فليس هناك نجاة إلا بالإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

فمن مات على غير الإسلام ولو عنده ما عنده من الطاعات أمثال الجبال، فإنها

حابطة، قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَبَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣)

[سورة الفرقان: ٢٣].

لا بد من التوحيد من شهادة إن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدخول في الإسلام بقلبه وقالبه، ثم بعد ذلك الأعمال.

فمن استقام على الأعمال دخل الجنة من أول وهلة، ومن قصر في شيء من

الأعمال الواجبة عليه أو أتى بعض المعاصي التي حرم الله، صار تحت المشيئة إن

شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه على قدر ما عنده من المعاصي، كما قَالَ نَبِيُّ: ﴿إِنَّ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

فمن هداه الله للإسلام وسلم من الشرك فهو على طريق النجاة. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي «الصحيح»^(١)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، رواه أحمد^(٢).

تقدم التعليق على ألفاظه بما فيه الكفاية - إن شاء الله تعالى - في (باب وجوب الدخول في الإسلام)، والله أعلم.

والذي يظهر، والله أعلم أنه أعاده هنا ليبين أن مخالفة الإسلام بالبدع والمحدثات يضر في الإسلام ولا يخفى على عاقل أن من البدع ما هي شركية قد تخرج صاحبها من الإسلام، والله المستعان، وهو أعلم.



(١) أي: صحيح مسلم؛ فقد أخرجه (٤٤٩٣).

(٢) برقم (٢٥١٢٨).



باب وجوب الاستغناء بمتابعته (يعني القرآن) (١)

وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

❖ الكلام على قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾:

❖ معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾:

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (٥٩٤ / ٤): قال ابن مسعود: وقد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء.

وقال مجاهد: كل حلال وحرام.

ثم قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وقول ابن مسعود: أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. اهـ

وقال العلامة السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (ص ٤٤٦): قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين بالفاظ واضحة ومعان جلية.

حتى إنه تعالى يثني - أي: يعيد - فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها

(١) في بعض النسخ: (باب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه).

عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبيديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة؛ لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب.

وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم، فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة، فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. اهـ.

❁ هل يفهم من الآية أن الكتاب بين كل أمور الدين أم أنه بين البعض دون الآخر؟

قلت: ظاهر الآية، وكذا كلام ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وما نقله عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وما ذكره السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: يفهم أن القرآن بين كل أمور الدين، لا بعضاً دون بعض، والله أعلم وأحكم.

❁ بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الفوائد:

الأولى: يجب على المسلم التمعن في ما اشتمل عليه القرآن من أحكام وآداب وغيرها.

الثانية: كل ما شرعه الله، فقد جعل لنا في القرآن منه علماً، وما لم يكن مفسراً فيه؛ فسرته السنة.

الثالثة: وجوب الرجوع إلى القرآن والسنة عند الإشكال والاختلاف وحلول المعضلات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: ١٠٠]، وغيرها من الأدلة.



الرابعة: الرجوع إلى أهل القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

الخامسة: يجب على كل مسلم التحاكم إلى الكتاب والسنة، والاعتناع بهما، ولا

يكفي أن يرجع إليهما فقط، حتى يحقق، قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].



قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وروى النسائي، وغيره^(١)، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورقة من التوراة، فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني؛ ضللتكم».

وفي رواية^(٢): «ولو كان موسى حيًّا؛ ما وسعه إلا اتباعي»، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

❖ الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمتهوكون يا ابن الخطاب... الحديث»:

❖ تعريف التهوك:

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «النهاية» (٦٦٠/٥): التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية.

(١) لعله سبق قلم من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، فالحديث لم يخرج به النسائي، ولا أحد أصحاب الأمهات الست.

وما أخرجه النسائي في «الصغرى» برقم (٢٣٨٥) هو عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صومه، فغضب، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رضيينا بالله ربًّا... الحديث.

ولفظ المتن - المذكور أعلى - هو عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد (٣/٣٨٧)، والدارمي في «مقدمة سننه» برقم (٤٤٩)، وابن أبي شيبة (٦٤٧٢)، وابن أبي عاصم (٥٠/١)، كلهم من طريق مجالد بن سعيد، ومجالد ضعيف، وللحديث شواهد، ذكرها الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (١٥٨٩)، وحسنه بمجموعها، فهو حسن، والله أعلم.

(٢) هذه الرواية جزء من الحديث السابق، والله أعلم.



والمتهوك: هو الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير. اهـ

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد جئكم بها بيضاء نقية»:**

قال في «المراقبة» (١/ ٦٦٢): قوله: «لقد جئكم بها» أي: بالملة الحنيفية بقرينة الكلام.

«بيضاء» أي: واضحة حال من ضمير «بها». «نقية» صفة. «بيضاء» أي: ظاهرة صافية خالصة، خالية عن الشرك والشبهة.

وقيل: المراد بها، أنها مصونة عن التبديل والتحريف والإصرار والأغلال، خالية عن التكاليف الشاقة، وأشار بذلك إلى أنه أتى بالأعلى والأفضل، واستبدال الأدنى بالأعلى مظنة التحير.

وقال الطيبي: «بيضاء نقية» حالاً مترادفان من الضمير المفسر بالملة انتهى. وإنما أنكر عليهم؛ لأن طلبهم يشعر بأنهم اعتقدوا نقصان ما أتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

فائدة: قال ابن سلام في «غريب الحديث» (٣/ ٢٩): قوله: «لقد جئكم بها بيضاء نقية»، أراد الملة الحنيفية، فلذلك جاء التأنيث، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥] إنما هي فيما يفسر الملة الحنيفية. اهـ

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني؛ ضللتهم»:**

قلت: وذلك لأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أمروا أن يؤمنوا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينصروه، وأن لا يخرجوا عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨١-٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٦٧/٢): يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه، من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَام إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَام لَمَهُمَا آتَى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمّن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته.

ولهذا قال تعالى وتقدس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي: لَمَهُمَا أُعْطِيَتْكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والسدي: يعني عهدي.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿إِصْرِي﴾ أي: ثقل ما حمّلتكم من عهدي أي: ميثاقي الشديد المؤكد.

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: عن هذا العهد والميثاق، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً وهو حيّ ليؤمّن به ولينصرنه، وأمره أن



يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه.

وقال طاووس، والحسن البصري، وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا.

وهذا لا يضاد ما قاله عليّ وابن عباس، ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه، ولهذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه مثل قول عليّ وابن عباس. وقد قال الإمام أحمد - (٤/ ٢٦٥) وساق بسنده -: عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قُرَيْظَةَ، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيّر وجه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا. قال: فسريّ عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي؛ لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ» (١).

وعن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِذَا أَنْ تَصَدَّقُوا بِبَاطِلٍ وَإِذَا أَنْ تُكَذَّبُوا

(١) ضعيف: قال الهيثمي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "مجمع الزوائد" (١/ ١٧٣): رجاله رجال الصحيح إلا

بِحَقِّ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ: لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»، رواه أحمد (٣/ ٣٨٧) والدارمي (١/ ١١٥)، وغيرهما (١).

وفي بعض الأحاديث له: «لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ؛ لَمَّا وَسَعَهُمَا إِلَّا اتَّبَاعِي». فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائما إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد؛ لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم.

ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب لِفَضْلِ القضاء، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص به. اهـ

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص: ١٣٦): يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين، وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أُمَمِهِمْ.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد.

(١) حسن: راجع: «الإرواء» (٦/ ٣٤).



فعلى هذا قد علم أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم.

فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرره تعالى: ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين. ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿فَأَشْهَدُوا﴾ على أنفسكم، وعلى أئمتكم بذلك، قال: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١) ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢).

فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى، ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

❖ حكم سؤال أهل الكتابين عن أمور ديننا :

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٣٣٤/١٣): - تحت (باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»): - قال ابن بطلال عن المهلب: هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص، ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم. اهـ

❖ حكم سؤال أهل الكتابين عما وافق شرعنا من أخبارهم؟

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٣٣٤/١٣): ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة.

وأما قوله تعالى: ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة يونس: ٩٤]، فالمراد به من آمن منهم، والنهي إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم، ويحتمل أن يكون الأمر: يختص بما يتعلق بالتوحيد والرسالة المحمدية وما أشبه ذلك، والنهي عما سوى ذلك. اهـ

✽ حكم النظر في كتبهم ومتى يجوز ومتى يحرم:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي "الفتح" (١٣/ ٣٣٤): والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم.

والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن، ويصر من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ، فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف.

ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه.

وأما استدلاله للتحريم بما ورد من الغضب ودعواه أنه لو لم يكن معصية ما غضب منه؛ فهو معترض بأنه قد يغضب من فعل المكروه، ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك، كغضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة.

وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح، مثل الذي سأل عن لقطة الإبل. اهـ



✽ تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا واضح في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقَبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٢]، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

فالواجب على جميع الأمة اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان موسى أو عيسى أو غيرهما أحياء ما وسعهم إلا اتباعه؛ لأنه بعث إلى الناس عامة، ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

فالواجب على جميع الأمة رجالاً ونساء عرباً وعجماء إنساً وجناً أن يتبعوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ينقادوا لشرعه حسب ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وليس لهم الخروج عن ذلك. اهـ

✽ بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمتهوكون فيها... الحديث» من الفوائد:

الأولى: فضل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سرعة استجابته لنصح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيرته على الدين.

الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الناس أجمعين، وذلك ظاهر من الحديث، والله أعلم.



باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [سورة الحج: ٧٨].

✽ الكلام على قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا... الآية﴾:
✽ معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ وإلى من يعود الضمير:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٥/٤٥٦): قوله: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾، قال الإمام عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: الله عَزَّوَجَلَّ، وكذا قال مجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل بن حيان. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨].

قال ابن جرير: وهذا لا وجه له؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾، قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة، وفي الذكر.



﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني: القرآن. وكذا قال غيره.

قلت: وهذا هو الصواب؛ لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل.

ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة، بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان، في كتب الأنبياء، يتلى على الأحرار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿وَفِي هَذَا﴾.

وقد قال النسائي - في «الكبرى» (١١٣٤٩) وساق بسنده - عن الحارث الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية؛ فإنه من جثي جهنم». قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟. قال: «نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنین عباد الله». اهـ

❁ بعض ما في قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ من

الفوائد:

الأولى: وجوب الدخول في الإسلام.

الثانية: في الآية شرف للمسلمين بتسمية الله لهم مسلمين.

الثالثة: فضيلة هذه الأمة على غيرها من الأمم، وقد تقدم دليل ذلك أول الكتاب.

الرابعة: أن هذه الأمة قد سبق تسمية الله لها في الكتب المتقدمة، والله أعلم.



قَالَ لِصَفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وعن الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَمَرْتُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ (٢). قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؛ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ»، رواه أحمد، والترمذي، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣).

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «أَمَرْتُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ... الحديث»:

❖ **الجمع بين هذا الحديث وبين ما علم بالتواتر من أن أوامره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة جداً؛**

أقول: قد يحمل تخصيصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء الخمس؛ لأهميتهن وشموليتهن، ولأن خيرهن متعدد إلى الغير.

و- أيضاً:- قد يقال: إن عليهن مدار الإسلام، وبتحقيقهن يتحقق الأمن والإيمان وصلاح الأحوال في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

(١) هو الحارث بن الحارث الأشعري الشامي صحابي يكنى أبا مالك تفرد بالرواية عنه أبو سلام م ت س. اهـ من "التقريب" (ص ١٤٥).

(٢) هذا لفظ الترمذي، ولفظ أحمد: فقالوا يا رسول الله: وإن صام وصلى؟. اهـ

(٣) رواه أحمد (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، وأبو يعلى (٢٨٨)، والحاكم (١١٨ / ١)، والآجري في "الشرعية" (٥). قلت: وهو في "الصحيحة" (١٧٢٤)، وفي "الصحيح المسند" (٢٨٨).



❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ»:**

قال في "عارضة الأحوزي" (٥/٢/٢٢٩): ليس المراد بالسمع الإدراك الحسي، وإنما يراد به القبول، كما قَالَ تَبَاي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢١].

وهذا أصل الدين ومبدأ الخيرات.

والكلمة الثانية: الطاعة: فإن المخالفة تعم كل ذنب وتشمل كل كبير وصغير من الخطايا، وهي فائدة القبول، فإنه إذا قبل الأمر والنهي؛ كان علامة القبول، وفائدته الامتثال والانكفاف. اهـ

وقال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الترمذي" (١٥/١٧٧): «السمع والطاعة» أي: للأمر في غير المعصية. اهـ

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "تعليقاته على الأربعين النووية" (ص ٥٠): يعني لولاية الأمور أي: اسمعوا ما يقولون، وما به يأمر، واجتنبوا ما عنه ينهون. اهـ
❖ قوله: («وَالْجِهَاد»): أي: في سبيل الله لإعلاء كلمته، وله ضوابط وشروط يتم باستيفائها، محلها غير هذا الكتاب، والله أعلم.

❖ قوله: («وَالْهَجْرَةُ»):

❁ **تعريف الهجرة، وبيان الأماكن التي يهاجر منها وإليها بأدلتها:**

قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الترمذي" (١٥/١٧٧): أي: الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، ومن دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدعة إلى دار

السنة، ومن المعصية إلى التوبة؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه». اهـ

قلت: وأما الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فأدلتها بلغت مبلغ التواتر. وأما الهجرة من بلد البدعة، إلى بلد السنة، أو الهجرة من بلد المعصية إلى بلد الطاعة؛ فلحديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، وفيه: «انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله؛ فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء».

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «شرح مسلم» (٨٣ / ١٧): قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخذان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح، والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم، ويتنفع بصحبته، وتتأكد بذلك توبته. اهـ

وقال الحافظ **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (٥١٧ / ٦): وفيه: فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية؛ لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك، والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: «ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء».

ففيه إشارة: إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها. اهـ



❖ ما المراد بالجماعة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْجَمَاعَةُ»:

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "تحفة الأحوذى" (١٦٦/٧): المراد بالجماعة الصحابة ومن تبعهم من التابعين، وتابعي التابعين من السلف الصالحين اهـ.
قال أبو محمد السليماني - سده الله -: وفي كل زمان جعل الله للمسلمين جماعة، وهم أهل الحديث، فليلتزم غرضهم؛ لأنهم أطوع الناس لله ولرسوله، وأطوع الناس لولاة الأمر المسلم، وأبعد الناس عن الفتن وأسعد الناس حياة والحمد لله.
❖ قوله: («قَيْدُ شِبْرِ»): قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الترمذي" (١٧٨/١٥) -: بكسر القاف وسكون التحتية - أي: قدره، وأصله القود من القود، وهو المماثلة والقصاص.

والمعنى: من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن الطاعة، ولو كان بشيء يسير يقدر في الشاهد بقدر شبر. اهـ.

❖ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ» وتعريف

الربقة:

قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الترمذي" (١٧٨/١٥): «فقد خلع» أي: نزع «ربقة الإسلام».

وهي في الأصل: عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي: حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه.

وقال بعضهم: المعنى فقد نبذ عهد الله وأخفر ذمته التي لزمتم أعناق العباد لزوم الربة - بالكسر -، وهي واحدة الربق، وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم أي: أولاد الضأن، والواحدة من تلك العرى ربة. اهـ

وقال في "عون المعبود" (١٣/ ٧٢): قوله: «قيد شبر» - بكسر القاف - أي: قدر شبر؛ «فقد خلع» أي: نزع «ربة الإسلام من عنقه».

قال الخطابي: الربة ما يجعل في عنق الدابة، كالطوق يمسكها لئلا تشرد. اهـ

❦ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»:

قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الترمذي" (١٥/ ١٧٨): قوله: «ومن ادعى دعوى الجاهلية»: قال الطيبي: عطف على الجملة التي وقعت مفسرة لضمير الشأن؛ للإيدان بأن التمسك بالجماعة، وعدم الخروج عن زمرتهم من شأن المؤمنين، والخروج من زمرتهم من هجيري الجاهلية، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية». فعلى هذا ينبغي أن يفسر دعوى الجاهلية بسننها على الإطلاق؛ لأنها تدعو إليها، وهو أحد وجهي ما قال القاضي.

والوجه الآخر: الدعوى تطلق على الدعاء وهو النداء.

والمعنى: من نادى في الإسلام بنداء الجاهلية، وهو أن الرجل منهم إذا غلب عليه خصمه نادى بأعلى صوته قومه: يا آل فلان فييتدرون إلى نصره ظالماً كان أو مظلوماً جهلاً منهم وعصبية.

وحاصل هذا الوجه يرجع - أيضاً -: إلى الوجه السابق.



✧ وقوله: («فإنه») أي: الداعي المذكور («من جثي جهنم») - بضم الجيم مقصور - أي: من جماعاتها جمع جثوة - بالحركات الثلاث -، وهي الحجارة المجموعة.

وروي «من جثي» - بتشديد الياء وضم الجيم - جمع جاث من جثي على ركبتيه يجثو ويجثي، وكسر الجيم جائز؛ لما بعدها من الكسرة، وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿وَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧٢]. اهـ

وقال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (١/ ٢٨٢): الجثي: هو الشيء المجموع، وقد ذكر هذا الحديث هناك. اهـ

✧ قوله صلى الله عليه وسلم: («وإن صلي وصام»): في هذا بيان أن الأعمال الصالحة تنفع صاحبها؛ إذا استوفت شروطها، وترك ما يناقضها، والصد بالصد، والله أعلم. قال في «عارضة الأحوذى» (٥/ ٢/ ٢٣٠): يريد أن هذه الكبيرة لا توازيها الصلاة والصوم في الموازنة. اهـ

✧ قوله صلى الله عليه وسلم: («فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله»): تقدم الكلام على هذه الفقرة، عند قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الحج: ٧٨].

✧ حكم قول: يا آل فلان أو يا قبيلة فلان ونحوهما:

قال العلامة ابن باز رحمه الله: وهذا تحذير من دعوى الجاهلية يا آل فلان، يا آل فلان. لا، قل: يا أهل التوحيد يا أهل الإيمان، كلهم إخوة إذا جاء الحرب لا يتسبون: يا آل فلان، يا قحطان، يا بني كذا يا بني كذا، لا. هم شيء واحد.

فالمسلمون شيء واحد، ولا يحتجوا بدعوى الجاهلية، ولهذا لما قال:
يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار. قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبدعوى الجاهلية وأنا
بين أظهركم».

فالواجب الدعوى بالإسلام، أيها الإخوة أيها المسلمون هكذا، عند الاستغاثة
والحث يحثهم على القتال باسم الإسلام، وباسم الإيمان. اهـ

❁ **فائدة مهمة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مِنْ جِثَامِنِ جَهَنَّمَ»، وقوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن صلى وصام»:**

في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** السابقين: معرفة ضرر المعاصي على الصالح وعلى
الأعمال الصالحة؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وإن صلى وصام».

ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ
فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧].

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه
كيوم ولدته أمه»، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، رواه البخاري برقم (١٥٢١)، ومسلم
(١٣٥٠).

فقد قال أهل العلم: إن الفسوق والرفث والجِدَال المذموم ينقص من أجر الحاج.
وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»،
والله أعلم.



قَالَ الصَّئِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" (١): «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا، فَمَاتَ؛ فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

✧ قوله: («فمات فميتة جاهلية»): سبق الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قيد شبر»، في شرح حديث الحارث الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بما فيه الكفاية فيراجع.

❁ ما المراد بالميتة الجاهلية؟

قال في "شرح مسلم" (٢٣٨/١٢): أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضي لا إمام لهم. اهـ

وقال الحافظ **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (٧/١٣): قوله: «مات ميتة جاهلية»، في الرواية الأخرى: «فمات إلا مات ميتة جاهلية»، وفي رواية لمسلم: «فميتته ميتة جاهلية». وعنده في حديث ابن عمر، رفعه: «من خلع يدا من طاعة؛ لقي الله ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية».

قال الكرمانى: الاستثناء هنا بمعنى الاستفهام الإنكاري أي: ما فارق الجماعة أحد إلا جرى له كذا، أو حذفت (ما)، فهي مقدرة، أو (إلا) زائدة، أو عاطفة على رأي الكوفيين.

والمراد بالميتة الجاهلية: حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرا، بل يموت عاصيا.

(١) أي: صحيح مسلم، فقد أخرجه برقم (٤٧٨٦)، وساقه المؤلف مختصراً.

ويحتمل: أن يكون التشبيه على ظاهره.

ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير، وظاهره غير مراد، ويؤيد: أن المراد بالجاهلية التشبيه. اهـ

✽ حكم مفارقة الجماعة لقصد التنزه ونحوه:

قال الحافظ ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "فتح الباري" (١/ ٥٩): وإنما فسر بهذا المعنى قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رقة الإسلام من عنقه»؛ فإن الأوزاعي فسره بالبدعة يخرج إليها الرجل من الجماعة. فأما الخروج إلى البادية أحيانا للتنزه ونحوه في أوقات الربيع وما أشبهه: فقد ورد فيه رخصة.

ففي "سنن أبي داود"، عن المقدم بن شريح، عن أبيه أنه قال أنه سأل عائشة: هل كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يبدو؟ فقالت: نعم إلى هذه التلاع، ولقد بدا مرة، فأتي بناقة مخرمة فقال: «اركبها يا عائشة وأرفقي؛ فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع منه إلا شانه»، وخرَّج مسلم آخر الحديث دون أوله.

وورد النهي عنه: ففي "المسند"، عن عقبة بن عامر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «هلاك أمتي في اللبن». قيل: يا رسول الله: لله ما اللبن؟ قال: «تحبون اللبن وتدعون الجماعات والجمع وتبدون».

وفي إسناده: ابن لهيعة، وإن صح فيحمل على إطالة المقام بالبادية مدة أيام كثرة اللبن كلها، وهي مدة طويلة يدعون فيها الجمع والجماعات. اهـ



قَالَ الصَّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وفيه (١): «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟».

قال أبو العباس **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٢): كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية.

بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضباً شديداً، انتهى كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

❁ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟»:**

❁ **تعليق العلامة ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ على تعريف شيخ الإسلام لدعوى الجاهلية:**

قال سماحة الشيخ ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**: والمقصود: أن الدعاوى التي بغير الإسلام، يا أهل مكة يا أهل الطائف يا أهل نجد يا أهل... هذا من دعوى الجاهلية. بل يقول: أيها المؤمنون، أيها الإخوة، يا أنصار الله، يا عباد الله هكذا. اهـ

وقال العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** - أيضاً -: هذا هو الواجب، وهذا الذي يحثهم يحرك القلوب، فعند لقاء العدو يحثهم على اللقاء والصبر بدعوى الإيمان، وبدعوى الإسلام، أيها المسلمون، يا جند الله، يا عباد الله، أيها المسلمون، يا أنصار الله، هكذا يشجعهم ويحثهم بالاسم العام. اهـ

(١) أي: وفي "الصحيح" وهذه القطعة هي جزء من حديث جابر الطويل، رواه البخاري برقم

(٣٥١٨)، ومسلم (٦٥٨٣)، والله أعلم.

(٢) في كتابه "السياسة الشرعية" (ص ٨٣).

❦ ذكر القصة التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين

أظهركم»:

روى البخاري (٣٣٣٠) ومسلم (٢٥٨٤)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟» ثم قال: «ما شأنهم؟»، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوها فإنها خبيثة»، وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه».

❦ متى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القول، وفي أي غزوة كان، وما سبب قوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك؟

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (٥٦/٢٤): هذه الغزوة هي غزوة

المريسيع.

وفي «مسلم» قال سفيان: يروون أن هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وهي غزوة

المريسيع، وكانت في سنة ست من الهجرة.

قوله: ثاب - بالثاء المثناة - قال الكرمانى: أي: اجتمع معه ناس.

وقال الداودي: معناه خرج، والذي عليه أهل اللغة: أن معنى ثاب رجع.



قوله: لَعَاب: قيل معناه: مطّال، وقيل: كان يلعب بالحرايب كما تصنع الحبشة.
وقيل: مزاح واسمه جهجاه بن قيس الغفاري، وكان أجير عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه.

قوله: فكسع - بفتح الكاف والسين المهملة والعين المهملة من الكسع -: وهو
أن تضرب بيدك أو برجلك دبر إنسان.

ويقال: هو أن تضرب عجز إنسان بقدمك.

وقيل: هو ضربك بالسيف على مؤخره.

وفي "الموعب": كسعته بما ساءه، إذا تكلم فرميته على إثر.

قوله: بكلمة: تسوؤه بها.

قوله: أنصاريًا: أي: رجلاً أنصاريًا، وهو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي.
قوله: حتى تداعوا: أي: حتى استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم في ذلك،
والدعوى الانتماء، وكان أهل الجاهلية ينتمون بالاستغاثة إلى الآباء، وتداعوا
بصيغة الجمع. وعن أبي ذر تداعوا بالثنية، قال بعضهم: والمشهور في هذا تداعيا
بالياء عوض الواو.

قلت: الذي قال بالواو أخرجه على الأصل.

قوله: يا للأنصار: ويروى يا آل الأنصار، قال النووي: كذا في معظم نسخ
البخاري بلام مفصولة في الموضعين، وفي بعضها يوصلها، وفي بعضها: يا آل بهمزة
ثم لام مفصولة، واللام في الجميع مفتوحة، وهي لام الاستغاثة. قال: والصحيح:
بلام موصولة. ومعناه: أدعو المهاجرين واستغيث بهم.

قوله: «ما بال دعوى الجاهلية» يعني: لا تداعوا بالقبائل، بل تداعوا بدعوة واحدة بالإسلام، ثم قال: ما شأنهم أي: ما جرى لهم وما الموجب في ذلك.

قوله: «دعوها» أي: دعوا هذه المقالة أي: اتركوها أو دَعُوا هذه الدعوى.

ثم بين حكمة الترك بقوله: «فإنها خبيثة» أي: فإن هذه الدعوة خبيثة أي: قبيحة منكرة كريهة مؤذية؛ لأنها تثير الغضب على غير الحق، والتقاتل على الباطل، وتؤدي إلى النار، كما جاء في الحديث: «من دعا بدعوى الجاهلية؛ فليس منا، وليتبوا مقعده من النار».

قوله: وقال عبد الله بن أبي إلى آخره: إنما قال ذلك عبد الله؛ لأنه كان مع عمر بن الخطاب أجيراً له من غفار يقال له: جعال كان معه فرس يقوده، فحوض لعمر حوضاً، فبينما هو قائم على الحوض، إذ أقبل رجل من الأنصار يقال له: وبرة بن سنان الجهني، وسماه أبو عمر: سنان بن تميم، وكان حليفاً لعبد الله بن أبي، فقاتله فتداعيا بقبائلهما، فقال عبد الله بن أبي: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

وأما قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون: ٨٠]، فقد قال النسفي في «تفسيره»: يقولون أي: المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه: والله لئن رجعنا من غزاة بني لحيان، ثم بني المصطلق - وهو حي من هذيل - إلى المدينة ليخرجن الأعز عنى به نفسه منها من المدينة الأذل يعني: محمداً، ولقد كذب عدو الله.



قوله فقال عمر رضي الله تعالى عنه: ألا نقتل - بالنون ويروى بالتاء المثناة من فوق - .
قوله: هذا الخبيث: أراد به عبد الله ابن أبي، وقد بينه بقوله لعبد الله، واللام فيه
يتعلق بقوله: قال عمر أي: قال لأجل عبد الله، وقال الكرمانى: أو اللام للبيان نحو
هيت لك، وفي بعضها يعني عبد الله.
وقال بعضهم: اللام بمعنى عن.

قلت: قال هذا بعضهم في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [سورة الأحقاف: ١١]، ورده ابن مالك وغيره، وقالوا: اللام هاهنا للتعليل،
وقيل. غير ذلك.

قوله: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا» أي: لا نقتل.
قوله: «يتحدث الناس ... الخ»: كلام مستقل، وليس له تعلق بكلمة (لا)، فافهم.
قوله: «أنه» أي: النبي كان «يقتل أصحابه»، ويتنفر الناس عن الدخول في
الإسلام، ويقول بعضهم لبعض: ما يؤمنكم إذا دخلتم في دينه، أن يدعي عليكم كفر
الباطن، فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم، فلا تسلموا أنفسكم إليه للهلاك، فيكون
ذلك سبيلا لنفور الناس عن الدين. اهـ

❁ سببت تسميته صلى الله عليه وسلم لهذا القول بدعوى الجاهلية :

قال العيني رحمه الله - عقب كلامه السابق -: وتسميتها دعوى الجاهلية؛ لأنها
كانت من شعارهم، وكانت تأخذ حقها بالعصبية، فجاء الإسلام بإبطال ذلك،
وفصل القضاء بالأحكام الشرعية إذا تعدى إنسان على آخر، حكم الحاكم بينهما
وألزم كلا ما لزمه.

✽ حكم تعزير من دعا بدعوى الجاهلية وبماذا يعزر:

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ فِي "المصدر السابق" عقب كلامه الأول -: قال السهيلي: من دعا بدعوى الجاهلية يتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً؛ اقتداء بأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر.

الثاني: فيه الجلد دون العشرة أسواط؛ لنهي أن يجلد أحد فوق عشرة أسواط.
الثالث: يوكل إلى اجتهد الإمام على حسب ما يراه من سد الذريعة، وإغلاق باب الشر، إما بالوعيد وإما بالسجن، وإما بالجلد. قيل: في القول الأول الذي ذكره السهيلي فيه نظر؛ لأن أبا الفرج الأصبهاني وهبيرة ذكروا أن النابغة لما سمع يا لعامر أخذ عصاه، وجاء مغيثاً والعصا لا تعد سلاحاً يقتل. اهـ

✽ نصيحة للراعي والرعية:

في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» نعمة ظهوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم فإنه كان أمان لهم، ومعلم لهم، ورحيماً بهم، وهكذا يجب علينا معشر المسلمين حاكماً ومحكوماً ذكوراً وإناثاً زرع الرحمة والأخوة، وإظهار شعائر الإسلام ومحاسنه وسماحته، والله المستعان.



باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

قَالَ الْمِصْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨].

❖ **معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾:**
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١/ ٥٦٥): يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدّقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، قال العوفي، عن ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسّدي، وابن زيد، في قوله: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ يعني: الإسلام.

وقال الضحاك، عن ابن عباس، وأبو العالية، والربيع بن أنس: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ يعني: الطاعة.

وقال قتادة - أيضاً -: المودعة.

وقوله: ﴿كَآفَّةً﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، والربيع، والسّدي، ومقاتل بن حَيَّان، وقتادة والضحاك: أي: جميعاً.
وقال مجاهد: أي: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر.

وزعم عكرمة: أنها نزلت في نفرٍ ممن أسلم من اليهود وغيرهم، كعبد الله بن سلام، وثعلبة وأسَد بن عُبيد، وطائفة استأذنوا رسول الله ﷺ في أن يُسَبِّتوا، وأن يقوموا بالتوراة ليلاً، فأمرهم الله بإقامة شعائر الإسلام والاشتغال بها عما عداها.

وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر؛ إذ يبعد أن يستأذن في إقامة السبت، وهو مع تمام إيمانه يتحقق نسخه ورفعُه وبطلانه، والتعويض عنه بأعياد الإسلام. ومن المفسرين من يجعل قوله: ﴿كَافَّةٌ﴾ حالاً من الداخلين أي: ادخلوا في الإسلام كلهم.

والصحيح الأول، وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها.

وقال ابن أبي حاتم: - وساق بسنده - عن ابن عباس: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ - كذا قرأها بالنصب - يعني مؤمني أهل الكتاب، فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم، فقال الله: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ يقول: ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ، ولا تدعوا منها شيئاً وحسبكم بالإيمان بالتوراة وما فيها. اهـ

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (ص ٩٤): هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه.



بل الواجب أن يكون الهوى، تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته. اهـ.

قلت: ويضاف إلى ما ذكر: حرمة التشبه بأهل الأهواء في أخذهم ما وافق الهوى، وترك الدليل أو صرفه عن ظاهره أو تضعيفه إن خالف هواهم، كما هو حال بعض المسلمين هدايا الله جميعاً، والله أعلم.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة النساء: ٦٠].

✽ معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٣٤٦/٢): هذا إنكار من الله عَزَّجَلَّ على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله؛ كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصمًا، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك.

والآية أعم من ذلك كله؛ فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ٦٠. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ [سورة النساء: ٦٠-٦١]. اهـ

✽ بعض ما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... الآية﴾ من الفوائد:

الأولى: وجوب الانقياد والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
الثانية: قبول حكمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقديمه على غيره؛ للأدلة الدالة على ذلك.



الثالثة: الإيمان بما أنزل الله من الكتب، كما تقدم مفصلاً، في شرح حديث عمرو بن عبسة السابق.

الرابعة: حرمة الدعاوى الكاذبة سواء كان ذلك في الدين أو الدنيا.

الخامسة: وجوب بغض النفاق وأهله والكفر وأهله، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ

مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

❖ معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٣/ ٣٧٦): قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتفرقوا، فلما بعث الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...﴾.

وقال ابن جرير - في "تفسيره" (١٢/ ٢٧٠) - وساق بسنده - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في هذه الأمة ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وليسوا منك، هم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة، من هذه الأمة».

لكن هذا الإسناد لا يصح، فإن عباد بن كثير متروك الحديث. ولم يخلق هذا الحديث، ولكنه وَهَمَ في رفعه، فإنه رواه سفيان الثوري، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاوس، عن أبي هريرة، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ قال: نزلت في هذه الأمة - موقوفا من قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وقال أبو غالب، عن أبي أمانة، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ قال: هم الخوارج. وروي عنه مرفوعاً، ولا يصح.

وقال شعبة، عن مُجالد، عن الشعبي، عن شُرَيْح، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ قال: هم أصحاب البدع، وهذا رواه ابن مَرْدُويه، وهو غريب - أيضاً - ولا يصح رفعه.

والظاهر: أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: فِرَقًا كأهل الملل والنحل، وهي الأهواء والضلالات، فالله قد برأ رسوله مما هم فيه.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علأت، ديننا واحد». فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل برآء منها، كما قال: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]. اهـ

❁ تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على الآيات الثلاث السابقة:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - معلقاً على الآيات الثلاث السابقة -: هذا هو

الواجب؛ الدخول في الإسلام كله، وليس ببعضه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨] يعني في الإسلام.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [سورة النساء: ١٥٠-١٥١].

فالواجب: هو الدخول في الإسلام كله، وأن يلتزم المسلم في الإسلام كله صلاة وزكاة وصياماً وحجاً جهاداً، ما يقول بس أنا أصلي ولا أزكي، أزكي ولا أصوم، لا يجب أن يلتزم بالإسلام كله. اهـ



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦]: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف^(١).

❁ **معنى قوله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا...، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف:**
 روى الترمذي (٣٠٠٠)، عن أبي غالب قال: رأى أبو أمانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أمانة: «كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسَوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧]». **وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٧-١٠٦]**.

قلت لأبي أمانة: أنت سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً، حتى عد سبعا ما حدثكموه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. اهـ^(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص ١٤٢): قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾



(١) فيه كلام: رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٣/ ٧٩٢)، والآجري في "الشريعة" (٢١٢٨)، واللالكائي في "السنة" (١/ ٧٢)، وفيه: مجاشع بن عمرو مترك، وعلي بن قدامة ضعيف وغيرهما، وقد ضعفه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على "تفسير ابن كثير" (٢/ ٦٧) إلا أنه وإن كان ضعيفاً؛ فيقوي معناه ما في الشرح، والله أعلم.

(٢) صحيح راجع: "صحيح وضعيف الترمذي" (٦/ ٥٠٠).

هي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ﴾، وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف. هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك ابيضت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [سورة الإنسان: ١١] نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٧]. اهـ



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** (١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمُّهُ عَلَانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، رواه الترمذي (٢).

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...»

الحديث:

❖ قوله: («ما أتى على بني إسرائيل»): المراد بهم اليهود والنصارى؛ لما روى البخاري برقم (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي

(١) هو عبد الله ابن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادة الفقهاء.

مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح ع. اهـ من «التقريب» (ص ٣١٥).

(٢) حسن بشواهده: رواه الترمذي (٢٦٤١) والمطبراني في «الكبير» (١٩/٣٧٦) من طريق

عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف. انظر: «التقريب» (ص ٣٤٠).

وقال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «صحيح وضعيف الترمذي» (٦/١٤١): حسن. اهـ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا شبرا، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن».

❁ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حذو النعل بالنعل، وشبرا بشبر وذراعًا بذراع» وهل المراد

متابعتهم بالكفر؟

❖ قوله: («حذو النعل بالنعل»): قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحفة الأحوذى» (٦/ ٣٤٠): قال النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. وقوله: «حذو النعل بالنعل»: حذو النعل استعارة في التساوي، وقيل: الحذو القطع والتقدير - أيضًا - يقال: حذوت النعل بالنعل؛ إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبها؛ لتكونا على السواء.

ونصبه على المصدر أي: يحذونهم حذوا مثل حذو النعل بالنعل أي: تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة، والموافقة كمطابقة النعل بالنعل. اهـ. ❖ قوله: («كان في أمتي من يصنع ذلك»): هذا إخبار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شدة متابعتنا لهم، سواء كان ذلك في عباداتهم أو معاملاتهم، أو مأكلكم ومشربهم، أو ملبسهم، أو قوانينهم، ونزع يد الطاعة عن طريق الديمقراطية والمظاهرات، وغيرها. بل ربما فعل المسلمون ما فعل أعدائهم وزادوا عليهم، نسأل من الله السلامة والعافية.

❖ قوله: («وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة»): جاء في حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة»، رواه ابن ماجه (٣٩٩٢).



قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح ابن ماجه" (٣٢٢٦): صحيح. اهـ

✽ إشكال وجوابه :

من المعلوم أن النصارى هم الذين افرقوا إلى اثنتين وسبعين فرقة، فلماذا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تفرقت بني إسرائيل»؟

والجواب من وجوه:

الأول: قد يكون من إطلاق الكل الذي يراد به البعض، فأطلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

على النصارى بني إسرائيل علمًا أن بني إسرائيل هم اليهود والنصارى معًا.

الثاني: قد يحمل على أن النصارى اشتملت على فرق اليهود، وزادت بفرقة.

الثالث: قد يحمل على أن الأقل يدخل تحت الأكثر، واليهود أقل عددًا من

النصارى، وهذا والله أعلم على ممر العصور ومن ذلك ما هو حاصل في عصرنا.

الرابع: أن يقال: الكل من بني إسرائيل، والكل يصح أن يطلق عليهم ذلك، والله

أعلم بالصواب.

✽ سبب تسميته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطرق الأهواء ملل وتعريف الملة :

✧ قوله: («اثنتين وسبعين ملة»): قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في "تحفة الأحوذى"

(٣٣٤/٧): سمى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طريقة كل واحد منهم ملة؛ اتساعًا، وهي في

الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه؛ ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته

تعالى.

ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى،

ولا إلى آحاد أمة النبي، بل يقال ملة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ملتهم كذا، ثم إنها

اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة، لأنهم لما عظم تفرقهم وتدين كل فرقة منهم، بخلاف ما تدين به غيرها كانت طريقة كل منهم، كالملة الحقيقية في التدين فسميت باسمها مجازاً.

وقيل: الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة، وهو قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً.

والمعنى: أنهم يفترون فرقا تدين كل واحدة منها بخلاف ما تدين به الأخرى. اهـ

✽ بعض ما يتعلق بالثلاثة والسبعين الفرقة:

قلت: تواترت الأحاديث: على أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، وقد تقدم ذكر بعض الأدلة وبعضها في المتفق عليه.

✽ أصول هذه الفرق:

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي "تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ" (ص ٢٨): فإن قيل وهل هذه الفرق معروفة؟

فالجواب: إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق، وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها. وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحنبلية والشافعية والمارجئة والرافضة والجبرية.

وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الستة، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة. اهـ



وقال صاحب رسالة "أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان" (ص ٥٢):
 في شرح حديث: «تفريق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة».
 قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»: قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: واعلم
 أن أصول أهل البدع، كما نقل في "المواقف" ثمانية:

- ١- المعتزلة: القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم وبنفي الرؤية، وبوجوب الثواب والعقاب، وهم عشرون فرقة.
 - ٢- والشيعة: المفرطون في محبة علي كرم الله وجهه، وهم اثنتان وعشرون فرقة.
 - ٣- والخوارج: المفرطة المكفرة له، ومن أذنب كبيرة، وهم عشرون فرقة.
 - ٤- والنجارية: الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال، والمعتزلة في نفي الصفات، وحدوث الكلام، وهم ثلاث فرق.
 - ٥- والجبرية: القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة.
 - ٦- والمشبهة: الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية، وهم خمس فرق.
 - ٧- والحلولية: فرقة - أيضاً -، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، كلهم في النار، والفرقة الناجية هم أهل السنة.
- والحاصل: أن أصل هذه الاثنتين والسبعين فرقة الضالة من الأمة المسلمة سبع فرق، كما أخبر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. اهـ

❁ **الأصل الأول وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه :**

قال ابن الجوزي **رَحْمَةُ اللَّهِ** (ص ٢٩) انقسمت الحرورية اثنتي عشرة فرقة وهي:

فأولهم: الأزرقية قالوا: لا نعلم أحداً مؤمناً، وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم.

والأباضية: قالوا: من أخذ بقولنا؛ فهو مؤمن، ومن أعرض عنه؛ فهو منافق. والثعلبية: قالوا: إن الله لم يقض ولم يقدر. والحازمية: قالوا: ما ندري ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون. والخلفية: زعموا: أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى؛ فقد كفر. والمكرمية: قالوا: ليس لأحد أن يمس أحداً؛ لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل.

والكنزية: قالوا: لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحداً؛ لأنه ربما لم يكن مستحقاً، بل يكتزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق.

والشمراخية: قالوا: لا بأس بمس النساء الأجانب؛ لأنهن رياحين. والأخنسية: قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر. والمحكمة: قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق؛ فهو كافر. والمعتزلة من الحرورية: قالوا: اشتبه علينا أمر علي ومعاوية؛ فنحن نتبرأ من الفريقين.

والميمونية: قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا. اهـ

✽ الأصل الثاني وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه :

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ - عقب كلامه السابق - انقسمت القدرية اثنتي عشرة فرقة وهي:



الأحمرية: وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم، ويحول بينهم وبين معاصيهم.

والثنوية: وهي التي زعمت: أن الخير من الله والشر من إبليس.

والمعتزلة: هم الذين قالوا: بخلق القرآن، وجحدوا الرؤية.

والكيسانية: هم الذين قالوا: لا ندري هذه الأفعال من الله أم من العباد، ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون.

والشيطانية: قالوا: إن الله لم يخلق شيطاناً.

والشريكية: قالوا: إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر.

والوهمية: قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات، ولا للحسنة والسيئة ذات.

والراوندية: قالوا: كل كتاب أنزل من الله، فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً.

والبترية: زعموا: أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته.

والناكثية: زعموا: أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ؛ فلا إثم عليه.

والقاسطية: فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها.

والنظامية: تبعوا إبراهيم النظام في قوله: من زعم أن الله شيء؛ فهو كافر. اهـ

❁ الأصل الثالث وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه :

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ - عقب كلامه السابق - انقسمت الجهمية اثنتي عشرة

فرقة وهي:

المعطلة: زعموا: أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان؛ فهو مخلوق، ومن ادعى أن

الله يُرى؛ فهو كافر.

والمريسية: قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة.

والملتزمة: جعلوا الباري في كل مكان.

والواردية: قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه، ومن دخلها؛ لم يخرج منها أبدًا.

الزنادقة: قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربًّا؛ لأن الإثبات لا يكون إلا بعد

إدراك الحواس، وما يدرك فليس بإله، وما لا يدرك لا يثبت.

والحرقية: زعموا: أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة، ثم يبقى محترقا أبدًا

لا يجد حر النار.

والمخلوقية: زعموا: أن القرآن مخلوق.

والفانية: زعموا: أن الجنة والنار تفنيان، ومنهم من قال: إنهما لم تخلقا.

والمغيرية: جحدوا الرسل، فقالوا: إنما هم حكام.

والواقفية: قالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق.

والقبرية: ينكرون عذاب القبر والشفاعة.

واللفظية: قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.

✽ الأصل الرابع وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه :

قال ابن الجوزي رحمته الله - عقب كلامه السابق - انقسمت المرجئة اثنتي عشرة

فرقة وهي :

التاركية: قالوا: ليس لله عَزَّوَجَلَّ على خلقه فريضة سوى الإيمان به، فمن آمن به

وعرفه؛ فليفعل ما شاء.

والسائية: قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه؛ ليعملوا ما شاءوا.



والراجية: قالوا: لا نسمي الطائع طائعاً ولا العاصي عاصياً؛ لأننا لا ندري ما له عند الله.

والشاكية: قالوا: إن الطاعات ليست من الإيمان.

والبيهسية: قالوا: الإيمان عِلْمٌ، ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام؛ فهو كافر.

والمنقوصية: قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

والمستثنية: نفوا الاستثناء في الإيمان.

والمشبهة: يقولون: لله بصر كبصري ويد كيدي.

والحشوية: جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً، فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض.

والظاهرية: وهم الذين نفوا القياس.

والبدعية: أول من ابتدع الأحداث في هذه الأمة.

❁ الأصل الخامس وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه :

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ - عقب كلامه السابق - انقسمت الرافضة اثنتي عشرة فرقة وهي:

العلوية: قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي، وإن جبريل أخطأ.

والأمرية: قالوا: إن علياً شريك محمد في أمره.

والشيعة: قالوا: إن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووليه من بعده، وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره.

والإسحاقية: قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم علم أهل البيت؛ فهو نبي.

والناوسية: قالوا: إن علياً أفضل الأمة، فمن فضل غيره عليه؛ فقد كفر. والإمامية: قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبرائيل، فإذا مات بدل مكانه مثله.

واليزيدية: قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات، فمتى وجد منهم أحد؛ لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم. والعباسية: زعموا: أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره.

والمتناسخة: قالوا: إن الأرواح تتناسخ، فمتى كان محسناً خرجت روحه، فدخلت في خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئاً دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه. والرجعية: زعموا: أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا، ويتقمون من أعدائهم. واللاعنية: الذين يلعنون عثمان، وطلحة والزبير، ومعاوية وأبا موسى وعائشة، وغيرهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

والمتربصة: تشبهوا بزي النساك، ونصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة، فإذا مات نصبوا رجلاً آخر.

✽ الأصل السادس وإلى كم انقسم فرقاً وتسمية كل فرقة منه :

قال ابن الجوزي **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق - انقسمت الجبرية اثنتي عشرة فرقة وهي:

فمنهم المضطربة: قالوا: لا فعل للآدمي، بل الله **عَزَّجَلَّ** يفعل الكل.



والأفعالية: قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها، وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل.

والمفروغية: قالوا: كل الأشياء قد خلقت، والآن لا يخلق شيء.

والنجارية: زعمت: أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم.

والمتانية: قالوا: عليك بما خطر بقلبك، فافعل ما توسمت به الخير.

والكسبية: قالوا: لا يكسب العبد ثوابًا ولا عقابًا.

والسابقية: قالوا: من شاء فليعمل، ومن شاء لا يعمل، فإن السعيد لا تضربه ذنوبه، والشقي لا ينفعه بره.

والحبية: قالوا: من شرب كأس محبة الله **عَزَّوَجَلَّ** سقطت عنه الأركان، والقيام بها.

والخوفية: قالوا: إن من أحب الله لم يسعه أن يخافه؛ لأن الحبيب لا يخاف حبيبه.

والفكرية: قالوا: إن من ازداد علمًا سقط عنه بقدر ذلك من العبادة.

والخسية: قالوا: الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم.

والمعية: قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة. اهـ^(١)

❖ الفرق المعاصرة هل تدخل في الثلاثة والسبعين الفرق المنصوص عليها في الحديث؟

قلت: الفرق التي صار لها آراء ظاهرة، ومناهج مختلفة، ومخالفتهم للكتاب والسنة مشهورة، كجماعة لإخوان المسلمين بأصنافها والسرورية، وجماعة التبليغ ونحوها، فهذه قد نص بعض علماء هذا القرن على دخولها في الثلاثة والسبعين



(١) راجع للمزيد "عارضة الأحوذى" (٧٨ / ٢ / ٥) وغيره.

الفرقة؛ كالألباني، وابن باز، والعثيمين، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى وغيرهم، وكلامهم مبثوث في كتبهم وأشراطهم، والله أعلم.

إشكال وجوابه :

عند ضمنا للفرق المعاصرة إلى ما تقدم من الفرق؛ تصير أكثر من ثلاث وسبعين فرقة.

والجواب على ذلك من أوجه:

الأول: أنه قد ينتمي إلى الإسلام فرق لديها بدعٌ مكفرة، وهذه خارجة عن الثلاثة والسبعين الفرقة.

الثاني: قد يكون المراد بالثلاثة والسبعين أصول الفرق، لا ما تفرع عنها.

الثالث: قد يحمل على أن الثلاثة والسبعين الفرقة هذه هي التي تظهر، وما خفي الكثير، والله أعلم.

وعند النظر أكثر، قد يجد الباحث غير هذه الأجوبة، والله المستعان.

✽ أماكن ظهور هذه البدع:

قال صاحب رسالة "أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان" (ص ٥٢): وأئمة هؤلاء الفرق كلها قد ظهوروا من العراق، الكوفة والبصرة وما جاورهما، وأن الفقيه الشهير والمؤرخ الكبير العلامة السيد سليمان الندوي المتوفى سنة (١٣٧٢هـ) ناظم ندوة العلماء ذكر في كتابه "الكامل الجامع" أعني - سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن الفرق الضالة كلها والفتن والمفاسد العظام، جميعها ظهرت من بلاد العراق، وهي المراد من طلوع قرن الشيطان من نجد، وهذا تلخيص ما قال:



جاء في الأحاديث الصحيحة بوضوح تام، أن ابتداء الفتن يكون من جهة المشرق، وأشار النبي ﷺ بأصبعه مرة بعد أخرى: «من هنا يطلع قرن الشيطان». وكانت هذه الإشارة من المدينة المنورة إلى جهة المشرق يعني العراق. اهـ

❁ معنى قوله ﷺ: «كلها في النار»:

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في "فيض القدير" (٥/٣٤٦): أي: متعرضون لما يدخلهم النار من الأفعال القبيحة. اهـ

وقال غيره: مستحقون للعذاب وهم تحت مشيئة الله تعالى، والله أعلم.

❁ هل الفرق المذكورة كافرة؟

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله ﷺ: «كلها في النار»: اثنتان وسبعون فرقة كلها في النار ما بين كافر، وما بين مبتدع وفاسق، لكن أهل السنة والجماعة هم الذين ساروا على نهج الصحابة، واستقاموا على الدين، فهؤلاء لهم الجنة والكرامة، أما بقية الفرق فيهم الكافر والمبتدع، وفيهم المخالف للشرع الذي لم يلتزم بالحق. اهـ

❁ من المراد بقوله ﷺ: «إلا وحدة»؟

قال الإمام أحمد، ويزيد بن هارون والبخاري وابن المبارك وابن تيمية وغيرهم - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - المراد بهم: أهل الحديث (١).



(١) راجع: "شرف أصحاب الحديث" (ص ٢٤ - ٢٧)، وغيره.

قَالَ الصَّنْفُ رَحْمَةُ اللَّهِ: وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصاً قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة!

✽ **تعليق العلامة ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى تَعْلِيْقِ الْمَصْنُفِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**
«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»:

قال الإمام ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ: يعني: ليلزم الحق ويستقيم على ما سار عليه الصحابة وأتباعهم بإحسان، وأن يحذر أقوال أهل البدع والفرقة والاختلاف اثنتان وسبعون فرقة كلها في النار، ما بين كافر وما بين مبتدع وفاسق، لكن أهل السنة والجماعة هم الذين ساروا على نهج الصحابة، واستقاموا على الدين، فهؤلاء لهم الجنة والكرامة. أما بقية الفرق فيهم الكافر والمبتدع، وفيهم المخالف للشرع الذي لم يلتزم بالحق. اهـ

✽ **نصيحة مستفادة من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلها في النار إلا واحدة»:**

قال أبو محمد السليمانى - ثبته الله على الحق حتى يلقاه -: المسلم العاقل الذي يقرأ مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٦٥].

ومثل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «ما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟»، يعلم علماً يقيناً أن كل واحد منا مآله إلى أن يجيب عن هذين السؤالين.



فأما المسلم السني السلفي المتبع لآثار السلف؛ فإنه سيجيب عن هذين السؤالين في الدنيا بأفعاله الصادقة، وفي الآخرة بأقواله المثبتة بتثبيت الله له، وبضده يجيب أهل الضلال في الدارين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ورواه - أيضًا - من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه، ولكن ليس فيه ذكر النار^(١).

وهو في حديث معاوية^(٢)، عند أحمد، وأبي داود^(٣)، وفيه: «أَنَّهُ سَيُخْرَجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ؛ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ؛ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ».

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيخرج قوم من أمتي تتجاري بهم تلك الأهواء...»**

الحديث:

قال الجرجاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «التعريفات» (ص ٥٧): أهل الأهواء أهل القبلة الذين

(١) صحيح: رواه الترمذي برقم (٢٦٤٠)، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٣٣٢/٢)، وفيه شاهد لما قبله، ولفظه: عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «تفرقت اليهود على إحدئ وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

قال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «صحيح وضعيف الترمذي» برقم (٢٦٤٠): صحيح. اهـ
(٢) هو معاوية هو ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي. أبو عبد الرحمن الخليفة صحابي. أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين ع. اهـ من «التقريب» (٥٣٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٢٠/٤) وأبو داود (٤٥٩٧)، وهو في «صحيح أبي داود» (٣٢٢٥). وقال العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ**: — ضمن تعليقاته على هذا الحديث —: أسانيده مجتمعة، تصل إلى درجة الحسن. اهـ



لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة، وهم الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمعتلة والمشبهة، وكل منهم اثنا عشرة فرقة، فصاروا اثنتين وسبعين. اهـ

✧ قوله: («الكلب»): قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «النهاية» (ص ٨١٠): الكلب - بالتحريك -: داء يعرض للإنسان من عرض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون، فلا يعرض أحدا إلا كلب وتعرض له أعراض رديئة، ويمنع من شرب الماء حتى يموت عطشا. اهـ

✧ قوله: («ولا مَفْصَلٌ إلا دخله»): هذا بيان للحالة التي تصل إليها الأهواء من أصحابها، والله أعلم.

✧ **بعض ما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء...»**

الحديث «من الفوائد:

الأولى: قال المبارك فوري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «تحفة الأحوزي» (٦/ ٣٤٠): قال النووي: وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فقد وقع ما أخبر به **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انتهى.

الثانية: تشبيه البدع بداء الكلب، وأهل البدع كمن أصيب بداء الكلب، والعياذ بالله، وذلك لقوة تأثيرها على أهلها، فقد ذكر أن الكلب يصاب بالجنون إذا أصيب بداء الكلب، وكذا المبتدع يصير آخر النار أبله، كما قال الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، والله أعلم.

الثالثة: على العاقل أن يجنب عقيدته الصحيحة الدخلاء الأجانب، من بدع ومحدثات ودعاة إليها، وكفى بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قدوة له، والله أعلم.



قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتقدم (١) قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ» (٢).

✽ **تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ**

الجاهلية»:

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني يجب الحذر على المسلمين من أن يتبدعوا في الدين، ويحذروا سنن الجاهلية.

بل عليهم أن يلتزموا بالإسلام الذي جاء به المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتعاونوا في هذا وأن يتواصوا بهذا، فيؤدوا ما شرع الله وبيتعدوا عن ما حَرَّمَ الله، ويحذروا البدع والمعاصي، هكذا يجب على أهل الإسلام أن يستقيموا ويتعاونوا على البر والتقوى، كما قَالَ نَسَائِي: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢].

وقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [سورة العصر: ١-٣].

أما أن يتفرقوا، فيقول هذا: آخذ بهذا، ويقول هذا: آخذ بهذا، هذا لا يجوز، هذا دين الجاهلية، نسأل الله العافية. اهـ



(١) تقدم تخريجه في (باب وجوب الإسلام)، وسبق الكلام على الحديث مفصلاً.

(٢) في النسخ المعتمدة من الكتاب: «سنة جاهلية»، وفي «الصحيح»: «سنة الجاهلية».



باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

❁ أيهما أضر على المسلم البدعة أم المعصية؟:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى: أن البدعة أكبر من الكبائر؛ لأنها تَنْقُصُ للإسلام، وإحداث في الإسلام، واتهام للإسلام بالنقص، فلهذا يبتدع ويزيد. وأما المعاصي فهي اتباع للهوى، وطاعة للشيطان، فهي أسهل من البدعة، وصاحبها قد يتوب ويسارع ويتعظ، أما صاحب البدعة فيرى أنه مصيب وأنه مجتهد، فيستمر بالبدعة، نعوذ بالله، ويرى الدين ناقص فهو بحاجة إلى بدعته، ولهذا صار أمر البدعة أشد وأخطر من المعصية، قال تعالى في أهل المعاصي: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فأهل المعاصي تحت المشيئة، وأما أهل البدع فذنبهم عظيم وخطرهم شديد؛ لأن بدعتهم معناها التنقص للإسلام، وأنه محتاج لهذه البدعة ويرى صاحبها أنه محق ويستمر عليها ويقتى عليها ويجادل عنها نسأل الله العافية. اهـ

❁ أقسام البدع:

تقدم تقسيمها في (باب وجوب الدخول في الإسلام)، وتتميمًا للفائدة؛ أذكر أمراً

لم يذكر قبل:

قال الشيخ العقل في "شرحه لهذا الباب": أقسام البدع ثلاثة:

الأول: بدع مكفرة، وهي بدع الشرك، والبدع التي تخل بأصول الإسلام الناقضة للدين، أو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة، أو الإعراض عن الدين بالكلية، حتى ولو لم يكن في ذلك شيء من الشرك الصريح، فإنه يعد من البدع الكفرية.

الثاني: البدع المغلظة التي هي من كبائر الذنوب، بل من أعظم الكبائر. والبدع المغلظة هي الأكثر مما يقع فيه كثير من أهل البدع، في العصور المتأخرة، والتي منها على سبيل المثال: الموالد البدعية والبناء على القبور، واتخاذ المزارات والمشاهد، والتبرك بما لم يرد الشرع ببركته ونحو ذلك، هذه بدع كبيرة ومغلظة.

الثالث: بدع صغيرة، يقع فيها أكثر جهلة المتتبعين للبدع إذا لم يقعوا في كبائر البدع، وقد يقع فيها بعض المتتبعين للسنة، مثل: التزام السبحة عند التسبيح، أو التزام شعار معين، أو تقليد الأشخاص، ومثل بعض التصرفات التي تكون عند المآكل وفي الجنائز، فهذه غالباً من أنواع البدع الصغيرة.

إذاً: الشرك هو أعظم أنواع البدع، ولذلك أدخله الشيخ هنا للاستدلال على أن البدع أشد من الكبائر. كذلك الكذب على الله عز وجل. اهـ

﴿مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾﴾

[سورة النساء: ٤٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢/٣٢٥): أخبر تعالى: أَنَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: من

الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من عباده. اهـ



وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره" (ص ١٨١): يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدًا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابًا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين.

ومن فوق ذلك كله: رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئًا، وما لهم يوم القيامة ﴿مِنْ شَافِعِينَ ۝ ١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١] ... وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

❖ معنى قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص ٢٧٧): أي: مع كذبه وافتراءه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٤٤] الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله. اهـ

❖ هل يصح أن نطلق على أهل البدع أنهم مفترون؟

قلت: من هذه الآية يتضح الأمر جلياً بأن أهل البدع الداعون إليها، كذبة على الله وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى الدين الحنيف وانظر كلام الشيخ العقل، المذكور في الصفحة التالية، والله المستعان، وهو أعلم.

❖ معنى قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ... الْآيَةَ﴾ [سورة النحل: ٢٥]:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٤/ ٥٦٥): أي: إنَّما قَدَّرنا عليهم أن يقولوا ذلك، فيتحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أي: يصير عليهم



خطيئة ضلالهم في أنفسهم، وخطيئة إغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم، كما جاء في الحديث: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...».

وهكذا روى العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إنها كقوله: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت: ١٢].

وقال مجاهد: يحملون أثقالهم: ذنوبهم وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف عمن أطاعهم من العذاب شيئاً. اهـ

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [سورة النحل: ٢٥] يعني: عليه مثل أوزار من تبعه في بدعته، نسأل الله العافية. اهـ

وقال الشيخ العقل في شرح هذه الآية "لهذه الرسالة": أراد بقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٤]،

وهو باب واسع يدخل فيه التشريع بما لم يشرعه الله عَزَّوَجَلَّ، والابتداع أي: إحداث البدع، ونسبة البدع إلى الشرع، والقول بأنها من شرع الله ودينه، كل هذا داخل في الافتراء والكذب على الله، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ

الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

فهذا أراد به أن صاحب البدعة مرتكب ذنباً عظيماً، ومما يتحملة صاحب البدعة أنه يتحمل أوزار الذين يقلدونه إلى يوم القيامة. اهـ



قَالَ الصَّفُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" (١): أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن لقيتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لأن لقيتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد... الحديث»:

❖ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لئن لقيتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد»:

قال العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ:** قوله «لئن لقيتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد»: لعظم بدعتهم؛ لأنهم شبهوا على الناس فاجتهدوا في القراءة والصلاة، حتى قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قراءتهم».

ثم حملوا على المسلمين وقتلوهم، هذا من جرأتهم الخبيثة، وقاتلوا علياً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقتلوا عمرو بن خارجة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقتلوا جمعاً غفيراً، كله بسبب بدعتهم وضلالهم حتى أعان الله علياً عليهم فقتلهم.

فالخوارج شرهم عظيم؛ لأنهم يرون أنهم مصيبون في قتلهم للعصاة من الأمراء وغير الأمراء، وهذا من جهلهم وضلالهم، ولهذا قال فيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «أينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم»، وقال: «لئن أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد». اهـ.

❖ حكم قتال البغاة:

قال الإمام النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح مسلم" (١٣/١٨٥): هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء.

(١) بل في "الصحيحين" البخاري برقم (٦٩٣٠)، ومسلم (٢٤٦٢)، عن علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي، متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا: وجب قتالهم بعد إنذارهم والاعتذار إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَتِلُوا الَّذِينَ تَبَغَّيْ حَتَّىٰ تَقِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحجرات: ٩].

لكن لا يجهز على جريحهم ولا يتبع منهزمهم، ولا يقتل أسيرهم ولا تباح أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة ويتصبوا للحرب لا يقاتلون بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم. وهذا كله ما لم يكفروا بدعتهم، فإن كانت بدعة مما يكفرون به جرت عليهم أحكام المرتدين.

هل البغاة كفار؟ وهل يُضمنون ما أتلفوا من النفس والمال؟ وهل يُنتفع بأموالهم؟

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - عقب كلامه السابق -: وأما البغاة الذين لا يكفرون فيرثون ويورثون، ودمهم في حال القتال هدر، وكذا أموالهم التي تتلف في القتال. والأصح: أنهم لا يُضمنون - أيضاً - ما أتلفوه على أهل العدل في حال القتال من نفس ومال، وما أتلفوه في غير حال القتال من نفس ومال ضمنوه. ولا يحل الانتفاع بشيء من دوابهم وسلاحهم في حال الحرب عندنا، وعند الجمهور وجوزه أبو حنيفة، والله أعلم. اهـ.

هل البدعة تدخل تحت المشيئة إذا لم تكن مكفرة؟

سئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - أثناء شرحه لهذا الحديث من هذا الكتاب - بهذا السؤال.

فأجاب سماحته: ما تدخل في الذنوب؛ لأنه متوعد عليها في النار والعياذ بالله، إلا أن يتوب نسأل الله العافية، ولكن إن كانت دون الشرك يرجى لصاحبها؛ لأنها تدخل في المعنى من جهة المعاصي، لكنها غير داخلية في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨] في الجملة، لكن إذا كان المبتدع بدعته دون الشرك؛ فهي لها حكم المعاصي من جهة أنه لا يخلد في النار إن دخل النار. اهـ



قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه (١): أنه نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

✽ **تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (نهى عن قتل أمراء الجور**

ما صلوا) :

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: الأمراء وإن جاروا وظلموا ما داموا ملتزمين بالإسلام، لا يجوز جهادهم ولكن ينصحون، أما إذا أتوا كفراً بواحاً وجب جهادهم على من قدر، إذا كان هناك قوة تقدر. اهـ

قلت: أي تقدر: على إزالتهم، لأن بعض أهل العلم ينص: على أن الوالي لو كفر، وكان صاحب قوة، فخرج المسلمون عليه وقتلوه، فقتل من قتل منهم، ونكل بهم، وهتك حرمتهم، ودمر مساجدهم، ومنعوا من الجمعة والجماعة، ففي هذا الحال يصبرون حتى يأتي الله بالنصر والعدة والعتاد وغير ذلك، لأن المقصود من قتال الولاية الكفرة، هو إعلاء الدين لا قتل المسلمين، وغير ذلك، والله أعلم.

تنبيه مهم:

يجب على المسلمين أن يردوا أمر تكفير الحكام إلى العلماء الراسخين، الذين يعقلون الأمور، فإن موضوع التكفير لا يتأتى لأي شخص بل أقول ولا لأي عالم،



(١) أي: في الباب، وهذه الإشارة من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، لما روى مسلم برقم (١٨٥٥)، عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله، أفلا ننايذهم بالسيف؟، فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئاً تكرهونه؛ فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة».

ولذلك كان المعتر قولهم قبل عقدٍ هم أمثال ابن باز والألباني والعثيمين وشيخنا
الوادعي - رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى - وفي هذا العصر من ما ثلهم وحذا حذوهم في التآني
والتدقيق والنظر، لا إلا الشباب الطائش، وأهل الحماسات، ولا إلى ذوي النظر
القاصر والرأي العقيم، من يقدم الهوى على الدليل، والجهل على العلم، والظلم
على العدل، والفتنة على السلامة، والتشريد على الاستقرار، وربما كان وراء تكفير
بعض حكام المسلمين أغراض نفسية، وطائفية وحزبية.

علمًا بأن المسلم مأمور باليسر على الكتاب والسنة، لا على ما تهواه النفوس،
والله أعلم.



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن جرير بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ^(١) أن رجلاً تصدق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، رواه مسلم ^(٢).

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث»:**

❖ **المعنى الصحيح لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سن في الإسلام سنة حسنة»:**

قد سبق بعض الكلام عن هذا الحديث، تحت عنوان (ذكر بعض ما يستدل به على جواز الابتداع).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "الفتاوى" (٢٨/١٥٠): أي: أحي سنة قد ماتت، فنشرها وبينها للناس. اهـ

وقال الإمام النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح مسلم" (٧/٢٠٦): الفضل العظيم للبادئ بهذا الخير، والفتاح لباب الإحسان. اهـ

وقال العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ**: هذا معناه: أحيائها وأظهرها، ليس المراد به البدعة.



^(١) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي مشهور مات سنة إحدى وخمسين، وقيل:

بعدها ع. اهـ "التقريب" (١٣٩).

^(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٥١).

وإنما المراد هنا: إحياء السنة وإظهارها؛ لأنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى قوماً فقراء، فلما رأى فقرهم خطب الناس وحثهم على الصدقة ورغبهم فيها، وقال: «تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال -: ولو بشق تمرة»، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام، وثياب حتى رأيت وجه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتهلل، كأنه مذهبة، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». اهـ.

❁ الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟

سئل العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** - أثناء شرحه للكتاب ما نصه -: الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟.

فأجاب: نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم وهو داع إليهم، هو من دعائهم نسأل الله العافية. اهـ.

قلت: وهذه العلامات الثلاث التي ساقها الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** من العلامات البارزة في أهل البدع، وإضافة إلى ذلك: حضور مجالسهم ودروسهم، وخطبهم ومحاضراتهم، والسفر معهم، والقراءة في كتبهم، ومنا كحتهم، وغير ذلك إذا فعل لغير ما عذر شرعي، والله أعلم.

وقد بسط القول في ذلك في كتابي: (إرشاد المريد لبيان ما نُهي عنه في العقيدة والتوحيد).



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وله مثله ^(١) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ولفظه: «من دعا إلى هدى»، ثم قال: «ومن دعا إلى ضلالة».

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من دعا إلى هدى... الحديث»:**

قال أبو الطيب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عون المعبود» (١٢/ ٢٣٦): قوله: «من دعا إلى هدى»: أي: إلى ما يهتدى به من الأعمال الصالحة. «كان له من الأجر مثل أجر من تبعه»: إنما استحق الداعي إلى الهدى ذلك الأجر؛ لكون الدعاء إلى الهدى خصلة من خصال الأنبياء، «لا ينقص ذلك» أي: الأجر.

وقيل: هو إشارة إلى مصدر كان «من أجورهم شيئاً» هذا دفع لما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون مثلاً بالتنقيص من أجر التابع، وبضم أجر التابع إلى أجر الداعي، وضمير الجمع في أجورهم راجع إلى من باعتبار المعنى. اهـ

وقال في «تحفة الأحوذى» (٧/ ٣٦٤): قال الطيبي: الهدى إما الدلالة الموصلة، أو مطلق الدلالة. والمراد هنا: ما يهدي به من الأعمال الصالحة، وهو بحسب التنكير شائع في جنس ما يقال هدى، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وأدناه هدى من دعا إلى إمالة الأذى عن طريق المسلمين.

❖ قوله: («كان له»): أي: للداعي. «مثل أجر من يتبعه» فيعمل بدلالته أو يمثل أمره «لا ينقص ذلك» الأظهر أنه راجع إلى الأجر.



(١) أي: ولمسلم (٦٨٠٤)، ولفظه: «من دعا إلى هدى؛ كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة؛ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

✧ قوله: («من أجورهم شيئاً»): قال القارئ: والظاهر أن يقال: إن «شيئاً» مفعول به، أي: «شيئاً من أجورهم»، أو مفعول مطلق أي: شيئاً من النقص. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح مسلم» (١٦/ ٢٢٧): سواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة، أو أدب أو غير ذلك. اهـ

قلت: وبضد ما تقدم يقال في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من دعا إلى ضلالة»، والله أعلم.



باب ما جاء في: «أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة»

قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا^(١) مروي من حديث أنس^(٢)، ومن مراسيل الحسن^(٣).

(١) الضمير يعود على ما بوب به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو لفظ حديث مرفوع؛ كما في التخريج، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٠/ ١٢٩)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٧) وغيرهما، والحديث رجاله ثقات إلا هارون بن موسى القزويني. قال في "التقريب" ترجمة (٧٢٤٤): لا بأس به. اهـ

وحميد الطويل؛ قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "تعريف أهل التقديس" (ص ١٣٣): حميد الطويل صاحب أنس، مشهور كثير التدليس عنه حتى قيل: إن معظم حديثه عنه بواسطة ثابت وقتادة، ووصفه بالتدليس النسائي وغيره. اهـ

وهذا الحديث حسن بشواهد، وهو في "الصحيح" برقم (١٦٢٠).
ولفظه: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة؛ حتى يدع بدعته».
وأنس: هو بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خدمه عشر سنين مشهور مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة ع. اهـ من "التقريب" (ص ١١٥).

(٣) أخرجه ابن وضاح في "البدع" (ص ٢٧)، والآجري في "الشریعة" (ص ٦٢)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (١/ ١٢٨)، كلهم من طريق هشام بن حسان، عن الحسن.

✽ مراد المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ إيرادِهِ لِهَذَا الْبَابِ :

قال العلامة ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ: المقصود بهذا الباب بيان خطر البدعة، وأن من أخطار البدعة: أن صاحبها لا يوفق للتوبة، يرى أنه مصيب ويستمر على الباطل، هذا من أخطارها وبلائها.

فالواجب الحذر من البدع؛ لأنها شر عظيم، كما ذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد». وقال: «كل بدعة ضلالة»، لاحول ولا قوة إلا بالله. اهـ

✽ حَكَمُ الْعَلَامَةِ ابْنِ بَازٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى حَدِيثٍ: «إِنْ اللَّهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةُ...»؟

سئل سماحة الشيخ ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ - أثناء شرحه - عن صحة حديث: «إن الله احتجز التوبة...»؟

ورواية هشام عن الحسن أعلها بعضهم بالانقطاع، كما في "شرح علل الترمذي" لابن رجب (ص ٢٥٧)، والله أعلم، وروي مرفوعاً عن حذيفة، من طريق محمد بن محصن، كذبه ابن معين. انظر: "تاريخ الإسلام" (٤/ ٩٦٦). وجاء بنحوه، عن أيوب السخيتاني، ولفظه: ما ازداد صاحب بدعة اجتهداً؛ إلا ازداد من الله بعداً، أخرجه ابن وضاح في "البدع" (ص ١٠)، وفيه مجاهيل، وهم الرواة عن أيوب السخيتاني. والحسن: هو بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولا لهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس.

قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين ع. اهـ من "التقريب" (ص ١٦٠).



فأجاب سماحته **رَحْمَةُ اللَّهِ**: الحديث يحتاج إلى تأمل، ونظر في سنده، يراجع.
ثم أجاب **رَحْمَةُ اللَّهِ**: مرة أخرى في أحد الدروس عن الحديث ومعناه قائلاً: وهذا هو الحق: أن الله احتجب التوبة عن صاحب البدعة. اهـ
قلت: قد تقدم في التخريج: أن الحديث حسن، والله أعلم.

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ احتجز التوبة - أو حجب التوبة - عن المبتدع» :**

قال الشيخ ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** - عقب كلامه السابق -: ومعناه: أنه يستحسنها ويرى أنه مصيب، ولهذا فالغالب أنه يموت عليها والعياذ بالله؛ لأنه يرى أنه مصيب، بخلاف صاحب المعصية الذي يعرف أنه عاص، وأنه مجرم، وأنه مخطئ؛ فيتوب، وقد يتوب الله عليه.

لكن صاحب البدعة على خطر؛ لأنه يستحسنها ويتبع هواه، ولهذا فهو على خطر، فيحجب عن التوبة لاستحسانه للبدعة، وظنه أنه على هدى واعتقاد أنه على حق.
أما إذا هداه الله وتبصر وتاب تاب الله عليه، وجميع الذنوب إذا تاب منها العبد؛ تاب الله عليه حتى الشرك الذي هو أكبر من البدعة.

فالكفر بالله إذا تاب منه العبد تاب الله عليه، والكفار من قريش وغيرهم لما تابوا تاب الله عليهم، وهكذا سحرة فرعون لما تابوا تاب الله عليهم.

وهكذا صاحب البدعة إذا بصره الله وتاب منها؛ تاب الله عليه، فهو من باب الوعيد، مثل الحديث الصحيح: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، فهو من باب الوعيد. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: لكن إنما يخشى عليهم، وذلك أن الغالب عليهم أنهم يستحسنون آرائهم وييقنون عليها - نسأل الله العافية -.

وإلا فإن كثيراً من أهل البدع تابوا وتاب الله عليهم، وإن صح الحديث فهو من باب الوعيد والتحذير - نسأل الله العافية - مثل ما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا».

هذا من باب الوعيد، وإلا من تاب تاب الله عليه. اهـ



قَالَ الصَّفُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر ابن وضاح^(١)، عن أيوب^(٢) قال: كان عندنا رجل يرى رأياً، فتركه فأتيت محمد بن سيرين^(٣) فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله، «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه»^(٤).

✧ قوله: (يرى رأياً): أي: من رأي الخوارج، والله أعلم.

✧ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يمرقون من الدين»:**

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٣/١٧٣): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية».

وفي الرواية الأخرى: «يمرقون من الإسلام». وفي الرواية الأخرى: «يمرقون من الدين».



(١) في كتاب «البدع» برقم (١٥٤) قال: حدثنا أسد، حدثنا حمزة، عن أيوب به، وهو حسن إليه.

(٢) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني، أبو بكر البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون ع. اهـ من «التقريب» (ص ١١٧).

(٣) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى من الثالثة مات سنة عشر ومائة ع. اهـ من «التقريب» (ص ٤٨٣).

(٤) هذه القطعة جزء من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند «مسلم» برقم (٢٤٦٩).

قال القاضي: معناه: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى، ولم يتعلق به شيء منه.

والرمية: هي الصيد المرمى، وهي فعيلة بمعنى مفعولة.

قال: والدين هنا هو الإسلام، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** [سورة آل عمران: ١٩].

وقال الخطابي: هو هنا الطاعة أي: من طاعة الإمام. اهـ.

❖ هل الخوارج كفار؟

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق -: وفي هذه الأحاديث دليل لمن يكفر الخوارج.

قال القاضي عياض **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قال المازري اختلف العلماء في تكفير الخوارج. قال: وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالاً من سائر المسائل.

ولقد رأيت أبا المعالي، وقد رغب إليه الفقيه عبد الحق - **رَحِمَهُمَا اللَّهُ** تعالى - في الكلام عليها، فرهب له من ذلك واعتذر بأن الغلط فيها يصعب موقعه؛ لأن إدخال كافر في الملة، وإخراج مسلم منها عظيم في الدين.

وقد اضطرب فيها قول القاضي أبي بكر الباقلاني، وناهيك به في علم الأصول، وأشار ابن الباقلاني إلى أنها من المعوصات؛ لأن القوم لم يصرحوا بالكفر، وإنما قالوا أقوالاً تؤدي إليه.

وأنا أكشف لك نكتة الخلاف وسبب الإشكال، وذلك أن المعتزلي مثلاً يقول: إن الله تعالى عالم، ولكن لا علم له، وحي ولا حياة له، يوقع الالتباس في تكفيره؛



لأن علمنا من دين الأمة ضرورة أن من قال أن الله تعالى ليس بحي ولا عالم كان كافراً، وقامت الحجة على استحالة كون العالم لا علم له، فهل نقول أن المعتزلي إذا نفى العلم نفى أن يكون الله تعالى عالماً، وذلك كفر بالإجماع، ولا ينفعه اعترافه بأنه عالم مع نفيه أصل العلم، أو نقول قد اعترف بأن الله تعالى عالم وإنكاره العلم لا يكفره، وإن كان يؤدي إلى أنه ليس بعالم، فهذا موضع الإشكال، هذا كلام المازري.

ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء: أن الخوارج لا يكفرون، وكذلك القدرية، وجماهير المعتزلة وسائر أهل الأهواء.

قال الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية، وهم طائفة من الرافضة يشهدون لموافقيهم في المذهب بمجرد قولهم، فرد شهادتهم لهذا لا لبدعتهم، والله أعلم. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وسئل أحمد بن حنبل^(١)، عن معنى ذلك، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يوفقون للتوبة.

✧ قوله: (عن معنى ذلك): أي: عن قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثم لا يعودون إليه»، أو الحديث بتمامه، والله أعلم.

✧ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم لا يعودون إليه»**، وبيان أن البدعة أشد من المعصية:

قد تقدم بعض الكلام في مقدمة باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر. وقال صاحب رسالة "منهج أهل الاتباع في التعامل مع أهل الابتداع" (ص ٥٦): وهذا الاعتقاد ليس بالسهل اقتلاعه من النفوس والعقول والقلوب، فهو عسير إلا على من وفقه الله تعالى وأراد به خيراً.

ولذلك وردت عبارات بعض السلف في استبعاد توبة الدعاة للبدعة والموغلين فيها: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من أحب الكلام لم يخرج من قلبه، وقال: لا يوفق، ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة، وقال جمع من السلف، كالثوري وغيره: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

وقال بعضهم: «إن الله حجر التوبة عن صاحب البدعة»، ونحو هذه النصوص، ذلك لأن التوبة من الشيء مبناها على معرفة القلب والروح؛ لقبح هذا الشيء،



(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد أبو عبد الله، أحد الأئمة ثقة حافظ فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين وله سبع وسبعون سنة ع. ٨٤هـ من "التقريب" (ص ٨٤).



وقليل من المبتدعة هم الذين ينقذح ذلك في قلوبهم، فكلام السلف الذين نفوا التوبة عن أهل البدع، لا يقصدون بذلك عدم قبولها، وإنما يقصدون أن غالب أهل البدع لا يوفقون للتوبة؛ لعدم استشعار قلوبهم لقبح ما هم عليه.

وهذا يفسره قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» - حديث حسن -؛ لأنه ما دام على بدعته فإنه لا يزال مستحسناً لها، وكيف تكون التوبة وقلبه يرى أنها قرينة وطاعة؟. اهـ

قلت: وتقدم كلام العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** في أن البدعة أخطر من المعصية، في (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر)، وانظر للمزيد والاستيعاب: مقدمة كتاب "تلييس إبليس" لابن الجوزي **رَحِمَهُ اللَّهُ**.



باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾

قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴿١﴾.

✽ معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٥٧/٢): ينكر تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم.

قال محمد بن إسحاق بن يسار: - وساق بسنده - عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود، عند رسول الله ﷺ، فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ أي: كيف تدعون، أيها اليهود، أنه كان يهوديًا. اهـ

(١) آل عمران [٦٥-٦٧] هكذا وجد في النسخة المعتمدة: تكرار الآية في الباب والتمتن.



❖ متى وجدت اليهودية والنصرانية؟

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تَدْعُونَ، أيها النصارى، أنه كان نصرانيًا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٥.

ثم قال: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٦. هذا إنكار على من يحتاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تَحَاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو تَحَاجُّوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردِّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٦.

[سورة البقرة: ٢١٦].

ثم قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٧] أي: مُتَحَنِّفًا عن الشرك قَصْدًا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٣٥ [سورة البقرة: ١٣٥].

وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٣٥ [سورة البقرة: ١٣٥].

ثم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٨ [سورة آل عمران: ٦٨] يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم

الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي يعني محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم.

قال سعيد بن منصور: أخبرنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنْ وَلِيَّ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي عَزَّجَلَّ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٨. وقد رواه الترمذي والبخاري وابن أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري، عن أبيه، ثم قال البخاري: ورواه غير أبي أحمد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، ولم يذكر مسروقاً.

وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع، عن سفيان، ثم قال: وهذا أصح، لكن رواه وكيع في "تفسيره"، فقال: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكره.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٨ أي: ولي جميع المؤمنين برسله. اهـ

❖ بعض ما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ... الْآيَةِ﴾

[سورة آل عمران: ٦٥] من الفوائد:

الأولى: تحريم القول على الله بلا علم.

الثانية: جرم الكذب على الأنبياء والرسل، ومن الكذب عليهم القول بأنهم يهود أو نصاري.

الثالثة: فضيلة عظيمة لإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٦/ ٢٧١): قد جعله الله للناس إماماً؛ فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان، والله أعلم.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠] (١).

❖ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١/ ٤٤٥): يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَدًّا عَلَى الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿يَقُومُ إِلَيَّ بِرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦١) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١) وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠-١٢٢].

(١) البقرة [١٠٣].



ولهذا وأمثاله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن طريقته ومنهجيه، فيخالفها ويرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد، من حادثة سنّه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء، فترك طريقه هذا ومسلكه وملّته واتبَعَ طُرُقَ الضلالة والغي.

فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

وقال أبو العالية وقتادة: نزلت هذه الآية في اليهود؛ أحدثوا طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما أخذوه.

ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٢٦] إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [٦٨] [سورة آل عمران: ٦٧-٦٨]. اهـ

❁ بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ... الآية﴾ من الفوائد:

الأولى: الأمر باتباع ملة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥].

الثانية: ضرر الانحراف عن هذا الدين القويم، وأنه مشعر بخلل في العقل والفطرة.

الثالثة: فضيلة أبينا إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، كما في آيتي البقرة والنحل، وغيرها، والله أعلم.



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه (١): حديث الخوارج، وقد تقدم (٢).

وفيه (٣): أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأوليائي؛ إنما أوليائي المتقون».

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأوليائي إنما أوليائي المتقون»:**

قال الإمام النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «المنهاج» (١٩/ ١٢٥): هذه الكناية بقوله يعني فلاناً هي من بعض الرواة، خشي أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة، إما في حق نفسه، وإما في حقه وحق غيره فكنى عنه، والغرض إنما هو قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

(١) أي: وفي الباب، والله أعلم.

(٢) المراد به حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، تقدم ذكره في (باب وجوب الدخول في الإسلام كله)، والله أعلم.

(٣) أي: وفي الباب لا في الحديث المتقدم؛ لأن هذا اللفظ ليس في أحد «الصحيحين»، وإنما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٥٥)، والحاكم (٣٣٢٦)، عن رفاعة القرظي، وهو في «الصحيحة» برقم (١٦٨٨).

وجاء عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بهذا اللفظ، عند البخاري - أيضاً - في «الأدب المفرد» برقم (٦٨٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٢) بسند صحيح، وهو في «الصحيحة» برقم (٧٦٥).

وجاء بنحوه، في «البخاري» برقم (٥٩٩٠)، ومسلم (١٩)، عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وجاء عن معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو في «السنة» لا بن أبي عاصم برقم (٢١٢)، وسنده صحيح، فعلى هذا: حديث رفاعة يكون صحيحاً بشواهد، والله أعلم.



ومعناه: إنما وليي من كان صالحاً، وإن بعد نسبه مني، وليس وليي من كان غير صالح، وإن كان نسبه قريباً.

قال القاضي عياض **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قيل: إن المكنى عنه هاهنا: هو الحكم بن أبي العاص، والله أعلم.

وأما قوله: «جهاراً»: فمعناه علانية لم يخفه بل باح به وأظهره وأشاعه، ففيه التبرؤ من المخالفين وموالة الصالحين والإعلان بذلك ما لم يخف ترتب فتنة عليه، والله أعلم. اهـ

وقال ابن علان **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «دليل الفالحين» (٣/١٢٥): قال الشيخ زكريا في «التحفة»: المراد بفلان أبو طالب، أو أبو العاص ابن أمية، والمراد من آله من لم يسلم منهم. اهـ

وقال السيوطي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: في «مستخرج» أبي نعيم: «إن آل أبي طالب»، فقيل: الراوي له عنبة بن عبد الواحد أموي من الناصبة المنحرفين على عليّ، فلا يقبل منه هذا التعبير.

وقيل: هو محمول على غير المؤمنين، وعلى كونه العاص، وإنما أبهمه الراوي؛ لخوف مفسدة ترتب على ذكره. قال الدلجي: لأن الأمر حينئذ كان في ذويه. اهـ

وفي «تعليق المصابيح» للدماميني: قال ابن العربي في «سراج المريدين»: معنى الحديث آل أبي طالب، قال: ومعناه: إني لست أخصّ قرابتي ولا فصيلتي الأدينين بولاية دون المسلمين، وإنما رحمهم معي في الطالبة، فسأبلها ببلالها أي: أعطيها حقها؛ فإن المنع عند العرب يُؤس، والصلة بَلّ. اهـ

✧ قوله: («إنما أوليائي المتقون»): قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ في «دليل الفالحين» (٣/ ١٢٦): قوله: «إنما وليي الله» أي: ناصري، والذي أتولاه في جميع الأمر.

✧ وقوله: («صالح المؤمنين»): كذا رأيتُه - بحذف الواو من صالح على أنه مفرد مضاف اكتفى بعمومه -، ويؤيده آية: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التحريم: ٤].

فالحديث على طبق الآية، فإنها دلت على حصر أوليائه فيمن ذكر.

قال الكواشي في «التفسير»: المراد بصالح المؤمنين: أبو بكر أو عمر، أو هما أو علي، أو كل من برئء من المؤمنين من النفاق، أو هم الأنبياء، وصالح المؤمنين.

اهـ

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح أصول التفسير» (ص ١٥): المراد بالآل قرابته المؤمنين أما غير المؤمنين به فليسوا من آله؛ لأن الله قال لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في ولده: ﴿إِنَّهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [سورة هود: ٤٦]، وهو ابنه من صلبه ومع ذلك نفى الله أن يكون من أهله، فكذلك الذين لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرابته ليسوا من آله، وإن كانوا من أهله نسباً، لكنهم لا يدخلون في الدعاء لهم. اهـ



قَالَ الصَّئِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه - أيضًا (١) -: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُقُومُ وَأَنَاْمُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ وَأَكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

❁ الكلام على حديث: الثلاثة الذين قالوا: لا تتزوج ولا ننام ولا نفطر... إلخ؟

❁ منهم الرهط الذين قالوا: لا نتزوج ولا نفطر ولا ننام ولا نأكل اللحم؟

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٩/ ١٠٤): قوله: جاء ثلاثة رهط: كذا في رواية حميد.

وفي رواية ثابت عند "مسلم": أن نفرًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا منافاة بينهما، فالرهط من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد له من لفظه.

ووقع في مرسل سعيد بن المسيب، عند "عبد الرزاق": أن الثلاثة المذكورين: هم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وعند ابن مردويه من طريق الحسن العدني: كان علي في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات، فنزلت الآية في المائدة.

(١) أي: وفي الباب، والحديث في "البخاري" برقم (٥٠٦٣)، ومسلم (٣٤٠٣)، وهذا لفظه؛ لأن لفظه: (ولا أكل اللحم)؛ انفرد بها مسلم عن البخاري رَحِمَهُمَا اللَّهُ، والله أعلم.

ووقع في "أسباب الواحدى" بغير إسناد: أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم، فاجتمع عشرة من الصحابة، وهم أبو بكر، وعمر وعلي، وابن مسعود، وأبو ذر وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد وسلمان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعقل بن مقرن في بيت عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاتفقوا: على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء، ويجبوا مذاكيرهم.

فإن كان هذا محفوظاً احتمل أن يكون الرهط الثلاثة هم الذين باشروا السؤال، فنسب ذلك إليهم بخصوصهم تارة، ونسب تارة للجميع؛ لاشتراكهم في طلبه. ويؤيد إنهم كانوا أكثر من ثلاثة في الجملة: ما روى مسلم من طريق سعيد بن هشام، أنه قدم المدينة فأراد أن يبيع عقاره، فيجعله في سبيل الله، ويجاهد الروم حتى يموت، فلقي ناساً بالمدينة، فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة رسول الله ﷺ، فنهاهم، فلما حدثوه ذلك راجع امرأته، وكان قد طلقها - يعني بسبب ذلك -.

لكن في عدّ عبد الله بن عمرو معهم نظر؛ لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب. اهـ

✽ معنى قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **بِقَالَ أَحَدُهُمْ: لَمَّا أَكَلْنَا فَلَا أَكَلُ لَحْمٍ...، ومعرفة ما الذي**

ينبغي على المسلم فعله في مثل هذه المباحات:

قال صاحب "المفهم" (١٢/ ١٢١): هؤلاء القوم حَصَلَ عندهم: أن الانقطاع عن ملاذِّ الدُّنْيَا من النساء والطَّيِّب من الطَّعام والنوم، والتَّفرُّغ لاستغراق الأزمان بالعبادات



أولى، فلما سألوا عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته، ولم يدركوا من عبادته ما وقع لهم: أَبَدُوا فارقاً بينهم وبين النبي ﷺ: بأنه مغفورٌ له. ثم أخبر كل واحد منهم بما عَزَمَ على فعله، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ أجابهم ببيان المعنى الفارق بقوله: «إني أخشاكم لله».

وتَقَرَّرُ ذلك: إني وإن كنت مغفوراً لي فخشية الله وخوفه يحملني على الاجتهاد وملازمة العبادة، ولكن طريق العبادة ما أنا عليه، فمن رغب عنه وتركه؛ فليس على طريقي في العبادة.

قلت: ويوضح هذا المعنى ويُبَيِّنُه: أَنَّ عبادة الله إنما هي امتثالُ أوامره الواجبة والمندوبة، واجتناب نواهيه المحظورة والمكروهة، وما من زمان من الأزمان إلا وتتوجَّه على المكلف فيه أوامر أو نواهٍ، فمن قام بوظيفة كل وقت فقد أدَّى العبادة، وقام بها. فإذا قام بالليل مصلِّياً: فقد قام بوظيفة ذلك والوقت.

فإذا احتاج إلى النوم لدفع ألم السَّهر، ولتقوية النفس على العبادة، ولإزالة تشويش مدافعة النوم المشوِّش للقراءة، أو لإعطاء الزوجة حقَّها من المضاجعة: كان نومه ذلك عبادةً كصلاته.

وقد بيَّن هذا المعنى سلمان الفارسي لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما بقوله: لكنِّي أقوم وأنام، وأحتسب في نومتي ما أحتسبه في قَومتي، وكذلك القول في الصيام.

وأما التزويج: فيجري فيه مثل ذلك وزيادة نية تحصين الفرج، والعين، وسلامة الدين، وتكثير نسل المسلمين، وبهذه القصود الصحيحة تتحقق فيه العبادات العظيمة. اهـ

✽ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»:

قال في "المنهاج" (٨/٩): معناه من رغب عنها إعراضاً عنها غير معتقد على ما هي، والله أعلم. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١٠٥/٩): قوله: «فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني»: المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره.

والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري؛ فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وقوله: «فليس مني»: إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى «فليس مني» أي: على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى «فليس مني»: ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر. اهـ

✽ تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأقوم وأنام وأصوم

وأفطر... الحديث»:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا فيه التحذير من التكلف والتنطع، وأن الواجب على المؤمن أن يحذر ذلك فيصوم ويصلي ويقوم وينام ويفطر، ويأكل اللحم، ينام



على فراش ولا يتكلف، ولهذا قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أما أنا أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني».

فالله شرع لعباده ما لا يشق عليهم وما لا يعتتهم، فلا يجوز التنطع والتكلف، وفي سنة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كفاية، فهو أفضل الناس وخير الناس **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

اهـ



قَالَ الصَّغَفَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فتأمل! إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ، وسمي فعله رغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟.

✧ قوله: (أراد التبتل):

✧ **تعريف التبتل:**

قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «النهاية» (١/ ٢٢٨) التَّبَتُّلُ: الانقطاع عن النساء وترك النكاح وامرأة بَتُولٌ مُنْقَطِعَةٌ عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سُمِّيت مريم أم المسيح **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**.

وسميت فاطمة البتول؛ لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى، ومنه حديث سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** التَّبَتُّلَ عَلَى عِثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ أَرَادَ تَرْكَ النِّكَاحِ. اهـ



باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾

قَالَ الرَّصَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

❖ معنى قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٣١٣/٦): فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملمها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

وفي الحديث: «إني خلقت عبادي حُنَفَاءَ، فاجتالهم الشياطين عن دينهم»، وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة، كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية.

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبل المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبّير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: لدين الله.

وقال البخاري - (٤٧٧٥) -: قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدين الله، خلُق الأولين: دين الأولين والدين والفطرة: الإسلام - ثم ساق بسنده -: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»، ثم يقول: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، ورواه مسلم - (٢٦٥٨) -.

وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة:

فمنهم: الأسود بن سَرِيع: قال الإمام أحمد - (٤٣٥/٣) وساق بسنده -: عن الأسود بن سَرِيع قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزوت معه، فأصبت ظهراً، فقتل الناس يومئذ، حتى قتلوا الولدان، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟». فقال رجل: يا رسول الله، أما هم أبناء المشركين؟، فقال: «ألا إنما خياركم أبناء المشركين»، ثم قال: «لا تقتلوا ذرية، لا تقتلوا ذرية».

وقال: «كل نسمة تولد على الفطرة، حتى يُعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو ينصرانها».



ومنهم جابر بن عبد الله: قال الإمام أحمد - في "المسند" (٣٥٣ / ٣) وساق بسنده - عن جابر مرفوعاً: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً»^(١).

ومنهم ابن عباس: قال الإمام أحمد - في "المسند" (٣٢٨ / ١) وساق بسنده -: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن أولاد المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»، أخرجه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ - أيضاً - في "المسند" (٧٣ / ٥) وساق بسنده -: عن ابن عباس قال: أتى عليّ زمان وأنا أقول: أولاد المسلمين مع أولاد المسلمين، وأولاد المشركين مع المشركين، حتى حدثني فلان عن فلان: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عنهم، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قال: فلقيت الرجل فأخبرني، فأمسكت عن قولي^(٢).

ومنهم عياض بن حمار المجاشعي: قال الإمام أحمد - (١٦٢ / ٤) وساق بسنده -: عن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته: «إن ربي عز وجل قال: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...»، أخرجه مسلم (٢٨٦٥).



(١) صحيح: قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجمع الزوائد" (٢١٨ / ٧): فيه أبو جعفر الرازي، وهو ثقة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات. اهـ

(٢) صحيح: قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجمع الزوائد" (٢١٨ / ٧): رجاله رجال الصحيح. اهـ

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: التمسك بالشرعية والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا لا يعرفه أكثر الناس، فهم عنه ناكبون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [سورة الأنعام: ١١٦]. أهـ

❁ **بعض ما في قوله تعالى: ﴿فَاقِرٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ... الآية﴾ من الفوائد:**

الأولى: تعريف الفطرة وقد ساق ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أسطر بعضاً منه، وله تتممة موسعة تأتي بإذن الله في شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل مولود يولد على الفطرة»، قبل آخر هذا الباب بحدثين.

الثانية: عدم التأثير بالكثرة في سلوك طرق الغي والظلال.

الثالثة: حرمة التبديل في دين الله، وفي مخلوقات الله، وقد فصلت ذلك بما فيه الكفاية - إن شاء الله - في كتابي (الشامل في العقيدة والتوحيد)، نفع الله به الإسلام والمسلمين، وجعله خالصاً لوجهه الكريم.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٢].

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١/ ٤٤٦):

أي: وصى بهذه الملة، وهي الإسلام لله - أو يعود الضمير على الكلمة -، وهي قوله: ﴿أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [سورة الزخرف: ٢٨].

وقد قرأ بعض السلف ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ - بالنصب - عطفاً على بنيه، كأن إبراهيم وصى بنيه، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، وكان حاضراً ذلك.

❖ **هل ولد نبي الله يعقوب في زمن الخليل إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم بعد موته؟**

قال ابن كثير - عقب كلامه السابق -: قد ادعى القشيري، فيما حكاه القرطبي عنه: أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح. والظاهر والله أعلم: أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [سورة هود: ٧١]، وقد قرئ بنصب ﴿يَعْقُوبَ﴾ هاهنا على نزع الخافض، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة.

و- أيضًا :- فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: ٢٧].

وقال في الآية الأخرى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [سورة الأنبياء: ٧٢]، وهذا يقتضي أنه وجد في حياته.

و- أيضًا :- فإنه باني بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة.
وفي - البخاري (٣٣٦٦)، مسلم (٥٢٠) - من حديث أبي ذر قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة... الحديث».

فرغم ابن حبان أن بين سليمان الذي اعتقد أنه باني بيت المقدس، وإنما كان جدّه بعد خرابه وزخرفه، وبين إبراهيم أربعين سنة، وهذا مما أنكر على ابن حبان، فإن المدة بينهما تزيد على ألف سنين، والله أعلم.

و- أيضًا :- فإن ذكر وصية يعقوب لبنيه سيأتي ذكرها قريباً، وهذا يدل على أنه هاهنا من جملة الموصين.

وقوله: ﴿يَبْنِيْ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ﴾ [١٣٢] أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه.

وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وُفِّقَ له ويسر عليه، ومن نوى صالحاً ثبت عليه.



وهذا لا يعارض ما جاء، في الحديث الصحيح: «إن الرجل لعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باعٌ أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل لعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باعٌ أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»؛ لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس».

وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ۝٦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ ۝٧﴾ [سورة الليل: ٥-١٠]. اهـ.

❁ **بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ...﴾ من الفوائد:**

الأولى: أهمية تعليم الأولاد توحيد الله تعالى، وعلى هذا سار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وأتباعه.

الثانية: شرعية الوصية بهذا الأمر، وأهمية ذلك، ويوضح ذلك:

الثالثة: وهي فضيلة هذا الدين وتوارثه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [سورة الزخرف: ٢٨].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (ص ٧٦٤): ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبرّي من عبادة ما سواه.

﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: ذريته؛ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إليها ﴿يَرْجِعُونَ﴾؛ لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه، كإسحاق ويعقوب لبعض، كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ إلى آخر الآيات

[سورة البقرة: ١٣٠-١٣٣].

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته ؛ حتى دخلهم الترف والطغيان. اهـ



قَالَ الصَّغْفَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣].

❁ **معنى قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٤/ ٦١٢): أي: ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، كما قال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ...﴾ [سورة الأنعام: ١٦١]. اهـ

❁ **بعض ما في قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ... الآية﴾ من الفوائد:

الأولى: فضيلة أئينا إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفضيلة من اتبعه من ذريته، وغيرهم، والله أعلم.

الثانية: أمر الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، باتباع ملة أئينا إبراهيم.

الثالثة: براءة نبينا محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - من الشرك وأسبابه ومظاهره، والله أعلم.



قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلاَةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيَّيَ مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَخَلِيلُ رَبِّي**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة آل عمران: ٦٨]، رواه الترمذي (١).

❁ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل نبي ولاة... الحديث»:**

❖ قوله: ((إن لكل نبي ولاة)): قال المبارك فوري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تحفة الأحوزي"

(١) فيه كلامٌ: رواه الترمذي (٢٩٩٥) من طريق أبي الضحى، عن مسروق، ثم رواه: من طريق أبي الضحى، عن عبد الله، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مثله، ولم يقل فيه عن مسروق. قال أبو عيسى: هذا أصح من حديث أبي الضحى عن مسروق، ثم قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، وليس فيه عن مسروق. اهـ مختصراً وقال محقق "تفسير ابن كثير" (٢/ ٥٨) (ط - طيبة): رواه سعيد بن منصور، في "السنن" (٥١) والترمذي برقم (٢٩٩٥)، وقد خولف أبو أحمد الزبيري، وأبو الأحوص في رواية هذا الحديث: فرواه ابن مهدي ويحيى القطان وأبو نعيم، فلم يذكروا فيه مسروق. قال ابن أبي حاتم في "العلل" (٢/ ٦٣): سألت أبي وأبا زرعة، عن حديث، رواه أبو أحمد الزبيري وروح بن عباد، فذكره، فقالا جميعاً: هذا خطأ رواه المتقنون من أصحاب الثوري، عن الثوري عن أبيه، عن أبي الضحى، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بلا مسروق. اهـ وقد رجح الإمام الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه منقطع. وقد أعله شيخنا الوداعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تعليقه على تفسير ابن كثير" عند الآية السابقة، والله أعلم.



(٢٧٤ / ٨): قوله: «إن لكل نبي ولاية» - بضم الواو - جمع ولي. قال التوربشتي: أي: أحباء وقرناء، هم أولى به من غيرهم.

قوله: «من النبيين»: حال من الولاية أي: كائنين من النبيين.

قوله: «وإن وليي أبي»: يعني إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بينه بقوله: «وخليل ربي» خبر بعد خبر لأن، ثم قرأ استشهاداً: **﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾** أي: أحقهم به للذين اتبعوه أي: في زمانه.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: من أمته، فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨) أي: ناصرهم وحافظهم.

فإن قلت لزم من قوله: «لكل نبي ولاية» أن يكون لكل واحد منهم أولياء متعددة؟ قلت: لا؛ لأن النكرة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق أي: أن لكل نبي واحد واحد، واحداً واحداً. اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٢/٥١٧): قال التوربشتي: وفي «المصابيح»: «وإن وليي ربي»، وهو غلط، ولعل من حرفه دخل عليه الدخيل من قوله تعالى: **﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ﴾** [سورة الأعراف: ١٩٦].

والصواب: ما ذكرنا، واعترضه المظهر، بأنه لو كان كذا كان قياس التركيب أن يكون وليي أبي خليلي ربي - بغير (واو) العطف الموجبة للتغاير -، وبإضافة الخليل إلى ربي؛ ليكون عطف بيان لأبي.

قال الطيبي: والرواية المعتبرة ما في «الترمذي» وغيره، ولو ذهب إلى أن خليلي

ربي عطف بيان بلا (واو) لزم حصول كون إبراهيم أبا النبي ووليه، فأتى به بيانا، وإذا جعل معطوفاً عليه يلزم شهرته به، والعطف يكون لإثبات وصف آخر له على سبيل المدح. اهـ

تنبيه: تقدم تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما في شرح حديث: «بني الإسلام على خمس».

✧ قوله: «وخليل ربي»:

✧ تعريف الخلّة:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (٣/ ٢٧٤): والخلّة: هي المحبة المبالغة المخللة لمسالك الروح من القلب والجسد، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني وبهذا سمي الخليل خليلا

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (٣/ ٥٧): قوله: أوصاني خليلي: الخليل: الصديق الخالص الذي تخللت محبته القلب، فصارت في خلاله أي: في باطنه، واختلف هل الخلّة أرفع من المحبة أو بالعكس. اهـ

✧ أقسام المحبة:

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح الطحاوية» (ص ١٦٥): والمحبة مراتب:

أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحجوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبة وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.



الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم، لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٥].

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قَالَ تَعَالَى:

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦].

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا

يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم.

واختلف في سبب المنع، فقليل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع

إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة: التيم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلّة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، لا يعرف حسنه إلا

بالتأمل في معانيه. اهـ

❁ أدلة إثبات خلّتي نبيا الله محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة

النساء: ١٢٥].

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في الشفاعة -: «ويقول - يعني نوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

ائتوا إبراهيم، الذي اتخذه الله خليلاً»، رواه البخاري برقم (٧١٩٧)، ومسلم (٤٩٥).

وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»، رواه مسلم برقم (١٢١٦).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس، وقال: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي؛ لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته»، رواه البخاري برقم (٣٤٥٤)، ومسلم (٦٣٢٠).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»، رواه البخاري برقم (٣٤٥٦).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كنت متخذاً خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عَزَّ وَجَلَّ صاحبكم خليلاً»، رواه مسلم (٦٣٢٢).

✽ طريقة السلف في وصف الله بالمحبة والخلة:

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (ص ١٦٥) - في تمة كلامه السابق :- واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة، حسبما ورد النص. اهـ

✽ الحكمة من أمر الله لخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام بذبح ولده إسماعيل:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَبَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا



أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَكْبِرْهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ [سورة

الصفات: ١٠٢-١٠٧].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٣/ ٢٧٤) - بعد كلامه السابق -: ومن هنا قيل: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما أمر بذبح ولده إسماعيل لتفريغ قلبه من محبته وشدة تعلقه به، حيث وهب له على الكبر، فلما بادر إلى اضطجاعه وإخراجه من قلبه امتثالاً لأمر الله وطاعته أسقط عنه ذبحه بعد ذلك؛ لأنه لم يكن المقصود إراقة دمه، بل تفريغ محل الخلّة منه، حتى لا تزاحم خلّة الواحد الآخر محبة الولد. اهـ

❁ **الحكمة في براءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتخذه خليلاً غير الله تعالى:**

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٣/ ٢٧٤): وقد أشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سبب براءته من خلّة المخلوقين، وهو أن الله اتخذه خليلاً لنفسه، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ومن كان خليلاً لله، فلا يصلح له أن يخالل بشراً. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٧٣]. اهـ

❁ **على ما ذا يحمل قول أبي هريرة وأبي ذر وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في رسول**

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال خليلي وصدق خليلي ونحوها وهل يعتبر ذلك من اتخاذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلاً:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على الوتر، رواه البخاري برقم

(١١٢٤)، ومسلم (١٦٠٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله؟». قال: فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا يا أبا هريرة: هذا الله فمن خلق الله؟. قال: فأخذ حصي بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا صدق خليلي، رواه مسلم برقم (٣٦٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»، رواه مسلم برقم (٦٠٩).

وعن أبي رافع قال: رأيت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝﴾ [سورة الانشقاق: ١]، فقلت: تسجد فيها، فقال: نعم رأيت خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسجد فيها، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه، رواه مسلم برقم (١٣٣٤).

عن الأحنف بن قيس قال: قال أبو ذر: قال لي الخليلي، قلت: من خليلك؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا ذر أتبصر أحدا؟» قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسلني في حاجة له. قلت: نعم، قال: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا، أنفقه كله، إلا ثلاثة دنانير»، رواه البخاري برقم (١٣٤٢)، ومسلم (٩٩٢).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف، رواه مسلم برقم (١٤٩٩).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٢٣٤/٥): قوله: أوصاني خليلي: لا يخالف قوله: «لو كنت متخذنا من أمتي خليلا»؛ لأن الممتنع أن يتخذ النبي



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيره خليلاً، ولا يمتنع اتخاذ الصحابي وغيره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلاً. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في (١٥/ ١٥١): وأما قول أبي هريرة وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: سمعت خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يخالف هذا؛ لأن الصحابي يحسن في حقه الانقطاع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٣/ ٥٧): قول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كنت متخذاً خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر»؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال أن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين؛ لأننا نقول إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين، فأطلق ذلك، أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبة. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في (٧/ ١٣): قوله: «لو كنت متخذاً خليلاً»: قال الداودي: لا ينافي هذا قول أبي هريرة وأبي ذر وغيرهما: أخبرني خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن ذلك جائز لهم، ولا يجوز للواحد منهم أن يقول أنا خليل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا يقال إبراهيم خليل الله، ولا يقال الله خليل إبراهيم. اهـ

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الديباج" (٢/ ٣٤٤): قوله: أوصاني خليلي: لا يخالف حديث: «لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي»؛ لأن الممتنع أن يتخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير ربه خليلاً، ولا يمتنع اتخاذ الصحابي وغيره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلاً. اهـ

❁ أيهما أفضل الخلّة أم أخوة الإسلام؟

قال في "الفتح" (١٣/٧) قلت: لا يخفى ما فيه قوله: «ولكن أخوة الإسلام ومودته» أي: حاصلة.

ووقع في حديث ابن عباس الآتي بعد باب: «أفضل»، وكذا أخرجه الطبراني من طريق عبيد الله بن تمام عن خالد الحذاء بلفظ: «ولكن أخوة الإيمان والإسلام أفضل».

وأخرجه أبو يعلى من طريق يعلى بن حكيم عن عكرمة بلفظ: «ولكن خلة الإسلام أفضل»، وفيه إشكال، فإن الخلة أفضل من أخوة الإسلام؛ لأنها تستلزم ذلك وزيادة، فقليل المراد أن مودة الإسلام مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أفضل من مودته مع غيره.

وقيل: أفضل بمعنى: فاضل، ولا يعكر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة؛ لأن رجحان أبي بكر عرف من غير ذلك، وأخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق، وتحصيل كثرة الثواب، ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره، والله اعلم.

ووقع في بعض الروايات: «ولكن خوة الإسلام» - بغير ألف -، فقال ابن بطال: لا اعرف معنى هذه الكلمة، ولم أجد خوة بمعنى خلة في كلام العرب، وقد وجدت في بعض الروايات: «ولكن خلة الإسلام» وهو الصواب.

وقال ابن التين: لعل الألف سقطت من الرواية، فإنها ثابتة في سائر الروايات، ووجهه ابن مالك بأنه نقلت حركة الهمزة إلى النون، فحذف الألف وجوز مع



حذفها ضم نون لكن وسكونها. قال: ولا يجوز مع إثبات الهمزة إلا سكون النون فقط. اهـ.

❖ ما صحة ما ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ اتَّخَذَ خَلِيلًا مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الفتح" (٢٣/٧): وقد تواردت هذه الأحاديث على نفي الخلّة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد من الناس، وأما ما روي عن أبي بن كعب قال: إن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس دخلت عليه، وهو يقول: «إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً، وإن خليلي أبو بكر، ألا وإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»، أخرجه أبو الحسن الحربي في "فوائده".

وهذا يعارضه ما في رواية جندب عند "مسلم"، كما قدمته أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول قبل أن يموت بخمس: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»، فإن ثبت حديث أبي أمكن أن يجمع بينهما، بأنه لما برئ من ذلك تواضعا لربه وإعظاما له، أذن الله تعالى له فيه من ذلك اليوم؛ لما رأى من تشوفه إليه وإكراما لأبي بكر بذلك، فلا يتنافى الخبران، أشار إلى ذلك المحب الطبري.

وقد روي من حديث أبي أمامة نحو حديث أبي بن كعب، دون التقييد بالخمس، أخرجه الواحدي في "تفسيره"، والخبران واهيان، والله أعلم. اهـ.

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "التيسير" (٥٨٠/٢)، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

عند ابن عساكر، ولفظه: «لكل نبي خليل في أمته، وإن خليلي عثمان»، وفي إسناده إسحاق بن نجيح كذاب. اهـ بتصرف.

❖ هل للإنسان أن يتخذ أحداً خليلاً أم أنها خاصة بالله ومن خص من رسله؟

أما رسول الله محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام؛ فقد ورد المنع في حقهم لشرفهم.

وأما غيرهما؛ فيقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ﴾ (٢٧) ﴿يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۖ﴾ (٢٨) [سورة الفرقان: ٢٧-٢٨].
قد جاء فيها سبب نزول ضعيف، ذكره الواحدي والسيوطي رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى في أسباب نزولهما.

ومقصودي من إيرادها: هو عموم قوله تعالى: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۖ﴾ (٢٨) أي: ليتني لم أتخذ صديق سوء، لا أنه يحرم اتخاذ الخليل الصالح.
وقد ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد برقم (٤٨٣٥)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

وقال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث حسن. اهـ

وقال النووي في «الرياض» تحت رقم (٣٧١): سنده صحيح. اهـ

قلت: وهو في «الصحيحة» برقم (٩٢٧)، و«الصحيح المسند» (١٢٧٢).

❖ قوله: ﴿وَهَذَا أَلْتَنِي﴾: قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح القدير»

(٣٤٩/١): قوله تعالى: ﴿وَهَذَا أَلْتَنِي﴾ يعني محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفردته بالذكر تعظيماً له وتشريفاً، وأولويته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبراهيم من جهة كونه من ذريته، ومن جهة موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ



قَالَ الصَّغَفَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ... الحديث»:**

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: - في تعليقه على هذا الحديث أثناء الشرح -: القلوب هي محل النظر والعمل، وأما الصور والأموال فلا قيمة لها إن لم يستعن بها على طاعة الله، ولكن محل النظر القلوب إذا استقامت على محبة الله والإخلاص له وخوفه ورجاءه، وصلحت الأعمال وصارت خالصة لله موافقة للسنة، هذا هو الذي ينفع صاحبه، صلاح القلب وصلاح الأعمال. اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح رياض الصالحين" شرح حديث رقم (٧): قوله: «ولكن ينظر إلى قلوبكم»، وفي لفظ: «قلوبكم وأعمالكم»: هذا الحديث يدل على ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الْعِبَادِ إِلَى أَجْسَامِهِمْ هَلْ هِيَ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ، أَوْ صَحِيحَةٌ أَوْ سَقِيمَةٌ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ هَلْ هِيَ جَمِيلَةٌ أَوْ ذَمِيمَةٌ، كُلُّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ.

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٥٤٢)، ورواه - أيضًا - برقم (٦٥٤٣) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ...».

وكذلك لا ينظر إلى الأنساب هل هي رفيعة أو ذنيئة، ولا ينظر إلى الأموال ولا ينظر إلى شيء من هذا أبداً. ليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوى، فمن كان لله أتقى كان من الله أقرب، وكان عند الله أكرم.

إذاً لا تفخر بمالك ولا بجمالك ولا ببدنك، ولا بأولادك ولا بقصورك، ولا بسيارتك ولا بشيء من هذه الدنيا أبداً، إنما إذا وفقك الله للتقوى؛ فهذا من فضل الله عليك فاحمد الله عليه.

واعلم أن الأعمال بالنيات، والقلوب هي التي عليها المدار، كم من إنسان ظاهر عمله أنه صحيح وجيد وصالح لكن لما بني على خراب صار خراباً.

النية هي الأصل، تجد رجلين يصليان في صف واحد مقتدين بإمام واحد، يكون بين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب؛ لأن القلب مختلف أحدهما قلبه غافل بل، وربما يكون مرئياً في صلاته والعياذ بالله يريد بها الدنيا، والآخر قلبه يريد بصلاته وجه الله واتباع سنة رسول الله ﷺ، فبينهما فرق عظيم.

فالعلم على ما في القلب، وعلى ما في القلب يكون الجزاء يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الطارق: ٨-٩] أي: تختبر السرائر لا الظواهر.

في الدنيا الحكم بين الناس على الظاهر؛ لقول النبي ﷺ: «إنما أقضي بنحو ما أسمع»، لكن في الآخرة العلم على ما في السرائر، نسأل الله أن يطهر سرائرنا وإياكم.



فإذا كانت السريرة جيدة صحيحة فأبشر بالخير، وإن كانت الأخرى فقدت الخير كله، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافٍ فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ﴾ [سورة العاديات: ٩-١٠]، فالعلم على ما في القلب.

وإذا كان الله في كتابه، وكان رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سنته يؤكدان على إصلاح النية، فالواجب على الإنسان أن يصلح نيته، يصلح قلبه، ينظر ما في قلبه من الشك فيزيله إلى اليقين كيف ذلك؟ يكون ذلك نظره إلى الآيات، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [سورة الجاثية: ٢-٤].

فأنت انظر لآيات الله، إذا ألقى الشيطان في قلبك الشك؛ فانظر في آيات الله، انظر إلى هذا الكون من يدبره، انظر كيف تتغير الأحوال كيف يداول الله الأيام بين الناس حتى تعلم أن لهذا الكون مدبراً حكيماً وهو الله **عَزَّوَجَلَّ**.
الشرك طهر قلبك منه، كيف أظهر نفسي منه؟ أظهر قلبي بأن أقول لنفسي إن الناس لا ينفعوني إن عصيت الله ولا ينقذوني من العقاب، وإن أطيعت الله لم يجلبوا إليَّ الثواب، فالذي يجلب الثواب ويدفع العقاب هو الله.

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تشرك بالله **عَزَّوَجَلَّ**؟ لماذا تنوي بعبادتك أن تتقرب إلى الخلق، ولهذا من تقرب إلى الخلق بما يتقرب به إلى الله ابتعد الله عنه، وابتعد عنه الخلق يعنى: لا يزيده تقربه إلى الخلق بما يقربه إلى الله إلا بعداً من الله ومن

الخلق، لأن الله إذا رضي عنك أَرْضَى الناس عنك، وإذا سخط عليك أسخط عليك الناس، نعوذ بالله من سخطه ومن عقابه.

المهم يا أخي عالِج القلب دائماً، كن دائماً في غسيل للقلب حتى يطهر، كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، فتطهير القلب أمر مهم جداً، أسأل الله أن يطهر قلبي وقلوبكم، وأن يجعلنا له مخلصين ورسوله متبعين. اهـ

❁ هل يلزم من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ» عدم النظر إلى

الظاهر؟

سئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ...» الحديث؟

فأجاب بقوله: يعني: لا قيمة لها، المقصود بنفي النظر لها لا أنها ليس لها قيمة، مثل قوله: «لا ينظر إليهم ولا يزكيهم» لغضبه عليهم، وهو سبحانه لا يخفى عليه خافية، يرى كل شيء جَلَّ وَعَلَا، لكن المقصود نظر الرضى، ونظر المحبة. اهـ

قلت: والاهتمام بالظاهر أمر مطلوب؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَابَكَ فُطْهَرٌ﴾

[سورة المدثر: ٤].

وقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مِجْبُ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، عن ابن مسعود، رواه مسلم

(١٤٧).



وعن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إن الله يحب إذا أنعم على عبد أن يرى أثر نعمته عليه»، رواه البيهقي (٣/ ٢٧١)، وهو حديث يحتج به.

بل إن الظاهر عنوان الباطن؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: ولهما (١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأَنَاوِلَهُمْ؛ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ (٢) أَصْحَابِي!، فيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ».

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ... الحديث»:**

❖ **تعريف الفرط:**

قال العيني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «عمدة القاري» (١٧٦/٢٤): الفرط - بفتح الفاء والراء وبالطاء المهملة - «أنا فرطكم» أي: أنا أتقدمكم.

والفرط: من يتقدم الواردين، فيهيئ لهم الإرشاء والدلاء، وعدد الحياض ويسقي لهم، وهو على وزن فعل بمعنى فاعل، كبيع بمعنى بائع. اهـ.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ فِي (١٣٧/٢٣): الفرط الذي يتقدم الواردين؛ ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها، يقال: فرطت القوم إذا تقدمتهم؛ لترداد لهم الماء وتهيئ لهم. وفيه: بشارة لهذه الأمة، فهنيئاً لمن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرطه.

❖ **بعض ما يتعلق بالحوض:**

قد سبق بعض الكلام في المطلب الرابع من (باب الكلام على البعث)، وقال العيني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «عمدة القاري» (١٣٧/٢٣): الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا

(١) أي: وللبخاري برقم (٦٥٧٦)، ومسلم (٥٩٧٨).

(٢) فِي «الصحيحين» بلفظ: «يا رب»، ولعل المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ: ساق من حفظه، والله أعلم.



محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في المحشر يردده هو وأمته، جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض، وأنه حق: كثير من الأحاديث الصحيحة، ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر، ورواها عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بضعة وثلاثون صحابياً.

منها حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن قدر حوضي، كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»، رواه البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منها فلا يظمأ أبداً»، رواه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

والحوض يكون في أرض المحشر، ويمد ماؤه من الكوثر، وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الجنة **قَالَ نَبِيُّنَا**: **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾** [سورة الكوثر: ١].

وأيهما قبل الميزان أم الحوض قيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح: أن الحوض قبل. اهـ.

✧ قوله: «(وليرفعن إلي رجال من أمتي)»: قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (١١/٤٦٩): قوله: «وليرفعن» - بضم أوله وفتح الفاء والعين - أي: يظهرهم الله لي حتى أراهم.

وروى أحمد (١١٣٤٥)، عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «يزعمون أن قرابتي ورحمي لا تنفع، والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة - ثم قال -: أيها الناس أنا فرطكم على الحوض يوم القيامة، وليرفعن لي قوم ممن صحبني، وليمرن بهم ذات اليسار، فينادي الرجل يا محمد: أنا فلان بن فلان، ويقول آخر: يا محمد: أنا فلان ابن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم على أعقابكم القهقري». قيل لشريك: يا أبا عبد الله علام حملتم هذا الحديث؟ قال: على أهل الردة. اهـ

✧ قوله: «(أهويت لأناولهم)»: قال العيني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عمدة القاري» (٢٤/١٧٦) أي: ملئت وامتددت. اهـ

✧ قوله: «(اخرجوا دوني)»: قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (١١/٤٦٩): قوله: «ثم ليُخْتَلَجْ» - بفتح اللام وضم التحتانية، وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة واللام وضم الجيم بعدها نون ثقيلة - أي: ينزعون أو يجذبون مني يقال: اختلج منه إذا نزع منه أو جذبه بغير إرادته. اهـ

✧ قوله: «(أصحابي)»: قال العلامة عبد الكريم الخضير - وفقه الله في شرحه لهذا الحديث من البخاري -: لأنه يعرفهم إما بأعيانهم أو بأوصافهم. ولا يمنع أن يكون من هؤلاء من هو مسلم يختلج ويقتطع؛ لما أحدث في الدين،



وَيَدْخُلُ النَّارَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا هُذِبَ وَنُقِيَ بِقَدْرِ مَا اقْتَرَفَهُ مِنْ جَرَائِمٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.
اهـ

✧ قوله: «(ما أحدثوا بعدك)»: قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٧٦/٢٤)
قوله: «ما أحدثوا» أي: من الأمور التي لا يرضى الله بها وجميع أهل البدع والظلم
والجور داخلون في معنى هذا الحديث. اهـ

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - في تعليقاته -: وفي اللفظ الآخر: «إنهم لم يزالوا
مرتدين على أدبارهم منذ فارقتهم»، ولهذا يُمنعون من الحوض؛ لأنهم ارتدوا
والذين ارتدوا في عهد أبي بكر هؤلاء يمنعون من الحوض، أما من مات على إيمانه،
فإنه يرد على الحوض. اهـ

✧ سئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «أي رب
أصحابي»؟.

فأجاب بقوله: أصحابه الذين معه، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ارتد ناسٌ بعدما دخلوا في
الإسلام، في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارتد ناس في عهد الصديق وقاتلهم الصديق
والصحابه. اهـ بتصرف يسير.

✧ وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ: عن الفاسق هل يرد على الحوض؟

فأجاب قائلاً: ظاهر الحديث يعمه؛ لأنه ليس بمرتد، لكن عليه خطر، جاء في
بعض الروايات بالوعيد، فينبغي الحذر.

الوعيد إنما هو في المرتدين أنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، أما
العاصي فليس بمرتد، هو ناقص الإيمان ضعيف الإيمان فيخشى عليه فينبغي له
الحذر. اهـ

❁ **وسئل رَحْمَةُ اللَّهِ: عن أهل البدع هل هم ممن يُذَادُونَ عن الحوض؟**

فأجاب قائلاً: أهل البدع فيهم تفصيل، فيهم كافر وفيهم مسلم، أما المبتدع الكافر لا يَرِدُ - الحوض -، نسأل الله العافية. اهـ

❁ **وسئل رَحْمَةُ اللَّهِ: عن الرافضة هل هم من الاثنين والسبعين فرقة؟**

فأجاب قائلاً: هم داخلون فيهم، لكن فيهم الكافر وفيهم المسلم، فالرافضة عُبَاد غير الله كَفَرَة، والرافضة الذين يفضلون علياً على عثمان أو على الصديق؛ فهؤلاء ليسوا بكفار لكنهم مبتدعون، أما من دعا علياً أو أهل البيت وغلا فيهم، فإنه يكون كافراً، أو قال: إن النبوة لعلي لكن خاں جبرائيل؛ هذا كافر مرتد نسأل الله العافية. والثنتان والسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي، وفيهم المبتدع الضال والمبتدع الذي ليس بكافر، لكنهم كلهم يجتمعون في إجابة النبي ﷺ فهم من أمة الإجابة.

أما أمة الدعوة كثيرون اليهود والنصارى من أمة الدعوة لا قيمة لهم، فهم من أهل النار، لكن هذه الثلاث والسبعون الذين استجابوا الذين زعموا أنهم من أتباع النبي ﷺ زعموا أنهم أجابوا دعوته.

الناحي منهم السالم: الفرقة الناجية الذين تابعوا النبي ﷺ وساروا على نهجه، وأما الثنتان والسبعون ففيهم الضال وفيهم الكافر وفيهم العاصي، وفيهم المبتدع الضال، على درجات متوعدون بالنار كلهم نسأل الله العافية. اهـ

❁ **وسئل رَحْمَةُ اللَّهِ: هل يفرق بين العالم والجاهل؟**

فأجاب بقوله: تختلف الأمور، بعض الأمور يعذر فيها الجاهل وبعض الأمور لا يعذر فيها الجاهل. اهـ



❁ وسئل رَحْمَةُ اللَّهِ عن الرفضة في العذر بالجهل؟

فأجاب: من دعا غير الله واستغاث بغير الله كافر مطلقاً؛ لأنهم بين المسلمين وقد بلغهم القرآن وبلغتهم السنة، الله جعل القرآن نذارة وبلاغ: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: ١٩].

فمن كفر مع وجوده بين المسلمين واستغاث بغير الله أو عبد البدوي أو غيره، سواء من الرفضة له حكم الكفر، نسأل الله العافية. اهـ

❁ وسئل رَحْمَةُ اللَّهِ: عن بعض الناس الذين يقولون: إن أتباع الإباضية وأتباع الزيدية

أفضل من كثير ممن ينتسبون للمذاهب الأربعة؟

فأجاب قائلاً: ما هو العبرة بالمذاهب الأربعة العبرة بالعقيدة، بقال الله قال رسوله، المذاهب الأربعة في أتباعها الضال وفي أتباعها المسلم، لكن المهم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والسير على منهج الصحابة وأتباع أصحاب النبي ﷺ في عبادة الله وحده والاستقامة على دينه وترك البدع، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة. اهـ



قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٍ بُوْهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».

❁ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وددت أنا قد رأينا إخواننا... الحديث»:**

❖ قوله: («وددت»): قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (ص ١٦٥):
المرتبة الخامسة من مراتب المحبة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها
ولبها؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦]. اهـ

❁ **تعريف الغرة والتحجيل:**

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٣١١/١): الغر: هو بياض في الوجه غير فاحش،
ومنه يطيل غرته.

والتحجيل: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، والمراد به النور. اهـ

❁ **تعريف الدهم والبهم:** في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «دُهُمُ بُوْهُمْ»:

(١) أخرجه مسلم مطولاً برقم (٥٨٥) والبخاري مختصراً (٦٥٨٧).



قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح مسلم" (١٣٢/٢): الدهم: جمع أدهم وهو الأسود. والبهم قيل: السواد، وقيل: هو الذي لا يخالط لونه لونا سواه، بل يكون لونه خالص سواء كان أبيض أو أسود أو أحمر. اهـ

✧ قوله: («ليزادن»): قال محمد بن أبي نصر الأزدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسير غريب ما في الصحيحين" (ص ١٥٢): «ليزادن» أي: ليطردن، زاده يذوده إذا طرده. اهـ

✧ الحكمة من ذوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشخاص عن الحوض:

قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (١١/٤٧٤): والحكمة في الذود المذكور أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضاً، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء.

ويحتمل: أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى. اهـ
✧ قوله: («كما يذاذ البعير الضال»): قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** "المفهم" (٣/١٣٣): وجه التشبيه: أن أصحاب الإبل إذا وردوا المياه بإبلهم ازدحمت الإبل عند الورود، فيكون فيها الضال والغريب، فكل أحدٍ من أصحاب الإبل يدفعه عن إبله، حتى تشرب إبله، فيكثر ضاربوه ودافعوه حتى لقد صار هذا مثلاً شائعاً. قال الحجاج لأهل العراق: لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. اهـ

✧ فائدة لغوية في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا هَلُمَّ»:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (٣/ ١٣٩): معناه: تعالوا. قال أهل اللغة: في هلم لغتان:

أفصحهما: هلمَّ للرجل والرجلين والمرأة والجماعة من الصنفين بصيغة واحدة.

وبهذه اللغة جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٠]، ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨].

واللغة الثانية: هلمَّ يا رجل وهلمَّ يا رجلاً، وهلمُّوا يا رجال، وللمرأة هلمِّي وللمرأتان هلمَّتَا، وللنسوة هلمَّن. قال ابن السكيت وغيره: الأولى أفصح كما قدمناه. اهـ

✽ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فاقول: سحقاً سحقاً» وتعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عليها:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١١/ ٣٨٥): أي: بعداً بعداً، والتأكيد للمبالغة. اهـ

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أكبر! الله أكبر! أي: بعداً بعداً لمن بدّل بعدي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه علامة أمته غراً محجلين من آثار الوضوء، أمة محمد المستجيبين له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وللبخاري^(١): «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ - فذكر مثله قال -: فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَم».

✧ قوله: («بينا أنا قائم»): قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرشاد الساري» (٣٤١/٩):
أي: على الحوضي. اهـ

✧ قوله: («إذا زمرة»): قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٤٢/٢٣): الزمرة:
الجماعة. اهـ

✧ قوله: («خرج رجل»): المراد به ملك موكل بذلك، ولم أقف على اسمه. اهـ
«الفتح» (٤٧٤/١١).

✧ قوله: («إلى النار والله»): وأكد باليمين ليدل على أن الأمر واقع لا محالة،
والله أعلم.

✧ قوله: («القهقري»): قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «هدي الساري»
(ص ١٩١): التقهقر: الرجوع إلى الخلف. اهـ

قلت: والتقهر قد يكون في الدنيا وقد يكون في الدين، وأضره على المسلم
التقهقر في الدين والعياذ بالله، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيد بالله من الحور بعد
الكور، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✧ قوله: («فذكر مثله»): أي: مثل الزمرة الأولى التي أخذت إلى النار، كما في الحديث، والله أعلم.

✧ تعريف: هَمَلُ النِّعَمِ:

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ فِي «عمدة القاري» (١٤٢/٢٣): قوله: «فلا أراه» - بضم الهمزة أي: فلا أظن أمرهم أنه يخلص منهم إلا مثل همل النعم - بفتح الهاء والميم - وهو ما يترك مهملاً لا يتعهد ولا يرعى حتى يضيع ويهلك أي: لا يخلص منهم من النار إلا قليل، وهذا يشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة.

وقال الخطابي: الهمل يطلق على الضوال، ويقال: الهمل الإبل بلا راع مثل النَّفْسِ إلا أن النفس لا يكون إلا ليلاً، والهمل يكون ليلاً ونهاراً. ويقال: إبل هاملة وهمال وهوامل، وتركها هملاً أي: سدئ، إذا أرسلتها ترعى ليلاً أو نهاراً بلا راع. وفي المثل اختلط المرعى بالهمل. اهـ



قَالَ الصَّغَفَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما^(١) في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]».

✧ قوله: («العبد الصالح»): المراد به رسول الله ونبيه عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله أعلم.

✧ **معنى قول تعالى:** ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ... الآية﴾: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (ص ٢٤٩) قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] علماً وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر. اهـ



قَالَ الصَّيْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما (١) عنه (٢) مرفوعاً: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ (٣)، كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا»، ثم قرأ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠] متفق عليه.

❖ **الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة... الحديث»:**

❖ **تعريف الفطرة:**

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الاستذكار" (٣/ ١٠١): أما اختلاف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث: فقال جماعة من أهل العلم والنظر: أريد بالفطرة المذكورة في هذا الحديث الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بهاربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك.

واحتجوا على أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر: ١] يعني خالقهن.

(١) أي: وللبخاري برقم (١٣٥٨)، ومسلم (٦٧٥٥).

(٢) إن أراد: عن ابن عباس، فهو وهم؛ لأن الحديث في "الصحيحين"، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله أعلم.

(٣) صحيح: جاء عند أحمد (٧٤٤٥)، والترمذي (٢١٣٨) زيادة: «أو يشرَّكانه».

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف الترمذي" (٢١٣٨): صحيح. اهـ



وقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [سورة يس: ٢٢] يعني: خلقتني، وما كان مثله من أي القرآن.

وأنكروا أن يكون المولود فُطر على كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار، وقالوا: إنما يولد المولود على السلامة في الأغلب خَلْقَةً وَبْنِيَّةً وطبعاً ليس معها إيمان ولا كفر، ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقدون الإيمان أو الكفر بعد إذا ميزوا.

واحتجوا بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» يعني: سالمة «هل تحسون فيها من جدعاء؟» يعني: مقطوعة الأذن، فمثل قلوب بني آدم بالبهايم؛ لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ولا آفة، ثم تقطع آذانها بعد وتشق وتثقب أنوفها، ويقال: هذه بحائر، وهذه سوائب، وكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم سالمة ليس لهم كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين، وكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم.

قالوا: ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر أو الإيمان في أولية أمرهم؛ ما انتقلوا عنه أبداً، كما لا ينتقلون عن خلقتهم، وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون، ويكفرون ثم يؤمنون. قالوا: ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفرًا أو إيمانًا؛ لأن الله **عَزَّجَلَّ** أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً.

قال أبو عمر: هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها، والله أعلم. اهـ

وقال ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (٣/ ٢٥٠): قال ابن القيم: سبب اختلاف

العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث: أن القدرية كانوا يحتاجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك؛ لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية؛ لأن قوله: «فأبواه يهودانه...» محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في آخر الحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». اهـ

✧ قوله: («فأبواه يهودانه...»): قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (٢٥٠/٣): قال الطيبي: (الفاء) في «فأبواه» إما للتعقيب أو السببية أو جزاء شرط مقدر أي: إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إياه أو بترغيبهما فيه، وكونه تبعا لهما في الدين يقتضي أن يكون حكمه حكمهما....
وقوله: «كما» حال من الضمير المنصوب في «يهودانه» أي: يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة تشبيها بالبهيمة التي جدعت بعد أن خلقت سليمة، أو هو صفة مصدر محذوف أي: يغيرانه تغييرا مثل تغييرهم البهيمة السليمة. اهـ
وتقدم من كلام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**، الذي نقله عنه الحافظ نحو هذا، فراجع، والله أعلم.

✧ **فائدة تخـ حبيب الوالدين بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فأبواه يهودانه... الحديث» مع أن**

المولود قد يكون عند غير أبائه؟

قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عقب كلامه السابق -: وخص الأبوان بالذكر للغالب فلا حجة فيه لمن حكم بإسلام الطفل الذي يموت أبواه كافرين، كما هو



قول أحمد، فقد استمر عمل الصحابة ومن بعدهم على عدم التعرض لأطفال أهل الذمة. اهـ

وقوله: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» تقدم في كلام ابن عبد البر **رَحْمَةُ اللَّهِ** قبل صفحة: بيان معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

❁ **تعريف البهيمة وسبب تسميتها بذلك ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جمعاء»**

وتعريف الجدع:

قال في «الفائق» (١/ ١٩): البهيمة: كل ذات أربع في البر والبحر. اهـ
وقال المناوي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «التعاريف» (ص ١٤٧): البهيمة ما لا نطق له؛ لما في صوته من الإبهام، لكن خص في التعارف بما عدا السباع؛ لقوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة المائدة: ١]. اهـ

وقال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «النهاية» (ص ١٦٤): جمعاء: أي: سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء لا جدع فيها ولا كي. اهـ

وقال في «مختار الصحاح» (ص ١١٩): الجدعُ قطع الأنف وقطع الأذن - أيضا - وقطع اليد والشفة، وبابه قطع تقول جدعهُ فهو أجدعُ بين الجدع، والأنثى جدعاء.

اهـ



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن حُذَيْفَةَ بن اليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَحْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَحْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ»^(١) بِغَيْرِ هُدًى يَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ! فِتْنَةٌ عَمِيَاءٌ وَدُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللَّسِنَتَيْنَا». قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»، أَخْرَجَاهُ^(٢).

❁ الكلام على قول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كان الناس يسألون رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الخير

وكنت أسأله عن الشر... إلخ:

❖ قوله: (و كنت أسأله عن الشر): قال الحافظ **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (٦/ ٦١٦): في الطريق الأخرى: تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر، هو طرف من الطريق الآخر، وهو بمعناه. اهـ

(١) في النسخة المعتمدة «يهتدون»، وفي «الصحيحين»: «يهدون».

(٢) البخاري برقم (٣٦٠٦)، ومسلم (٤٧٨٤).



وفي "المفهم" (١٢/١٠٢): يعني: أنه كان أكثر مسائل الناس عن الخير، وكانت أكثر مسأله عن الشر، وإلاّ فقد سأل غيره رسول الله ﷺ عن كثير من الشر، وقد كان حذيفة يسأل رسول الله ﷺ عن كثير من الخير.

✽ **ما مراد بالخير والشر في قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكنت أسأله عن الشر مخافة أن**

يدركني؟

قال في المفهم - عقب كلامه السابق -: والخير والشر المعنيان في هذا الحديث: إنما هما استقامة أمر دين هذه الأمة، والفتن الطارئة عليها، بدليل باقي الحديث وجواب النبي ﷺ له بذلك. اهـ.

✽ قوله: (مخافة أن يدركني): قال في "المفهم" (١٢/١٠٢): يدل: على حزم حذيفة، وأخذه بالحذر، وذلك: أنه كان يتوقع موت النبي ﷺ، فيتغير الحال، وتظهر الفتن كما اتفق.

وفيه دليل: على فرض المسائل، والكلام عليها قبل وقوعها إذا خيف مؤت العالم. اهـ.

✽ قوله: (إنا كنا في جاهلية وشر): قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في "عمدة القاري" (١٩٤/٢٤): يشير به إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، وقتل بعضهم بعضاً ونهب بعضهم بعضاً، وارتكاب الفواحش. اهـ.

✽ قوله: (فجاءنا الله بهذا الخير): قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في "عمدة القاري" (١٩٤/٢٤): يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش. اهـ.

✽ قوله: (قال ﷺ: «نعم»): قال صاحب "المفهم" (١٢/١٠٢): يعني به: الفتن الطارئة، بعد انقراض زمان الخليفين والصدر من زمان عثمان. اهـ.

❖ ما المراد بالدخن في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم وفيه دخن»؟

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): دخن - بفتح الدال المهملة وفتح الخاء المعجمة -، وهو الدخان، وأراد به ليس خيراً خالصاً، بل فيه كدورة بمنزلة الدخان من النار.

وقيل: أراد بالدخن الحقد. وقيل: الدغل. وقيل: فساد في القلب. وقيل: الدخن كل أمر مكروه.

وقال النووي: المراد من الدخن أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، كما كانت عليه من الصفاء...

وقال القاضي: الخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

وقال الكرمانى يحتمل أن يراد بالشر زمان قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وبالخير بعده زمان خلافة علي رضي الله تعالى عنه والدخن الخوارج ونحوهم والشر بعده زمان الذين يلعنونه على المنابر. اهـ

❖ قوله: («يهدون»): قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): قوله: «يهدون» - بفتح أوله - قوله: «بغير هدي» - بياء الإضافة عند الأكثرين، وبياء واحدة بالتنوين في رواية الكشميهني.

وفي رواية الأسود: «تكون بعدي أئمة يهتدون بهدي ولا يستنون بستتي». اهـ

❖ قوله: («تعرف منهم وتنكر»): قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): قوله: «تعرف منهم» أي: من القوم المذكورين، وتنكر يعني من أعمالهم....



وقال القاضي: الذي تعرف منهم وتنكرهم الأمراء بعده. ومنهم من يدعو إلى بدعة وضلالة كالخوارج. اهـ

✧ قوله: («فتنة عمياء»): قال العلامة العباد - حفظه الله تعالى - في شرحه للحديث من «شرح سنن أبي داود»: قوله: «فتنة عمياء»: يعني: فتنة عمياء صماء، لا يتضح فيها الأمر ولا يسمع فيها لحق. اهـ

✧ قوله: («دعاة على أبواب جهنم»): قال العيني رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): دعاة - بضم الدال - جمع داع على أبواب جهنم. قال ذلك: باعتبار ما يؤول إليه حالهم. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح مسلم» (٢٣٧/١٢): قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر، كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة. اهـ

✧ قوله: («يتكلمون بألسنتنا»): قال العيني رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا.

وفيه: إشارة إلى أنهم من العرب، وقال الداودي: أي: من بني آدم. وقال القاضي: معناه: أنهم في الظاهر على ملتنا، وفي الباطن مخالفون. وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن. اهـ

✧ قوله: («تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»): قال في «عمدة القاري» (١٩٤/٢٤): - أي: أميرهم.

وفي رواية الأسود: («تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»). اهـ

✽ ما المراد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم»:

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح البخاري" (٣٣ / ١٠): قال الطبري: اختلف أهل العلم في معنى أمر النبي بلزوم الجماعة ونهيه عن الفرقة، وصفة الجماعة التي أمر بلزومها:

فقال بعضهم: هو أمر إيجاب وفرض، والجماعة التي أمرهم بلزومها: السواد الأعظم، وقالوا: كل ما كان عليه السواد الأعظم من أهل الإسلام من أمر دينهم فهو الحق الواجب والفرض الثابت، الذي لا يجوز لأحد من المسلمين خلافه، وسواء خالفهم في حكم من الأحكام، أو خالفهم في إمامهم القيم بأمرهم وسلطانهم، فهو للحق مخالف خير من الذي تحبون من الفرقة.

واحتجوا بما روى الأوزاعي قال: حدثني قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدئ وسبعين فرقة، وإن أمتي على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهى الجماعة». وروى معتمر بن سليمان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبدا، ويد الله على الجماعة هكذا، فاتبعوا السواد الأعظم؛ فإنه من شذ شذ في النار».

وقال آخرون: الجماعة التي أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلزومها هي جماعة أئمة العلماء، وذلك أن الله جعلهم حجة على خلقه، وإليهم تفرع العامة في دينها، وهى تبع لها، وهم المعنيون بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة»، ذكر من قال ذلك:



روي عن المسيب بن رافع قال: كانوا إذا جاءهم شيء ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ سموه صوافي الأمر، فجمعوا له العلماء، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق.

وسئل عبد الله بن المبارك عن الجماعة الذين ينبغي أن يقتدي بهم، فقال: أبو بكر وعمر. فلم يزل يجيء حتى انتهى إلى محمد بن ثابت بن الحسين بن واقد. قلت: هؤلاء قد ماتوا فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري.

وقال آخرون: الجماعة التي أمر رسول الله ﷺ بلزومها: هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين بعد مضيهِ ﷺ حتى أقاموا عماده وأرسوا أوتاده وردوه، وقد كاد المنافقون أن ينزعوا أواخيه، ويقلبوه من أواسيه إلى نصابه وسلكوا في الدعاء منهاجه، فأولئك الذين ضمن الله لنبه أن لا يجمعهم على ضلالة.

قالوا: ولو كان معناه لا تجتمع أمته في زمن من الأزمان من يوم بعثه الله إلى قيام الساعة على ضلالة؛ بطل معنى قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»، وشبه ذلك من الأخبار المروية عنه ﷺ أن من الأزمان أزمانا تجتمع فيها أمته على ضلالة وكفر.

وقال آخرون: الجماعة التي أمر رسول الله ﷺ بلزومها: جماعة أهل الإسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملل أتباعها، فإذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا بمجتمعين، ووجب تعرف وجه الصواب فيما اختلفوا فيه.

ثم قال الإمام الطبري رحمه الله: والصواب في ذلك: أنه أمرٌ منه ﷺ

بلزوم إمام جماعة المسلمين، ونهى عن فراقهم فيما هم عليه مجتمعون من تأميرهم إياه، فمن خرج من ذلك فقد نكث بيعته، ونقض عهده بعد وجوبه، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم؛ فاضربوا عنقه كائنا من كان».

قال المؤلف: وحديث أبي بكرة حجة في ذلك؛ لأنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمره بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فبان أن الجماعة المأمور باتباعها هي السواد الأعظم مع الإمام الجامع لهم، فإذا لم يكن لهم إمام فافترق أهل الإسلام أحزابا فواجب اعتزال تلك الفرق كلها على ما أمر به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبا ذر، ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت، فذلك خير له من الدخول بين طائفة لا إمام لها خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فساد الأحوال، باختلاف الأهواء وتشتت الآراء. اهـ

✧ قوله: «حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»): قال الحافظ **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الفتح» (١٣/ ٤٧): أي: ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وقد ثبت عند ابن ماجة بلفظ: «فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم». اهـ

وقال العيني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عمدة القاري» (٢٤/ ١٩٥): «(وأن تعض)» - بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة - من عضض يعضض من باب علم يعلم أي: ولو كان الاعتزال من تلك الفرق بالعض، فلا تعدل عنه....

وقال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكايده المشقة، كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر:



«عضوا عليها بالنواجذ».

✧ قوله: («وأنت على ذلك») أي: على العض الذي هو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وإطاعة سلاطينهم، ولو جاروا. وفيه: حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك القيام على أئمة الحق؛ لأنه أمر بذلك، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم. اهـ



قَالَ الصَّنْفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وزاد مسلم: ثُمَّ مَاذَا؟. قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَالُ مَعَهُ نَهْرٌ^(١) وَنَارٌ] فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وَزُرُّهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وَزُرُّهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟. قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»^(٢).

- ✧ قوله: («وجب أجره، وحط وزره»): قال أبو الطيب رَحِمَهُ اللَّهُ في «عون المعبود» (١١ / ٢١١): أي: ثبت وتحقق أجر الواقع.
- ✧ قوله: («وحط») أي: ورفع وسومح «وزره» أي: إثمه السابق.
- ✧ قوله: («ومن وقع في نهره»): أي: وافقه في أمره.
- ✧ قوله: («وجب وزره»): أي: اللاحق.
- ✧ قوله: («وحط أجره»): أي: بطل عمله السابق. اهـ



- (١) وقع عند الطحاوي في «المشكل» برقم (٤٩٧٩): «ثم يخرج الدجال معه نهر ماء بارد». اهـ
- (٢) ما بين المعكوفين: رواه البخاري برقم (٧١٣٠)، ومسلم (٧٣٧٠)، عن حذيفة، وأبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وما بقي فهو عند أحمد برقم (٢٣٤٢٥)، وأبي داود (٤٢٤٤)، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- وهذه الزيادة من طريق صخر بن بدر العجلي. قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التقريب»: مقبول. اهـ

وقد تابعه نصر بن عاصم الليثي، وهو مقبول - أيضًا - فهي زيادة صالحة للاحتجاج.

قلت: وهي في «الصحيحة» برقم (١٧٩١)، والله أعلم.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تَنْحَرَفُوا عَنِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا.

وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء [التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء، فحدث به الحسن، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: صدق ونصح] (٢)(٣).

نَمَّ قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْلَقًا: تأمل كلام أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا ما أجله واعرِفَ زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء، التي من اتبعها؛ فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسنة، والإسلام، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم، من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسَلِمْتَ﴾ [سورة البقرة: ١٣١].

وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٢].



- (١) هو رفيع بالتصغير بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية مات سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: بعد ذلك ع. اهـ من "التقريب" (ص ٢٠).
- (٢) في النسخة المعتمدة انتهى كلام أبي العالية، وفي أخرى زيادة ما بين المعكوفين، والله أعلم.
- (٣) رواه ابن وضاح في كتاب "البدع" (ص ٧٧)، والآجري في "الشرعية" برقم (١٩)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢/ ٢١٨) كلهم من طرق، عن حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية، وهو ثابت إليه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

وأشبه هذه الأصول الكبار، التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة، وبمعرفة يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها .

وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهاها، وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظن أنها في قوم كانوا فبادوا، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٩].

✽ **تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على قول أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: إياكم وهذه الأهواء... إلخ:**

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: ابتعدوا عن الأهواء، وهي البدع احذروها إلزموا الطريق. اهـ

✽ **معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾**

[سورة الأعراف: ٩٩]:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن يعمل بالطاعات، وهو مُشْفِقٌ وَجِلٌ خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. اهـ (١).

قلت: ومما يوضح ما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٥٧-٦١].

(١) من "تفسير ابن كثير" (٣/ ٤٥١).



وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره" (ص ٢٩٨): ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

[سورة الأعراف: ٩٩] حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كيده متين،

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٩]، فإن من آمن من

عذاب الله، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسول حقيقة الإيمان.

وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون

آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجللاً أن يتلى ببليّة تسلب ما معه من

الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد -

ولو بلغت به الحال ما بلغت - فليس على يقين من السلامة. اهـ

✽ تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ﴾:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يبين أن الواجب على المؤمن الحذر، وأن لا

يغتر بالكثرة، وأن يعتني بالسنة والدليل، وأن يخاف على نفسه ولا يأمن؛ لأن الله

تعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٩].

[سورة الأعراف: ٩٩].

يعمل ويجتهد في الطاعة وهو خائف وجل غير مطمئن، بل يحذر البدع ويحذر

المعاصي ويتبع أهل الحق ويسير معهم ويتعد عن أهل الباطل وصحبته، هكذا

المؤمن دائماً على حذر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَأُوهُمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءَ جَزَاءٍ عَن تَجَرُّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [سورة البينة: ٧-٨].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة

الملك: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٤٦].

فيجب الحذر وعدم الطمأنينة لرأي فلان ورأي فلان، حتى تعلم الدليل من الكتاب والسنة. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»^(١)، رواه أحمد والنسائي^(٢).

✧ قوله: (خط لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما خطًا): قال في "مرقاة المفاتيح" (٥٠/٢): قوله: خط لنا: أي: لأجلنا تعليمًا وتفهميًا وتقريبًا؛ لأن التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس من المشاهد في المبنى.

✧ وقوله: (لنا خطًا): أي: مستويًا مستقيمًا. اهـ

✧ قوله: («ثم قال هذا سبيل الله»): قال في "المرقاة" (٥٠/٢): أي: هذا الرأي القويم والصراط المستقيم، وهما الاعتقاد الحق، والعمل الصالح.

وهذا الخط لما كان مثلاً سماه سبيل الله، كذا قاله ابن الملك، والأظهر أن المشار إليه بهذا هو الخط المستوي، والتقدير هذا مثل سبيل الله، أو هذا سبيل الله مثلاً.

(١) الأنعام [١٥٣].

(٢) رواه أحمد (٤٣٥/١)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٧٤)، وغيرهما.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "التعليقات الحسان" برقم (٧): حسن صحيح. اهـ

قلت: وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٨٣٣).

وجاء عن غير ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سبق ذكرهم والكلام عليهم في كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الشرح.

وقيل: تشبيهه بليغ معكوس أي: سبيل الله الذي هو عليه وأصحابه، مثل الخط في كونه على غاية الاستقامة.

✧ قوله: (ثم خط خطوطا): قال في "المرقاة" (٥٠/٢): أي: سبعة - خطوط - صغارا منحرفة.

✧ قوله: (عن يمينه وعن شماله): أي: عن يمين الخط المستوي وعن شماله كذلك. اهـ.

✧ قوله: وقال: («هذه سبل»): قال في "المرقاة" (٥٠/٢): قوله: وقال: «هذه» أي: الخطوط «سبل» أي: غير سبيل الله، أو سبيل للشيطان؛ لقوله: «على كل سبيل» أي: رأسه منها أي: من السبل شيطان من الشياطين «يدعو» ذلك الشيطان الناس «إليه» أي: إلى سبيل من السبل.

وفيه إشارة: إلى أن سبيل الله وسط ليس فيه تفريط ولا إفراط، بل فيه التوحيد والاستقامة، ومراعاة الجانبين في الجادة، وسبل أهل البدع مائلة إلى الجوانب، وفيها تقصير وغلو وميل وانحراف، وتعدد واختلاف، كالتدرية والجبرية والخارج والروافض، والمعتلة والمشبهة. اهـ.

✧ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا... الآية﴾** [سورة الأنعام: ١٥٣]:

سبق بعض الكلام على معنى هذه الآية في (باب وجوب الدخول في الإسلام) وإضافة إلى ذلك:

قال في "المرقاة" (٥٠/٢): قوله: وقرأ، أي: رسول الله ﷺ، كما هو الظاهر، ويحتمل أن يرجع الضمير إلى ابن مسعود، حكاية عن قول الله تعالى:



«وَأَنَّ هَذَا» - بالفتح والتشديد - وتقديره: واتل عليهم، أو يقدر اللام، وبالكسر استئناف، وبالفتح والتخفيف على أن فيه ضمير القصة، وهذا رفع.

وقوله: «صَرَطِي» خبر، وهو بسكون الياء وفتحها.

قوله: «مُسْتَقِيمًا» نصب على الحال، والعامل فيه معنى التنبيه، أو الإشارة.

قوله: «فَاتَّبِعُوهُ»: أي: صراطي وسبيلي الآية بعدها. «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ» أي: سبل الشياطين المنحرفة الزائغة المتشعبة من طرق الشرك والبدعة التي أشار إليها بقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار، إلا التي على ما كنت عليه أنا وأصحابي»، وبهذا الحديث يندفع زعم كل فريق إنه على الصراط المستقيم.

قوله: «تَفَرَّقَ بِكُمْ» - بحذف إحدى التاءين - «عَنْ سَبِيلِهِ» - إشارة إلى أنه لا يمكن اجتماع سبيل الحق مع السبل الباطلة.

قوله: «ذَلِكَمُ وَصَّيْكُمْ» أي: الله «بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾» أي: لكي تتقوه. أي: عذابه، أو مخالفته، أو سبل غيره. اهـ

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٣/٣٦٥): قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [سورة الأنعام: ١٥٣]، وقوله: «أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ» [سورة الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن. قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم

أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله ونحو هذا. قاله مجاهد، وغير واحد. - ثم ساق حديث ابن مسعود المذكور مع الحكم عليه ثم قال: قال الحاكم: وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر، من وجه غير معتمد، يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد، وعبد بن حميد جميعاً - واللفظ لأحمد: - وساق بسنده -، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: كنا جلوساً عند النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فخط خطاً هكذا أمامه، فقال: «هذا سبيل الله»، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، وقال: «هذه سبيل الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [سورة الأنعام: ١٥٣] (١).

ثم ساق ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** طرقاً أخرى لحديث جابر، ثم قال: ولكن العمدة على حديث ابن مسعود، مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثراً، وقد روي موقوفاً عليه. وقال ابن جرير - في «تفسيره» (٢٣٠/١٢) وساق بسنده -، عن أبان؛ أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أدناه، وطره في الجنة، وعن يمينه جَوَادٌّ، وعن يساره جَوَادٌّ، وثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى



(١) ضعيف: قال البوصيري في «الزوائد» (١/٤٥): هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن

سعيد. اهـ

قلت: وهو في «صحيح ابن ماجه» برقم (١١).



الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

وقال ابن مَرْدُويه: - وساق بسنده -، عن ابن عمر: أنه سأل عبد الله عن الصراط المستقيم، فقال له ابن مسعود: تركنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدناه، وطرفه في الجنة، وذكر تمام الحديث، كما تقدم، والله أعلم.

وقد روي من حديث النّوّاس بن سَمْعَان نحوه، قال الإمام أحمد - وساق بسنده -، عن النّوّاس بن سَمْعَان، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنْبَتِي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً، ولا تتفرجوا وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك. لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»^(١).

وقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ إنما وحد سبحانه سبيله لأن الحق واحد؛ ولهذا جمع لتفرقها وتشعبها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٢٥٧﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

(١) صحيح: راجع "صحيح الترغيب" (٢٣٤٧)، و"الصحيح المسند" (١١٨٨).

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعني على هذه الآيات الثلاث؟» - ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الانعام: ١٥١] حتى فرغ من ثلاث الآيات، ثم قال -: «ومن وفى بهن؛ أجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً؛ أدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة؛ كان أمره إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه»، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، والحاكم (٣١٨/٢) (١).

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص ٢٨٠): قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: تضلکم عنه وتفرقكم يميناً وشمالاً، فإذا ضللتكم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

﴿ذَلِكَمُ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)، فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علماً وعملاً صرتم من المتقين، وعباد الله المفلحين، ووجد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه. اهـ



(١) فيه كلامٌ: قال شيخنا الوادعي رحمه الله في «تعليقه على المستدرک» (٣٧٩/٢): في سنده محمد بن مسلمة الواسطي، وهو ضعيف جداً. وفي سنده — أيضاً — سفيان بن حسين وهو ضعيف في الزهري، ولكن محمد بن مسلمة قد توبع تابعه أحمد بن سنان الواسطي، عند ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير»؛ فيضعف الحديث من أجل رواية سفيان بن حسين عن الزهري. اهـ



باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٦].

❖ **الكلام على قوله تعالى:** ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ ... الآية﴾:

❖ **معنى قوله تعالى:** ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ ... الآية﴾:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٣٦٠/٤): يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض.

وقوله: «إِلَّا قَلِيلًا» أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غِيَرِهِ، وفجأة نَقَمَهُ؛ ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

وفي الحديث: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ... الآية﴾.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك، حتى فجأهم العذاب ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. اهـ

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره" (ص ٣٩١): لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسول، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال.

ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا.

وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، ويكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

﴿وَلَكِنْ﴾ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلاً.

﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب.

وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى، وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماما في الدين، إذا جعل عمله خالصا لرب العالمين. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، رواه مسلم ^(١).

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود ^(٢)، وفيه: من الغرباء؟ قال: «التَّزَاغُ مِنَ الْقَبَائِلِ».

وفي رواية ^(٣): «الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ».

وللترمذي ^(٤) من حديث كثير بن عبد الله ^(٥)، عن أبيه ^(٦)، عن جده ^(٧): «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي».



- (١) في صحيحة برقم (١٤٥).
- (٢) صحيح: رواه أحمد (٣٢٥/٦)، والترمذي برقم (٢٦٢٩)، والدارمي (٣١١/٢)، وابن ماجه (٤٧٨/٢)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٢٩٧/١). وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي برقم (٨٥٢)، والله أعلم.
- (٣) زيادة حسنة: أخرجها الإمام أحمد، في "المسند" (٢٧/٢٣٧)، من حديث عبد الرحمن بن سَئَةَ، من طريق إسحاق بن أبي فروة، وهو مترك.
- وجاءت في حديث سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند أحمد برقم (١٦٠٤).
- قال محققوا "المسند" (١٥٧/٣): سندها جيد. اهـ
- (٤) في "سننه" (٢٦٣٠)، وكثير بن عبد الله ضعيف، أحد أركان الكذب. انظر "التهذيب" (٣٧٧/٨).
- (٥) هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني المدني، ضعيف، أفرط من نسبه إلى الكذب من السابعة، ردت ق. اهـ من "التقريب" (ص ٤٦٠).
- (٦) هو عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني المدني، والد كثير مقبول من الثالثة، ردت ق. اهـ من "التقريب" (ص ٣١٦).
- (٧) هو عمرو بن عوف بن زيد بن ملحمة بكسر أوله ومهمله أبو عبد الله المزني صحابي مات في ولاية معاوية خت د ت ق. اهـ من "التقريب" (ص ٤٢٥).

❖ الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً»:

❖ معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً»:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (١/ ٣٥٤): قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ:

معناه: أن الإسلام بدأ في أحياء من الناس وقلة، ثم يعود إلى مثل ذلك. اهـ

❖ قوله: («طوبى للغرباء»): قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (١٨/ ٤٠٣):

«طوبى» فعلى من الطيب، قاله الفراء. قال: وإنما جاءت الواو لضممة الطاء. قال:

وفيها لغتان تقول العرب: طوباك وطوبى لك.

❖ معنى طوبى:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - عقب كلامه السابق -: وأما معنى طوبى: فاختلف

المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُ﴾ [سورة الرعد: ٢٩]، فروي

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن معناه: فرج وقرعة عين.

وقال عكرمة: نعم مالهم، وقال الضحاك: غبطة لهم.

وقال قتادة: حسنى لهم، وعن قتادة - أيضاً - معناه: أصابوا خيراً.

وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. وقال ابن عجلان: دوام الخير.

وقيل: الجنة، وقيل: شجرة في الجنة، وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث، والله

أعلم. اهـ

❖ قوله: («النزاع من القبائل»): قال في «المفهم» (٢/ ١٢٧): قال الهروي: أراد

بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى.

والنُّزاع: جمع نزيع أو نازع، وهو الذي نزع عن أهله وعشيرته وبُعِدَ عن ذلك. اهـ



وقال السيوطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح سنن ابن ماجه" عند هذا الحديث برقم (٣٩٧٨):
 النزاع من القبائل ذكر في "القاموس": النزيع الغريب، كالنزع جمعه نزاع انتهى.
 وفي رواية "الترمذي": وزاد تفسيرهم: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي
 من سستي» أي: يعملون بها ويظهرونها على قدر طاقتهم.
 فهذا الرجل يصبح في قومه معتزلاً مهجوراً، كالغريب؛ لأنه سنة الله التي قد خلت
 من قبل بالرسل والأنبياء، ولكن الله يعينهم، فإن العاقبة للمتقين، ولذا ورد: «العبادة
 في الهرج كهجرة الي»، كما مرّ. اهـ



قَالَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ أَبِي أُمِيَّةَ (١) قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا نَعْلَبَةَ (٢) فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا نَعْلَبَةَ! كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «بَلْ اتَّمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ (٣)؛ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ». قُلْنَا: مِنَّا أَمِّ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»، رواه أبو داود والترمذي (٤).

(١) هو أبو أمية الشعباني الدمشقي اسمه: يُحمد — بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم، وقيل: بفتح أوله والميم — وقيل: اسمه عبد الله، مقبول من الثانية عن د ق. اهـ من "التقريب" (ص ٦٢٠).

(٢) هو أبو نعلبة الخشني صحابي مشهور بكنيته قيل اسمه جرثوم، أو جرثومة، أو جرثم، أو جرهم، أو لاشر، أو لاش — بغير راء — أو الاشق، أو لا شومة، أو ناشب، أو باشر، أو غرنوق، أو شق، أو زيد، أو الأسود، واختلف في اسم أبيه — أيضًا — مات سنة خمس وسبعين وقيل: بل قبل ذلك بكثير في أول خلافة معاوية بعد الأربعين ع. اهـ من "التقريب" (ص ٦٢٧).

(٣) قال في "عون المعبود" (١١/ ٣٣٢): قوله: «الصبر فيه» كذا في عامة النسخ التي في أيدينا، وفي نسخة: «فيهن»، وهو الظاهر، وأما تذكير الضمير كما في عامة النسخ، فلا يستقيم إلا أن يؤوَّل أيام الصبر بوقت الصبر. اهـ

(٤) فيه كلامٌ وله شواهد: رواه أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٣)، وابن ماجه (٤١٤)، وابن أبي حاتم (٦٩١٥)، والطبراني في "الكبير" (١١/ ١٤٥)، كلهم من طريق عمرو بن جارية =



❖ الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ... الآية﴾:

❖ معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ... الآية﴾:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص ٢٤٦): يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط

المستقيم، فإنكم إذا صلحتم؛ لا يضركم من ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه.

ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداه، إلا بالآيتين بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره.

وقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى. ﴿فَإِن نَّبْتَلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر. اهـ



اللخمي، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولم يروي عنه غير عتبة بن أبي حكيم، وفيه عتبة بن أبي حكيم.

قال فيه ابن معين رَحِمَهُ اللَّهُ - كما في "التهذيب" (٧/ ٨٤) -: والذي لا إله إلا هو، إنه لمنكر الحديث. اهـ

قلت: وهو في "الضعيفة" برقم (٢٣٤٤).

وقد جاء عنه - أيضاً - عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٩٢٢)، وهو في "صحيح الجامع" (٢٣٤)، ويتقوي بما بعده من الشواهد التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلم.

✽ تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾: من الهداية، الأمر بالمعروف، ولا يضر الناس من ضل إذا استقاموا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، بعض الناس يظن أنه إذا اهتدى يعني: إذا أدى الطاعات الخاصة، هذا غلط.

من الهداية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من أسباب الهداية، ولهذا خطب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس لما تولى، وقال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقابه».

وكذا في هذه الآية قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبع، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن كالقابض على الجمر». الله المستعان، هؤلاء هم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمسكون بالقرآن حينما يتركه الناس، «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء».

فالغرباء هم: أهل الصلاح والاستقامة، وتنفيذ الأوامر والدعوة إلى الله، عند فساد الزمان وتغير أهله. اهـ



✧ قوله: (أما والله): قال الحافظ **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "الفتح" (١/ ١٠٢) عند قوله: «فوالله لا يمل الله حتى تملوا»: فيه: جواز الحلف من غير استحلاف، وقد يستحب إذا كان في تفخيم أمر من أمور الدين، أو حث عليه، أو تنفير من محذور. اهـ

✧ قوله: (سألت عنها خبيراً): فيه جوز مدح النفس بما فيها عند الحاجة، إذا أمنت الفتنة، والله أعلم.

✧ تعريف المعروف والمنكر:

قال العلامة السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "القواعد الحسان" (ص ١٠): المعروف في القرآن: اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً، وعكسه: المنكر والسوء والفاحشة. اهـ

✧ قوله: («شحاً مطاعاً»): قال ابن الأثير **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "النهاية" (ص ٤٦٨): الشح: هو أشد من البخل. اهـ

✧ قوله: («مطاعاً»): قال المناوي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "التيسير" (١/ ٩٥٦): أي: بخل يطيعه الإنسان، فلا يؤدي ما عليه من حق الحق، وحق الخلق.

✧ الحكمة من تقيده صلى الله عليه وسلم الشح أن يكون مطاعاً:

قال المناوي **رَحْمَةُ اللَّهِ -** عقب كلامه السابق -: ولم يقل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مجرد الشح يكون مهلكاً؛ لأنه إنما يكون مهلكاً إذا كان مطاعاً، أما لو كان موجوداً في النفس غير مطاع فلا يكون كذلك؛ لأنه من لوازم النفس مستمداً من أصل جبلتها الترابي، وفي التراب قبض وإمساك، وليس ذلك بعجيب من الأدمي، وهو جبلي، إنما العجب وجود السخاء في الغريزة، وهو النفوس الفاضلة الداعي لهم إلى البذل والإيثار. اهـ

✧ قوله: «(هوى متبع)»: قال المناوي في «التيسير» (١/ ٩٥٦): بأن يتبع ما يأمره

به هواه. اهـ

وقال في «عون المعبود» (١١/ ٣٣٢): بصيغة المفعول أي: وهوى للنفس متبوعاً،

وطريق الهدى مدفوعاً، والحاصل: أن كلاً يتبع هواه. اهـ

وقال في «النهاية» (٣/ ٣٢٢): هو أن يُطِيعَهُ صَاحِبُهُ فِي مَنَعِ الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا

الله عليه في ماله. اهـ

قلت: وقد ذم الله عَزَّجَلَّ الهوى والأخذ به مع ذكر بعض أضراره؛ فقال: ﴿وَأَتْلُ

عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْخَاوِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ
إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا
فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وقال عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

[سورة الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾﴾

[سورة طه: ١٦].

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

[سورة الفرقان: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة

القصص: ٥٠].



وَقَالَ نِسَالِي: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشْوَةً فَتَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٢].

✧ قوله: ((دنيا مؤثرة)): قلت: كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة الأعلى: ١٦-١٧].

قال السعدي رحمه الله في "تفسيره" (ص ٩٢): أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة..

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى: ١٧]، وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء.

فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، براحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة. اهـ

وقال أبو الطيب رحمه الله في "عون المعبود" (١١/٣٣٢): «ودنيا» - بالتونين كذا ضبط في بعض النسخ بالقلم -.

وقال في "شرح المشكاة" بالقصر، وفي نسخة بالتونين. قال: وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنية.

«مؤثرة» أي: مختارة على أمور الدين. اهـ

✧ تعريف الدنيا وسبب تسميتها بذلك :

قال في "شمس العلوم" (٤/٢١٧١): الدُّنْيَا: نقيض الآخرة، وسميت دنيا لدونها منا، وهو من الواو. والنسبة إليها دنيوي ودنيوي. اهـ

✧ قوله: ((وإعجاب كل ذي رأيه برأيه)): قال أبو الطيب رحمه الله في "عون

المعبود» (٣٣٢/١١): والإعجاب - بكسر الهمزة - هو وجدان الشيء حسناً ورؤيته مستحسنًا بحيث يصير صاحبه به معجبًا، وعن قبول كلام الغير مجنبًا، وإن كان قبيحًا في نفس الأمر، وما معناه أي: من غير نظر إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وترك الاقتداء بالصحابة والتابعين. اهـ

وقال في «شرح ابن ماجه» للسيوطي وغيره (ص ٢٩٠): قال الطيبي: وإعجاب المرء برأيه أن لا يرجع إلى العلماء فيما فعل بل يكون مفتي نفسه فيه. اهـ
✧ قوله: ((فعليك بخاصة نفسك)): قال أبو الطيب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عون المعبود» (٣٣٢/١١): قوله: «عليك - يعني - بنفسك»: كأن في الحديث لفظ: فعليك فقط، فزاد بعض الرواة يعني بنفسك؛ إيضاحًا لقوله: «فعليك» أي: يريد بقوله: «فعليك، فعليك بنفسك»، وفي رواية الترمذي: فعليك نفسك». اهـ

✧ هل يستفاد من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عليك بخاصة نفسك» ترك الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في «الفتاوى» (١٤/٤٧٩) - في كلامه على حديث أبي ثعلبة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وهذا يُفسَّره حديث أبي سعيد، في «مسلم»: «من رأى منكم منكراً؛ فليُغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يُؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعُجب سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب.
والشح: هو شدة الحرص الذي يُوجب البخل والظلم، وهو منع الخير وكرهيته.



والهوى المتبع: في إرادة الشرِّ ومحبته.

والإعجاب بالرأي: في العقل والعلم، وقد ذكر فساد القوى الثلاث التي هي: العلم والحب والبغض. اهـ

قلت: وله تنمة تأتي - بإذن الله - في الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «للعامل فيهن مثل أجر خمسين...».

✧ قوله: («ودع عنك العوام»): قال أبو الطيب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عون المعبود» (٣٣٢/١١): أي: واترك عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص. اهـ

✧ قوله: («فإن من ورائكم»): قال أبو الطيب في «عون المعبود» (٣٣٢/١١): أي: خلفكم.

✧ قوله: («أيام الصبر»): أي: أيامًا لا طريق لكم فيها إلا الصبر، أو أيامًا يحمد فيها الصبر، وهو الحبس على خلاف النفس.

واعلم أنه وقع في بعض النسخ: «فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر».

قال في «فتح الودود»: قوله: «فإن من ورائكم أيام» هكذا هو في بعض النسخ، وفي بعضها: «أيامًا» - بالنصب -، وهو الظاهر، والأول محمول على مسامحة أهل الحديث؛ فإنهم كثيرًا ما يكتبون المنصوب بصورة المرفوع، أو على لغة من يرفع اسم إن، أو على حذف ضمير الشأن، والله تعالى أعلم انتهى.

✧ قوله: («مثل قبض على الجمر»): قال أبو الطيب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «عون المعبود» (٣٣٢/١١): قوله: «مثل قبض على الجمر» يعني يلحقه المشقة بالصبر، كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده. اهـ

✽ الجمع بين قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للعامل أجر خمسين منكم... الحديث» وقوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «الفتاوى» (١٤/٤٧٩): حديث صحيح، فيه الخبر الصادق بحصول غربة الدين الصحيح، وفضل الغرباء حيث أن أجورهم تُضاعف؛ لأن الأجر على قدر النصب والمشقة والأذى الذي يلقونه من المخالفين ومضاعفة أجورهم.

ولا يلزم منه أنهم أفضل من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن هذا الحديث خاص في مضاعفة أجورهم وليس فيه أنهم أفضل من الصحابة؛ فإن لهم من الفضائل الثابتة ما ليس لهؤلاء الغرباء وإنما حصل لهم الفضل لأتباعهم أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحسان. اهـ

✽ قوله: «للعامل فيهن مثل أجر خمسين...»: قال في «عون المعبود» (١١/٣٣٢): قال القاري: فيه تأويلان:

أحدهما: أن يكون أجر كل واحد منهم على تقدير أنه غير مبتلى ولم يضاعف أجره.

وثانيهما: أن يراد أجر خمسين منهم أجمعين لم يبتلوا ببلائه انتهى.

✽ وقوله: («أجر خمسين منكم»): قال في «فتح الودود»: هذا في الأعمال التي يشق فعلها في تلك الأيام لا مطلقاً، وقد جاء: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، ولأن الصحابي أفضل من غيره مطلقاً انتهى.



وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ليس هذا على إطلاقه، بل هو مبني على قاعدتين:

إحدهما: أن الأعمال تشرف بثمراتها.

والثانية: أن الغريب في آخر الإسلام كالغريب في أوله، وبالعكس؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، كما بدأ، فطوبى للغرباء من أمتي» يريد المنفردين عن أهل زمانهم.

إذا تقرر ذلك، فنقول: الإنفاق في أول الإسلام أفضل لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لخالد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» أي: مد الحنطة.

والسبب فيه: أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام وإعلاء كلمة الله، ما لا يثمر غيرها.

وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين؛ لقلة عدد المتقدمين، وقلة أنصارهم، فكان جهادهم أفضل.

ولأن بذل النفس مع النصر ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها، ولذلك قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» جعله أفضل الجهاد؛ ليأسه من حياته.

وأما النهي عن المنكر بين ظهور المسلمين وإظهار شعائر الإسلام، فإن ذلك شاق على المتأخرين؛ لعدم المعين وكثرة المنكر فيهم، كالمنكر على السلطان الجائر، ولذلك قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يكون القابض كالقابض على الجمر» لا يستطيع

دوام ذلك؛ لمزيد المشقة، فكَذلك المتأخر في حفظ دينه، وأما المتقدمون فليسوا كذلك؛ لكثرة المعين وعدم المنكر، فعلى هذا ينزل الحديث انتهى. اهـ

وقال المبارك فوري رَحِمَهُ اللهُ في "تحفة الأحوذى" (٣٧/٨): قال في "اللمعات" يدل على فضل هؤلاء في الأجر على الصحابة من هذه الحيثية.

وقد جاء أمثال هذا أحاديث أخر، وتوجيهه كما ذكرنا: أن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي.

وقد تكلم بن عبد البر في هذه المسألة، وقال: يمكن أن يجيء بعد الصحابة من هو في درجة بعض منهم، أو أفضل ومختار العلماء خلافة انتهى. اهـ

✽ تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ على حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: هذا فيه الحث على الاستقامة في الغربية، وأنه ينبغي للمؤمن أن يستقيم ويحرص على الاستقامة عند غربة الناس، ولا يغتر بكثرة الهالكين، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح لما تلا الصديق هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]. قال: يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقابه». اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وروى ابن وضاح معناه^(١) من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، ولفظه: «إن بعدكم أياماً الصابرُ فيها، المتمسكُ بمثل ما أنتم عليه اليوم؛ له أجر خمسين منكم». قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: «بل منكم»^(٢).

ثم قال: ^(٣) أنبأنا محمد بن سعيد^(٤)، أنبأنا أسد^(٥) قال سفيان بن عيينة: عن أسلم البصري^(٦)، عن سعيد أخي الحسن^(٧) يرفعه، قلت لسفيان: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ قال: نعم. قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك؛ فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون



- (١) في كتاب "البدع" (ص ٧٠)، ورجاله ثقات، والله أعلم.
- (٢) وهذا الحديث يؤيد ما تقدم، وتقدم شرح فقراته في الذي قبله، والله المستعان.
- (٣) أي: ابن وضاح في كتاب "البدع" يأتي تخريجه والحكم عليه - إن شاء الله - في تخريج الحديث.
- (٤) هو محمد بن سعيد بن أبي مريم، يعرف بببل. قال مسلمة: مصري ثقة.
- وفي "تاريخ ابن يونس": محمد بن سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم، يكنى أبا عبد الله، روى عن ابن وهب. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين. اهـ من كتاب "الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة" (٨/ ٣١١).
- (٥) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي أسد السنة صدوق يغرب، وفيه نصب من التاسعة مات سنة اثنتي عشرة وله ثمانون خت د س. اهـ من "التقريب" (ص ١٠٤).
- (٦) هو أسلم العجلي بصري ثقة من الرابعة د ت س. اهـ من "التقريب" (ص ١٠٤).
- (٧) هو سعيد بن أبي الحسن البصري أخو الحسن ثقة من الثالثة مات سنة مائة ع اهـ من "التقريب" (ص ٢٣٤).

عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين». قيل: منهم؟ قال: «لا، بل منكم»^(١).

(١) مرسل ضعيف: رواه ابن وضاح في كتاب «البدع» (ص ٧٠)، وهو ثابت إلى سعيد ابن أخي الحسن البصري، وهو أرسله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومراسليه من أضعف المراسيل، والله أعلم.

وقد جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عند أبي نعيم في «الحلية» (٨ / ٤٨) وهو في «ضعيف الجامع» برقم (٣٩١٤).

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضعيفة» (٨ / ٤٣١): رواه أبو نعيم من طريق أبي الشيخ في «الأمثال» (٢٣٣) من حديث أنس نحوه مرفوعاً، وزاد في أوله: «أنتم اليوم على بينة من ربكم؛ تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، تجاهدون في الله، ثم تظهر فيكم السكرتان...» الحديث، وفي آخره: — القائمون يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين صديقاً». قالوا: يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «بل منكم»، ورجاله ثقات؛ إلا أن محمد بن العباس بن أيوب - وهو أبو جعفر الأصبهاني الحافظ - كان اختلط قبل موته بسنين.

قال أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢ / ٢٢٤): توفي سنة إحدى وثلاث مئة، وقطع عن الحديث سنة ست وتسعين؛ لاختلاطه، ومثله في «طبقات الأصبهانيين» (٣١٥ / ٤٢٦). ومعنى هذا: أنه اختلط قبل موته بخمس سنين، فما في «اللسان» أنه «اختلط قبل موته بسنة» خطأ، ولعله من الناسخ أو الطابع. اهـ

وجاء عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند البزار في «مسنده» (٢٦٣)، وأبي نعيم في «الحلية» (٨ / ٤٩). قال في «مجمع الزوائد» (٧ / ٥٣٣): رواه البزار، وفيه الحسن بن بشر وثقه أبو حاتم وغيره، وفيه ضعف. اهـ



✧ قوله: («تجاهدون في الله»): أي: في سبيل الله، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «البلوغ» (٨٤١): رواه أبو داود من رواية نافع عنه، وفي إسناده مقال.

ولأحمد: نحوه من رواية عطاء، ورجاله ثقات، وصححه ابن القطان^(١).
✧ قوله: («السكرتان»): قال في «المعجم الوسيط» (١/٤٣٨): (السكر) المرة من سكر، يقال: ذهب بين الصحوة والسكرأة أي: بين أن يعقل ولا يعقل، والغضبة وغلبة اللذة على الشباب، ومن الموت أو الهم أو النوم. اهـ
قلت: ومن هذا يعلم يقيناً أن حياة الصحابة كانت مليئة بالخير من أعظم ذلك وجود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم، ونزول الوحي عليه وقرب عهدهم بغضاضة القرآن، والحديث النبوي، والهدي الإسلامي، وتعاونهم على البر والتقوى، وتركهم للمنكر وتناهيهم عنه... والله أعلم.

(١) حسن: قال الزهيري — في تحقيقه «البلوغ» — صحيح بطرقه: رواه أبو داود برقم (٣٤٦٢)، وأحمد في «المسند» (٤٨٢٥)، وله طريق ثالث، رواه أحمد (٥٠٠٧) من طريق شهر بن حوشب، عن ابن عمر.

والحديث صحيح بهذه الطرق، وصححه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٢/١٥١)، وإلى هذا ذهب غيره من أهل العلم، كابن تيمية والشوكاني وغيرهما رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

✧ قوله: («سكرة الجهل»): قال المناوي في «التيسير» (٣١١/٢): أي: حب ما يؤدي إلى الجهل. اهـ

✧ قوله: («سكرة حب العيش»): قال في «التيسير» (٣٨٨/٢): أي: طول الحياة. اهـ

وفي بعض الروايات كما في «فيض القدير» (٥٧٦٧): «غشيتكم السكرتان: سكرة حب العيش، وحب الجاه» أي: حب ما يؤدي إلى الجاه. اهـ



قَالَ الصِّفِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: وله (١) بإسناد عن المعافري (٢) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طوبى للغرباء، الذين يمسكون بكتاب الله حين يُترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ (٣)».

❖ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله»:**

قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "تفسيره" (٣/ ٤٩٩): أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٠] أي: اعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره. اهـ

وقال العلامة السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** "تفسيره" (ص ٣٠٧): وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يتمسكون به علمًا وعملاً، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي علمها أشرف العلوم، ويعلمون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة.



(١) أي: ولابن وضاح، كما يأتي في التخريج - إن شاء الله تعالى -.

(٢) هو بكر بن عمرو المعافري المصري، إمام جامعها، صدوق عابد، من السادسة، مات في خلافة أبي جعفر بعد الأربعين خ م د ت س فق. اهـ من "التقريب" (ص ١٢٧).

(٣) مرسلٌ معضل: أخرجه ابن وضاح في "البدع" (ص ٦٥)، وهو مرسل معضل؛ لأن المعافري، من أتباع التابعين، والله أعلم.

ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات، إقامة الصلاة، ظاهرًا وباطنًا،
ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية
لإقامة غيرها من العبادات. اهـ



باب التحذير من البدع

✽ تعليق العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على باب التحذير من البدع:

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - معلقاً على الباب وما ذكر فيه من الأدلة -: هذا فيه التحذير من البدع، وأن الواجب على أهل الإسلام الحذر منها، ولهذا حذّر منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وعظهم موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. قلنا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة» - يعني لولاة الأمور - «وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

فالواجب على أهل الإسلام أن يتمسكوا بما شرعه الله من العبادة، وأن يحذروا ما أحدثه الناس من البدع، ولهذا قال لهم حذيفة: كل عبادة لا يتعبدوها أصحاب محمد فلا تتعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً؛ لأن الصحابة قد بينوا، وسألوا نبينهم عن كل شيء، فعليكم بالتأسي بهم والسير على منهاجهم.

ولما رأى عبد الله بن مسعود قوماً في المسجد كل حلقة في المسجد وحدها فيها واحد يقول: سبحوا كذا، عدوا كذا وكذا، يعدوا الحصى. قال: إنكم لعلى ملة هي

أهدئ من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة؟، فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء.

هذا من البدع في كونهم يتفرقون أحزاباً، كل واحد يقول افعل كذا وكذا، وإنما الواجب النصيحة والتذكير بالله: قال الله وقال رسوله هذا هو الواجب، أما أن يجعلون حلق ويقولون: عدوا حسناتكم، خذوا الحصى عد يا فلان!! هذا مما أحدثه الناس من البدع، ولهذا يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في خطبته: «أما بعد: فإن خير الكلام كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

فما أحدثه الناس من القربات هو من البدع، والبدع تكون بالقرب، فما تقرب به الناس مما لم يشرع، هذا من البدع، فالواجب الحذر منها، وليس فيها تفصيل بل كل بدعة ضلالة.

وأما قول بعض الناس: إن البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام، فهو قول غلط ممن قاله.

والصواب: أن كل بدعة ضلالة، والبدعة هي القربة التي يتقرب بها الناس ولم يشرعها الله تعالى مثل: ما فعل هؤلاء في عهد ابن مسعود، ومثل بدعة الموالد، ومثل بدعة البناء على القبور، وتجسيص القبور والكتابة عليها، كل هذا مما أحدثه الناس من البدع.

فالواجب الحذر الحذر من ذلك، وأن يتقيد المؤمن بما شرع الله وما درج عليه أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في العبادات وأن يحذر أن يزيد شيئاً فيما شرعه الله



جَلَّ وَعَلَا، قَالَ عَالِي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، فالله أكمل الدين، فليس لأحد أن يزيد فيه.

إلى هنا انتهى شرح العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.



قَالَ الصِّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن العرباض بن سارية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (١) قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مَوْدِعٌ؛ فَأَوْصَنَا. قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ (٢)، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» (٣). قَالَ الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ:** حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤).

❖ الكلام على قول العرباض **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة بليغة:

❖ قوله: (ذرفت منها العيون): قال في «النهاية» (٢/ ٣٩٦): ذرَفَتِ العينُ تَذْرِفُ إذا جرى دمعها. اهـ

قال الطيبي: ذرفت أي: سالت وإسناده إلى العيون مبالغة. اهـ



(١) هو العرباض - بكسر أوله وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة - بن سارية السلمي، أبو نجيع صحابي، كان من أهل الصفة ونزل حمص مات بعد السبعين ٤٠هـ - من «التقريب» (ص ٣٨٨).

(٢) في بعض النسخ زيادة: «من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

(٣) سبق الكلام على ذلك مفصلاً في (باب وجوب الدخول في الإسلام).

(٤) صحيحٌ رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٢/ ٣٥٨)، والترمذي (٧/ ٤٣٨)، وابن ماجه (١/ ١٦).

راجع: «الصحيحة» برقم (٢٧٣٥)، و«الصحيح المسند» (٩٢١).



✧ قوله: (وجلّت منها القلوب): قال في "المرقاة" (٤٣/٢): وجلّت - بكسر الجيم - والوجل خوف مع الحذر أي: خافت منها القلوب لتأثيرها في النفوس واستيلاء سلطان الخشية على القلوب. اهـ

❁ فائدة في قول العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذرّفت منها العيون ووجلّت منها القلوب:

قال في "المرقاة" - عقب كلامه السابق -: قال الطيبي: وفائدة تقديم ذرّفت على وجلّت، وحقه التأخير؛ للإشعار بأن تلك الموعظة أثرت فيهم، وأخذت بمجامعهم ظاهراً وباطناً. اهـ

وتبعه ابن حجر، ولا يخفى أن العلة المذكورة إنما هي للجمع بينهما لا للتأخير. ويمكن أن يقال: وجهه أن الظاهر عنوان الباطن، واستدل بالدمعة على الخشية، وإن كانت هي موجبة للدمعة، والله أعلم. اهـ

قلت: وقد وصف الله المؤمنين بهذه الصفة، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [سورة الحج: ٢٤-٢٥].

✧ قوله: (فأوصنا): قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "تعليقاته على الأربعين النووية" (ص ٥٠): لأن موعظة المودع تكون موعظة بالغة قوية. اهـ

قلت: و- أيضاً - تكون مشتملة على أهم الأمور، ومجامعها، والله أعلم.

وقال العلامة العباد - حفظه الله - "في شرح هذا الحديث من الأربعين النووية":
وهذه الموعظة متصفة بثلاث صفات: كونها بليغة، وكونها وجلت منها القلوب،
وكونها ذرفت منها العيون.

✽ تعريف الموعظة:

قال العلامة العباد - عقب كلامه السابق -: والموعظة: هي الكلام الذي فيه
ترغيب وترهيب، يكون فيه ترقيق للقلب وتخويف وزجر، فيؤثر ذلك في القلب
ويوجل، وتدمع العين من الخوف من الله **عَزَّوَجَلَّ**. اهـ
✧ قوله: ((أوصيكم بتقوى الله)):

✽ تعريف التقوى:

التقوى لغة: الوقاية. ومصدره وقاء بمعنى حفظ الشيء عما يؤذيه، ومن ذلك
قوله تعالى: ﴿وَوَقَّيْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة الدخان: ٥٦].
ومعنى قولنا اتقي الله: توقه أي: اجعل بينك وبين عذاب الله كالوقاية، ومن ذلك
قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، رواه البخاري برقم (١٤١٣)، ومسلم
(٢٣٤٧)، عن عدي بن حاتم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
ومعنى اتقى فلان كذا: إذا جعله وقاية.

وأجدر ما يتقون به من العذاب يوم القيامة الوجه، **قَالَ نَسَائِي**: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي
بَوَاجِهُهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الزمر: ٢٤].
ومنه قول النابغة الذبياني:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد



وقول الآخر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم^(١)

اهـ

وفي الاصطلاح: لها أكثر من عشرة تعاريف: منها ما اقتصر على شيء دون شيء، أو لم يكن فيه إيضاح للقارئ، إما لإسهاب فيه أو قصر، أو تعريف جانب دون آخر، وأحسن تعريف رأيت؛ هو ما روى بن أبي شيبة (٣٠٩٩٣) بسند صحيح، عن طلق بن حبيب، أنه قال: إذا وقعت الفتن فاطفؤها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: هي أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نورٍ من الله مخافة عذاب الله.

✽ شرح أثر طلق بن حبيب في تعريف التقوى:

فقوله: هي العمل بطاعة الله: قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة آل عمران: ٥٠]، وهذا في أكثر من عشرة مواضع في القرآن. وإلى هذا ينضم ما قاله الجرجاني في "تعريفاته" (ص ٦٥): أن التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وكذلك قول من عرف التقوى بأنها: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته.

وقوله: على نور من الله: أي: على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

(١) ملخصاً من "تفسير الطبري" (٨/ ٦٦٥)، و"تفسير الألوسي" (١٢/ ٣٧٤)، و"بصائر ذوي التمييز" (٥/ ٢٥٨).

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ﴾ [سورة الطلاق: ٢]، والفرقان والمخرج عامان.

وقوله: رجاء رحمة الله: قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦].
وقوله: والتقوى ترك معاصي الله: قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكْلَفُونَ ۖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الدنيا، واتقوا النساء»، رواه مسلم برقم (٦٩٤٨)، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»، رواه البخاري (٥٢) ومسلم (٤٠٩٤)، عن العمان بن بشير رضى الله عنهما.

ويدخل في هذا تعريف من قال: إن التقوى هي اجتناب كل ما فيه ضرر، وكذا تعريف من قال: هي المحافظة على آداب الشريعة، ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله تعالى، وكل ما تقدم في تعريفها لغة.

أقول: ولو لاحظت وجدت أن أكثر تعاريفها مبني على هذه الفقرة.

وقوله: على نور من الله مخافة عذاب الله: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [سورة المائدة: ٢].

شديد العقاب

وقال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، عن عدي رضى الله عنه، رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦).



وبقي تعاريف، متممة لما مضى، منها:

ما ذكره السيوطي في "الدر" (١/ ٦١): أن رجلاً سأل أبا هريرة عن التقوى؟ فقال له: هل أخذت طريقاً ذات شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف كنت تصنع إذا رأيت الشوك؟ قال: أعدل عنها أو جاوزتها أو قصرت عنها، قال: ذاك التقوى أي: فكذاك التقوى.

وبنحوه عن عمر أنه سأل أبي بن كعب، فقال له كما قال أبا هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وفي هذا يقول عبد الله بن المعتز، كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٥٣):

خل الذنوب صغيرها	وكبيرها ذاك التقوى
واصنع كما شئت فوق أرض	الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن من الذنوب صغيرة	إن الجبال من الحصى

وفي "شرح السنة" للبخاري (١٤/ ٣٤١)، عن عمر بن عبد العزيز **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه قال: التقى ملجم لا يفعل كل ما يريد. اهـ

❁ حقيقة التقوى:

وقال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "تفسيره" (١٢/ ٥٥) عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [سورة الحج: ٣٢]: وأضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في صحيح الحديث: «التقوى هاهنا وأشار إلى صدره». اهـ

وقال الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الرسالة التبوكية" (ص ١٥): وحقيقة التقوى

العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهيّاً، فيفعل ما أمره الله به إيماناً بالأمر

وتصديقاً بوعدده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهى وخوفاً من وعيده، ثم ذكر أثر طلق بن حبيب السابق.

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى. اهـ

✽ أصل التقوى:

قال ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "جامع العلوم والحكم" - تحت الحديث الثامن عشر -: وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه.

فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه، وسخطه، وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

ونقل عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً، فهو خير إلى خير.

قلت - أي: ابن رجب -: عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [سورة الفتح: ٢٦]، مع مراعاة الكتاب والسنة وملازمة الورع في كل شيء. اهـ

✽ مكان التقوى:

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "كتاب الفوائد" (ص ٥٥): والتقوى في الحقيقة تقوى الجوارح، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمَ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [سورة الحج: ٣٧].



ولقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «التقوى هاهنا وأشار إلى صدره»، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في «مسلم» (٢٦٦٤).

وقال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «تفسيره» (٥٥/١٢) عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢): وأضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في صحيح الحديث: «التقوى هاهنا وأشار إلى صدره». اهـ
فإذا استقام القلب استقامت الجوارح والضد بالضد، للحديث السابق، وحديث النعمان المتفق عليه.

❖ أهمية التقوى:

ما أمر الله بأمرٍ، ولا نهى عن محرم إلا بدأ ذلك أو ختمه بالتقوى إلا فيما ندر، وهذا لأمر عظيم، وفائدة مقصودة، بسطناها في باب أهمية التقوى من كتابنا (الجواهر الكبرى في صفات وفضائل التقوى).

❖ مراتب التقوى:

المرتبة الأولى من كمل تقواهم: وهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وليسوا في درجة واحدة، ومن ذلك قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»، رواه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

المرتبة الثانية: من كان على سيرهم حذو القذة بالقذة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) [سورة البقرة: ١٧٧].

وقوله: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

المرتبة الثالثة: من كانوا ذو عملٍ صالحٍ، إلا أن الاسترسال في المباحات يجرحهم إلى المتشابه، وربما وقعوا في الحرام، ولكن سرعان ما يرجعون، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٢] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٢-١٣٥].

وروى البخاري برقم (٢٢١٥)، ومسلم (٦٩٤٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما في قصة أصحاب الغار الذي قالت له المرأة: «اتقي الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه»، وذلك بعد أن قعد منها مقعد الرجل من امرأته، وكذلك الذي غاضب عامله، ثم بعد فترة من استخدامه للمال والانتفاع منه أعطاه ماله، وغيرها من الأدلة.

المرتبة الرابعة: أدنى المرتب، وهي مرتبة أصحاب المعاصي الكبيرة، المسترسلين فيها، من غير توبة ولا ندم، للجهل المطغي عليهم، وهؤلاء أكثر الأصناف عدداً.

ويجمع هذه المراتب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٩٣]، والله أعلم (١).

(١) راجع: "تفسير الطبري" (٨/ ٦٦٥) و"تفسير الألوسي" (١٢/ ٣٧٤ - ٣٧٥) و"البصائر" (٥/ ٢٥٨).



✽ مراتب التقوى عند ابن القيم:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب "الفوائد" (ص ٦٥): والتقوى ثلاث

مراتب:

أحدها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

والثانية: حميتها عن المكروهات.

والثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يغني.

فالأولى: تعطي العبد صيانة.

والثانية: تفيده صحته وقوته.

والثالثة: تكسبه سروره، وفرحه، وبهجته. اهـ

قلت: وليكن حال العبد مع ربه، كحال عمير ابن الحمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي "مشارع

الأشواق" (ص ٢١٢)، أنه كان في غزوة بدر، فسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلاً صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله

الله الجنة»، فرمى بتمراتٍ كن في يده، ثم أنشأ يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المزداد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

والقصة في "مسلم" (٤٩١٥)، بأوسع مما ذكرت، وفيها من العظة غير ما عليه

اقتصرت.

وأخيراً أقول: إن من التقي البحث عن أخي الصدق، والتقوى، والأمانة، كي تقر

به عينك، ويعينك على تجنب الخطأ، والعيوب، والرجوع إلى علام الغيوب، كما ذكر ذلك ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخوان" (ص ١١٠)، فقال:

أبل الرجال إذا أردت إخوانهم وتوسمن أمورهم وتفقد
فإذا وجدت أخا الأمانة والتقوى فبه اليدين قرير عين فاشدد
ودع التذلل والتخشع تبتغي قرب امرئ إن تدن منه تبعد
وفي هذا الزمان، زمن غربة الإسلام في أهله - فضلاً عن غيرهم - من سلم الناس
من شره لا يسلم من شرهم، ولكن المتقي يعفو ويصفح ابتغاء الأجر من الله، فيهنون
عليه البلاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [سورة آل
عمران: ١٢٠].

وفي زماننا لعل الوحدة خير من جلساء السوء؛ فقد امتلأت بهم الأرض، ولكن
لنا في سلفنا عبرة.

ومن ذلك ما في "ديوان الشافعي" - المنسوب إليه - (ص ٦٤):
إن لم أجد خلاً تقياً فوحدتي ألد وأشهى من غوي أعاشره
وللتقوى معان وشروط وغير ذلك، بسطتها في كتابي (الجواهر الكبرى لبيان ما
تحتويه التقوى).

✧ قوله: («وإن تأمر عليكم عبد»): قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللهُ في "تحفة
الأحوزي" (٣٦٦/٧): أي: وإن تأمر عليكم عبد حبشي، كما في رواية "الأربعين"
للنووي أي: صار أميراً أدنى الخلق، فلا تستنكفوا عن طاعته، أو لو استولى عليكم
عبد حبشي فأطيعوه مخافة إثارة الفتن.



ووقع في بعض نسخ أبي داود: «وإن عبداً حبشياً» - بالنصب - أي: وإن كان المطاع عبداً حبشياً.

قال الخطابي: يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم، وإن كان عبداً حبشاً، ولم يرد بذلك أن يكون الإمام عبداً حبشياً، وقد ثبت عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «الأئمة من قريش».

وقد يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح في الوجود، كقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من بنى لله مسجداً، ولو مثل مفحص قطاة؛ بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقدر مفحص القطاة لا يكون مسجداً لشخص آدمي، ونظائر هذا الكلام كثيرة. اهـ
وقال العلامة العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «تعليقاته على الأربعين النووية» (ص ٥٠):
يعني وإن كان الأمير عبداً فأسمعوا له وأطيعوه، وهذا هو مقتضى عموم الآية:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النساء: ٥٩].

قلت: وقول العلامة العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** لعله أقرب؛ لعدم استحالة كون العبيد قد يصيروا ملوكاً، والله أعلم.

✧ قوله: «(فعلیکم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين)»: تقدم الكلام على سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

❁ هل يفهم من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...» أنهم يسئروا للناس؟

قلت: أما قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»: فقال الإمام ابن عبد البر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «التمهيد» (٨ / ٦٧): وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي،

فسماهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خلفاء.

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون إمرة وملكا وجبروتا»، فتضمنت مدة الخلافة الأربعة المذكورين رضوان الله عليهم أجمعين. اهـ

وقال الكشميري في «العرف الشذي» (٢/ ٦٩): وفي شرح هذا الحديث قولان: قيل: إن سنة الخلفاء والطريقة المملوكة عنهم - أيضاً - سنة وليس ببدعة. وقيل: إن سنة الخلفاء في الواقع سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وإنما ظهرت على أيديهم.

ويمكن لنا أن نقول: إن الخلفاء الراشدين مجازون في إجراء المصالح المرسله، وهذه المرتبة فوق مرتبة الاجتهاد، وتحت مرتبة التشريع، والمصالح المرسله: الحكم على اعتبار علة لم يثبت اعتبارها من الشارع، وهذا جائز للخلفاء الراشدين لا للمجتهدين.

وزعم البعض: أن الخلفاء الراشدين ليس لهم إلا ما للمجتهدين، وهذا غير صحيح، وبعض مسائل أبي حنيفة تدل على أن لهم مساع إجراء المصالح المرسله. اهـ

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «سبل السلام» (١١/ ٢): وأما حديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»، أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وصححه الحاكم، وقال: على شرط الشيخين.



ومثله حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي؛ أبي بكر وعمر»، أخرجه الترمذي، وقال: حسن، وأخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، وله طرق فيها مقال إلا أنه يقوي بعضها بعضاً، فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها؛ فإن الحديث عام لكل خليفة راشد لا يخص الشيخين.

ومعلوم من قواعد الشريعة: أن ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** نفسه الخليفة الراشد سُمي ما رآه من تجميع صلاته ليالي رمضان بدعة ولم يقل: إنها سنة، فتأمل على أن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** خالفوا الشيخين في مواضع ومسائل، فدل أنه لم يحملوا الحديث على أن ما قالوه وفعلوه حُجَّة.

وقد حقق البرماوي الكلام في «شرح ألفيته في أصول الفقه» مع أنه قال: إنما الحديث الأول يدل أنه إذا اتفق الخلفاء الأربعة على قول كان حُجَّةً، لا إذا انفرد واحد منهم.

والتحقيق: أن الاقتداء ليس هو التقليد بل هو غيره، كما حققناه في «شرح نظم الكافل» في بحث الإجماع. اهـ

❁ **معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكل ضلالة في النار» وهل المراد أن الضلالة في النار**

أمر صاحبها؟:

قال العلامة الخضير - حفظه الله - في «شرح الموطأ» (الدرس: ١٨٧/ ص ١٢):

المراد: صاحبها. اهـ

قلت: وهذا هو ما يقتضيه الدليل، فإن العذاب إنما يقع على مرتكب البدعة لا على البدعة عينها، والله أعلم.



قَالَ الصَّفِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كل عبادة لا يتعبدوها أصحاب محمد فلا تتعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، رواه أبو داود^(١).

✧ قوله: (فلا تعبدوها): قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: من كان منكم مستنّاً فليستنّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه

(١) منقطع: لم يخرج أبو داود، والله أعلم، ولعله سبق قلم، وإنما أخرجه ابن وضاح في "البدع" (ص ١٠)، وابن المبارك في "الزهد" (٤٧)، وابن نصر في "السنة" (٨٩)، وابن عساكر في "تاريخه" (٤/ ١٥٥)، من طريق إبراهيم النخعي، عن ابن مسعود، وهو لم يسمع من ابن مسعود، كما في "تحفة التحصيل" (ص ١٦٨)، عن علي ابن المديني. وجاء بنحوه، عن ابن مسعود — أيضاً — أخرجه ابن وضاح في "البدع" (١١)، وهو من طريق قتادة عنه، وقاتدة لم يسمع من ابن مسعود كما في "شرح علل الترمذي" لابن رجب (ص ٤٢).

وجاء عنه — أيضاً — بلفظ آخر، أخرجه وكيع في "الزهد" (٣١٥)، وعنه أحمد في "الزهد" (١١٠/ ٢)، وابن وضاح في "البدع" (ص ١١)، وابن بطة في "الإبنة" (١٧٥)، واللالكائي في "السنة" (١٠٤)، وهو ثابت إليه.

وأخرج ابن وضاح — أيضاً — في كتاب "البدع" عنه ألفاظاً أخرى. انظر: رقم (١٨) و(١٩) و(٢٠).

وقد تقدم نحوه في (باب وجوب الدخول في الإسلام كله) عن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند "البخاري"، والله أعلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أخرجه ابن عبد البر في "جامع العلم وفضله" (ص ٣٦٨).

✧ قوله: (فإن الأول لم يدع للآخر مقالا): قال في "تيسير القدوس السلام شرح فضل الإسلام" (ص ٨٩): هذا موافق لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَخْبَرَ عَنِ الْفِرْقَةِ الْمَنْصُورَةِ النَّاجِيَةِ: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

فمن لم يتبع أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أجمعوا عليه؛ فإنه يدخل في هذا الوعيد الشديد. اهـ



قَالَ الصَّفُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): أخبرنا الحكم بن المبارك^(٢)

أنبأنا عمر بن يحيى^(٣) قال: سمعت أبي^(٤) يحدث، عن أبيه^(٥) قال: كنا نجلس على

باب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل صلاة الغداة^(٦)، فإذا خرج مشينا معه إلى



(١) في "مقدمة سننه" برقم (٢١٠)، ويأتي تنمة تخريجه، والحكم عليه آخر الحديث - إن شاء الله -.

والدارمي: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي، أبو محمد

الدارمي الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل متقن، من الحادية عشرة، مات سنة خمس

وخمسين، وله أربع وسبعون م د ت. اهـ من "التقريب" (ص ٣١١).

(٢) هو الحكم بن المبارك الباهلي مولا هم، أبو صالح الخاشتي وخاشت بكسر الشين من

محال بلخ صدوق ربما وهم مات سنة ثلاث عشرة أو نحوها من العاشرة بخ ت. اهـ من

"التقريب" (ص ١٧٦).

(٣) هو عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة، قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء قد رأيته

وذكره بن عدي مختصرا انتهى، وقال بن خراش: ليس بمرضي. وقال ابن عدي: ليس له

كبير شيء ولم يحضرني له شيء. اهـ من "لسان الميزان" (٤/ ٣٧٨).

(٤) قال في "التذييل على كتب الجرح" (١/ ٣٤٨): يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني: روى

عن أبيه، روى عنه شعبة، والثوري، والمسعودي، وغيرهم. قال يعقوب بن سفيان:

لا بأس به، وقال العجلي: كوفي، ثقة. اهـ

وقال العجلي في "معرفة الثقات" (٢/ ٣٥٥): كوفي ثقة، وأبوه كوفي تابعي ثقة. اهـ

(٥) هو عمرو بن سلمة بن الخرب الهمداني أو الكندي الكوفي، ثقة من الثالثة مات سنة خمس

وثمانين بخ. اهـ من "التقريب" (ص ٤٢٢).

(٦) تقدم بيان الغداة في (حديث ابن عمر أول الكتاب)، وأن المراد بها صلاة الفجر،

والله أعلم.

المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر - والحمد لله - إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقة جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصي فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللو مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك أو انتظر أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟، ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصي نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح، فقال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلى، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة!. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم، ثم



(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري صحابي مشهور أمره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين مات سنة خمسين، وقيل: بعدها ع. اهـ من "التقريب" (ص ٣١٨).



تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنوننا يوم النهر وان
مع الخوارج^(١).

❖ الكلام على قصة أبي موسى الأشعري مع عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

❖ قوله: (فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد): فيه: جواز الانتظار للعالم باب
بيته، ومرافقته حتى يصل مكانه الذي يريده.

ومنه يستفاد أخذ العلم من العالم حال مشيه، بشروط ذكرها أهل العلم، تراجع
من مصادرها.

وفيه: تأدب العلماء مع بعضهم، سواء كانوا بمنزلتهم، أو أرفع منهم، أو أدنى
منهم، والله أعلم.

ويستفاد منه: أن مما ينادى به العالم الكنية، وقد لمسنا من علمائنا الإجماع الرضا
بذلك، والله أعلم.

❖ قوله: (فجلس معنا حتى خرج): فيه: فضيلة وشرف عظيم لأبي موسى
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تواضعه وحسن خلقه.



(١) حسن بشواهد: أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٩٧٣٦) بالإسناد المتقدم.

وأخرجه — أيضًا — مختصرًا برقم (١٠٢٤٦) والطبراني في "الكبير" (٨٦٣٦)، وفيه مجالد
ضعيف، وأصله في "البخاري" (٣٦١٠)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبنحوه: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند "البخاري" برقم (٥٠٥٧) و"مسلم" (١٠٦٦)، فهو صالح
للحجية، والله أعلم.

وفي "صحيح مسلم" (٥٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقہ يمان، والحكمة يمانية»، وله ألفاظ أخرى في "الصحيحين"، وفي غيرهما. ويستفاد منه: التحاب والتواد بين أهل العلم، فهم قدوة لطلابهم وللمسلمين، والله المستعان.

✧ قوله: (قمنا إليه جميعاً): فيه: الحفاوة بالعالم والقيام إليه عند الحاجة المبيحة لذلك، كما هو الحال. ويستفاد منه: إشعار الطالب شيخه بما يكفّ له من الود والاحترام، وأن ذلك سبب لدوام الخير بينهما.

✧ قوله: (أنفا): قال في "الفائق" (١/٦١): أنفا أي: الساعة من ائتناف الشيء وهو ابتدأؤه.

وحقيقة: في أول الوقت الذي يقرب منا، ومنه إنه قيل له مات فلان، فقال: «أليس كان عندنا أنفا؟». قالوا: بلى! قال: «سبحان الله! كأنها أخذة على غضب». اهـ

✧ قوله: (ولم أر - والحمد لله - إلا خيراً): لا يفهم من هذا إقراره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للبدعة، وإلا لما أنكر ذلك عليهم، ولكنه سلك مسلك الخبير الماهر في تغيير المنكر، والله أعلم.

وفيه: أن العالم لو قدم على عالم آخر يعرف له حقه، ولا يتقدم عليه فيما قد يوقع في الالتباس، ولذلك أبو موسى أعاد الأمر إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله أعلم وأحكم.



ويستفاد منه: أن عالم البلد يقدم على غيره، ولا يقطع من دونه إلا للحاجة.
وقد قيل قديمًا، وعليه العمل حديثًا: أهل مكة أدرى بشعابها.
ويستفاد - أيضًا -: أن البدعة تبدأ بفعل الخيرات أو بصورتها، ونهايتها النار والعياذ بالله.

ويستفاد - أيضًا -: أهمية التشاور والتزاور والتآزر على الحق والخير.
ويستفاد - أيضًا -: أن المسجد هو مجلس العالم، فبه يعرف، وفيه يبحث عنه، إلا أنه قد ظهر في أواخر زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما يستثني ذلك، وهو الخوف على أهل العلم من الأعداء، والله أعلم.

✧ قوله: (إن عشت فستراه): هذا محمول على أمرين:
أحدهما: إن عشت أي: حتى تصل المسجد للجهل بوقت الوفاة.
والثاني: أن ابن مسعود لم يكن قد اطلع على ذلك بعد، ولو كان في مسجده؛
لاحتمال أنهم فعلون ذلك بالخفية، أو حال غيابه أو لشغله أو غير ذلك.
والثاني أقرب؛ لأن ابن مسعود لو علم ذلك لبينه، والله أعلم.

✧ قوله: (سبحوا مائة...): وعوضًا عن هذه البدعة فللمرء عند انتظاره للصلاة
أن ينشغل بعدة سنن، فإن كان قد أذن المؤذن؛ فيصلي النافلة القبليّة أربعًا ويدعو
الله بين الأذان والإقامة؛ فإنه من أسباب الإجابة، وإن كان لم يؤذن بعد؛ فيذكر الله
تعالى بصورة شرعية، كأن يقرأ القرآن، أو يحضر حلق العلم إن وجد ذلك، أو
يُعلم جاهلاً إن كان أهلاً لذلك ونحو ذلك، والله المستعان.

✧ قوله: (فماذا قلت لهم): فيه: ترك تصادم الرأي، والاكتفاء بقول العالم؛ إن
كان قد بين المراد، وأهمية التشاور، والله أعلم.

✧ قوله: (انتظار أمرك أو رأيك): ما أعظم هذا الإجلال، وإنه لحريٌّ أن يتصف به أهل العلم؛ حتى تسلم قلوبهم عن التنافر.

ويستفاد منه: أن العالم قد يؤخر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليستفهم أكثر، والله أعلم.

✧ قوله: (أن لا يضيع من حسناتهم): أي: لا داعي لعد الحسنات إلا فيما أمرنا أن نعهده، وذلك: لأن الله هو الحافظ والمضاعف.

وأما عد السيئات: فإن الإنسان إذا علم عددها؛ تاب منها وأتبع كل سيئة حسنة، والله أعلم.

✧ قوله: (ما هذا الذي أراكم تصنعونه): فيه التحري في الأمور. ويستفاد منه: أن الأكمل في النصيح هو الإحاطة علماً بما ينصح فيه من جميع جوانبه، وذلك ليعد الكلام المناسب للمقام المناسب في المكان المناسب في الشخص المناسب في البلدة المناسبة، والله أعلم.

ويستفاد منه: معرفة قصد العامل، وأنه يعذر بجهله ويعلم بالصواب، والله أعلم.

✧ قوله: (وَيَحْكُمُ): قال في «الفروق اللغوية» (ص ٥٧٩): ويح: كلمة عذاب. وقال سيبويه: ويح: زجر لمن أشرف على الهلكة.

وفي «المجمع»: ويح: كلمة ترحم، وتوقع لمن وقع في هلكة، وقد يقال للمدح، والتعجب. اهـ.

✧ قوله: (ما أسرع هلكتكم): مما لا شك فيه: أن مخالفة السنة هلكة، فقد روى

البخاري (٢٤١٠)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».



✧ قوله: (ثيابه لم تبلى...) : مراده **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أنهم ما زالوا قريبي العهد برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وموته، وأن سنته لم تبعد بعد.

✧ قوله: (مفتتحوا باب ضلالة): ومما لا شك فيه أن المبتدع لن يأتي بأهدى مما جاء به رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولكنه الإحداث في الدين والضلال والإضلال والسير بالأمّة إلى الظلام، والله المستعان.

✧ قوله: (وكم من مريد للخير لن يصيبه): مما يقطع به أن مريد الخير يجب عليه موافقة الهدي النبوي.

❁ هل يؤجر من قصد بعمله الخير وجهل بدعيته؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الاقتضاء" (ص ٢٩٠) - في صدد الكلام على معنى ما تقدم -: لا ريب أن من فعلها متأولاً مجتهداً أو مقلداً كان له أجر على حسن قصده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع، وكان ما فيه من المبتدع مغفوراً له إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين... اهـ

قلت: ولا يعني هذا جواز الابتداع، أو الاجتهاد في أمور الدين بجهل أبداً، ولكن متى علم بالبدعة وجب عليه تركها، ومتى كان عالماً ملمّاً، ونزلت نازلة اجتهد فيها، وإلا كان آثماً، والله أعلم.

✧ قوله: (لا يجاوز تراقيهم): قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (١٠/٩): قال الداودي: يريد إنهم تعلقوا بشيء منه.

قلت: إن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله، فعسى أن يتم له مراده، وإلا فالذي فهمه الأئمة من السياق أن المراد: أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم؛ لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب.

وقد وقع في حديث حذيفة: نحو حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الزيادة: «لا يجاوز تراقيهم ولا تعيه قلوبهم». اهـ

✽ حكم الحلف بـ (أيمن الله) و (أيمن الله) ومعرفة أصلهما من جهة اللغة:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١١/١٢١): فيه جواز اليمين بهذا اللفظ، وهو أيمن الله، وأيمن الله، واختلف العلماء في ذلك، فقال مالك وأبو حنيفة: هو يمين. وقال أصحابنا: إن نوى به اليمين فهو يمين وإلا فلا. اهـ

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (٦/٩١): قوله: «وأيمن الله» - بوصل الهمزة -.

وقال الجوهرى: أيمن الله اسم وضع للقسم هكذا - بضم الميم والنون - وألفه ألف الوصل عند الأكثرين، ولم يجيء في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها، وهو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف.

والتقدير: أيمن الله قسمي، وربما حذفوا منه النون، فقالوا: أيمن الله.

وقال أبو عبيد: كانوا يحلفون ويقولون يمين الله لا أفعل، فجمع اليمين على أيمن، ثم كثر في كلامهم فحذفوا النون منه، وألفه ألف قطع، وهو جمع، وإنما طرحت الهمزة في الوصل؛ لكثرة استعمالهم إياها. اهـ

✧ قوله: (يوم النهروان): وكان في عام (٣٨ / هجرية)، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في «جوامع السيرة» (ص ٣٤٠): ثم فتح علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل الخوارج، وهو كما تقدم من أجل الفتوح، لأنهم كانوا لا يرون طاعة خليفة، ولا يرونها في قرشي، وكان ضررهم معلوماً. اهـ



الخاتمة

قال الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب النجدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**:
والله المستعان، وعليه التكلان.
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
انتهى الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

✽ **قال الفقير إلى الله أبو محمد السليمانى - وفقه الله وسدده -:**

كان الفراغ من مراجعته للطبعة الثانية.
ليلة الخميس (٧/ رجب / ١٤٣٧هـ). الموافق (١٤ / ٤ / ٢٠١٦) م
دار الحديث بمعبر - حرسها الله والقائمين عليها - وأدام النفع بها.



فَهْرَسْتُنْ (المحتويات)

- ٥..... مقدمة الشارح للطبعة الثانية
- ٦..... مقدمة المحقق للطبعة الأولى
- ٧..... عملي في التحقيق على النحو التالي
- ٨..... النسخة المعتمدة في التحقيق
- ٩..... ترجمة صاحب المتن العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحْمَةُ اللَّهِ
- ١١..... أخذ عنه العلم عدة من العلماء الأجلاء
- ١٢..... مسائل البسملة كثيرة نذكر ما تيسر منها اختصاراً على القول الراجح
- ١٣..... الأولى: سُيِّئَ البدء بالبسملة في الكتب والرسائل وغيرهما مما يُبدَأُ بها فيه
- ١٣..... الثانية: جواز الاكتفاء بالبسملة والشروع في الكتاب من غير مقدمة تُنبئ بالمقصود
- ١٤..... الثالثة: متى قد يتلزم ذكر البسملة والحمد والشهادة
- ١٤..... الرابعة: الحُكْم على حديث: «كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بسم الله؛ فهو أتر»
- ١٤..... الخامسة: هل البسملة آية من كل سورة أو آية مستقلة أو أنزلت للتبرك أو للفصل بين السور؟
- ١٤..... السادسة: البسملة جزء من آية من سورة النمل بالإجماع
- ١٥..... السابعة: سبب ترك البسملة في أول سورة براءة
- ١٧..... الثامنة والتاسعة: معنى (بسم الله) وإعرابها
- ١٨..... العاشرة والحادية عشرة: اسم الجلالة (الله) هل هو جامد أو مشتق وما مبدأ اشتقاقه؟
- ١٩..... الثانية عشرة: أصل اشتقاق الاسم
- ٢٠..... الثالثة عشرة: هل الاسم عين المسمى أم غيره؟
- ٢١..... الرابعة عشرة الصحيح في إعراب لفظ الجلالة من قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ۝١ اللَّهُ﴾
- ٢٢..... الخامسة عشرة: معنى لفظ الجلالة (الله)



- السادسة عشرة: دليل من قال: أن آله بمعنى عَبْدَ وأن المألوه معناه المعبود ٢٢
- السابعة عشرة: من خصائص لفظ الجلالة الله أمور نذكر منها مايلي ٢٣
- الثامنة عشرة: بعض خصائص لفظ الجلالة - الله - المعنوية ٢٤
- التاسعة عشرة والعشرون: معنى اسمي: الرحمن والرحيم ٢٥
- الحادية والعشرون: معنى اسمي الرحمن والرحيم إذا قرُن بينهما ٢٦
- الثانية والعشرون: حكم التسمي بالرحمن أو بالرحيم ٢٦
- باب فضل الإسلام** ٢٧
- تعريف الإسلام بالمعنى العام والخاص والفرق بينهما ٢٧
- هل الإسلام والإيمان شيء واحد أم بينهما تباين؟ ٢٨
- الكلام على قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية** ٣١
- بيان أن الإسلام أكبر نعمة ٣١
- متى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية ٣٢
- سبب نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية ٣٣
- ضعف ما جاء أنها نزلت يوم الاثنين ٣٥
- ضعف ما جاء أنها نزلت غير يوم عرفة كيوم غدیر خم وغيره أو أنه لم يعلم يوم نزولها ٣٦
- اليهود أهل ابتداء وكذا النصارى: ٣٧
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية من الفوائد ٣٨
- والنعمة قسمان: دينية ودنيوية ظاهرة وباطنة ٣٩
- معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي...﴾ الآية ٤١
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي...﴾ من الفوائد ٤١
- الكلام على قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ الآية** ٤٣

- معنى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ﴾ ٤٣
- من المقصود بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾؟ ٤٣
- ما المراد بالنور في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾؟ ٤٤
- بيان أن ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كله نور ٤٥
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ من الفوائد ٤٦
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «سَلِّكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِبَائِنِ... الحديث» ٤٨
- فائدة: في إطلاق اسم الصحيحين على البخاري ومسلم أو اسم الصحيح على أحدهما ٤٨
- هل أمر النصارى باتباع التوراة والإنجيل معاً أم أمروا باتباع الإنجيل فقط؟ ٤٩
- بعد بعثة نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هل أمر اليهود والنصارى باتباع نبينا وما جاء به فقط أم أمروا باتباعه وباتباع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام وما جاءوا به جميعاً؟ ٥١
- تعريف الأجير ٥٢
- من المراد بالرجل في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كمثل رجلٍ استأجر أجراً»؟ ٥٢
- تعريف الغدوة ٥٣
- تعريف القيراط والدائق ٥٤
- هل يستفاد من الحديث تحديد المدة الزمنية المحدودة لبقاء هذه الأمة؟ ٥٤
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من يعمل لي من غدوة إلى وسط النهار... الحديث» من الفوائد ٥٥
- الجمع بين هذا الحديث وبين ما جاء من أن بعض أهل الكتاب يضاعف لهم الأجر؟ ٥٥
- بعض الأسباب التي حصلت بها هذه الأمة على مضاعفة الأجر ٥٦
- هل يفهم من هذا الحديث أن صالحى هذه الأمة خير من صالحى غيرها من الأمم جملةً وتفصيلاً؟ ٥٧



- تعريف الضلال ٥٩
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أضل الله الجمعة عمن كان قبلنا... الحديث» من الفوائد: ٦١
- ما أول أيام الأسبوع شرعاً؟ ٦٢
- تتمة في ذكر أيهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة؟ ٦٢
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» ٦٣
- تعريف الحديث المعلق ٦٣
- تعريف الدين وسبب تسميته بذلك ٦٤
- مراتب دين الإسلام الثلاث والفرق بينهن ٦٥
- تعريف المرتبة والركن ٦٥
- تنبيه متعلق بقول العلماء: كل مؤمن مسلم ولا عكس وكل محسن مؤمن ولا عكس ٦٦
- تعريف الحنيفية السمحة ٦٧
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» من الفوائد ٦٧
- الكلام على قول أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (عليكم بالسبيل والسنة... الخ) ٦٩
- تعريف السبيل والسنة ٧٠
- بعض ما في قول أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (عليكم بالسبيل والسنة... الخ) من الفوائد ٧٠
- الكلام على قول أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم... الخ) ٧٣
- تعريف الكَيْس ٧٣
- تعريف الغَبْن ٧٣
- تعريف الحَمَق ٧٤
- ما لمراد بمثقال الذرة المذكور في القرآن والسنة؟ ٧٤
- قصة لطيفة في مثقال الذرة ٧٤

- ٧٥..... تعريف الاغترار
- ٧٥..... تلخيص لما يتعلق بباب فضل الإسلام من كلام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.
- ٧٦..... باب وجوب الدخول في الإسلام
- ٧٦..... الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا... الآية﴾
- ٧٦..... معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا... الآية﴾
- ٧٨..... حقيقة خسارتي الدنيا والآخرة لمن لم يدخل في دين الإسلام
- ٨٠..... بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ من الفوائد
- ٨١..... معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
- ٨٣..... الكلام على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ... الآية﴾
- ٨٣..... معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ... الآية﴾
- ٨٣..... السر في توحيد الصراط الموصل إلى الله وتفريق السبل التي توصل إلى غيره
- ٨٤..... تعريف الصراط وحقيقته
- ٨٤..... هذه الآية أحد وصايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٨٥..... فائدة في الجمع بين الصراط المستقيم والتواصي بالحق والصبر وبالمرحمة
- ٨٦..... بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.. الآية﴾ من الفوائد
- ٨٧..... من أضرار اتباع البدع والشبهات
- ٨٨..... الكلام على قول مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: (السبل: البدع والشبهات)
- ٨٨..... تعريف السبل
- ٨٨..... تعريف البدعة والشبهة
- ٨٩..... البدعة قسمان



- ٨٩ تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة لا دليل عليه
- ٩٢ الفهم الصحيح للأدلة الحاثّة على اتباع السلف
- ٩٣ تعريف الشبهة وبيان أنواعها
- ٩٤ ذكر بعض ما يُستدلُّ به على جواز الابتداع في الدين والجواب على ذلك
- ٩٤ الأول: قول عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: نعم البدعة هذه
- ٩٦ الثاني: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث»
- ٩٨ الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أحدثنا في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»
- ٩٨ منزلة هذا الحديث من الدين
- ٩٩ معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه»
- ٩٩ معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فهو رد»
- ١٠٠ هل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فهو رد» يقتضي فساد العمل؟
- ١٠٠ حرمة الاستحسان في الدين وأنه تشريع جديد ولكن من وجه آخر
- ١٠٢ بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد» من الفوائد
- ١٠٤ الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل أمّي يدخلون الجنة إلا من أبى... الحديث»
- ١٠٤ معاني لفظ الأُمة الواردة في القرآن
- ١٠٥ أمة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على قسمين
- ١٠٥ من المراد بالأُمة في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل أمّي يدخلون الجنة»؟
- ١٠٦ معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِلَّا مَنْ أَبَى»
- ١٠٦ بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل أمّي يدخلون الجنة إلا من أبى... الحديث» من الفوائد
- ١٠٨ الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة... الحديث»
- ١٠٨ معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة»

- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ملحد في الحرم»، وتعريف الإلحاد ١٠٩
- مضاعفة الإثم في مكان دون آخر كمكة حرسها الله تعالى ١٠٩
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية» ١١١
- تعريف الجاهلية، وبيان أصلها ١١٢
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَمُطْلَبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهِرِقَ دَمَهُ» ١١٢
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة... الحديث» من الفوائد ١١٢
- الشاهد من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة... الحديث» ١١٤
- بعض أسباب الوقوع في أمور الجاهلية ١١٥
- الكلام على قول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (يا معشر القراء استقيموا... إلخ) ١١٦
- معنى قوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (يا معشر القراء استقيموا... إلخ)، وبيان منهم القراء ١١٦
- أهمية العمل بالعلم للعلماء وطلبة العلم ١١٧
- بصلاح العلماء صلاح العباد والبلاد وبفسادهم فسادهما ١١٧
- بعض ما في قول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (يا معشر القراء... إلخ) من الفوائد ١١٨
- ما يستفاد من دخول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** المسجد ووقوفه على الحِلَقِ ١١٩
- الكلام على قول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه... إلخ) ١٢١
- معنى قوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه) ١٢١
- إشكال وجوابه: لو قيل: إنه قد وجد في قرن ما من الخير ما لم يسبق له مثل سواء كان ذلك في بلد أو زمان أو مكان ١٢٢
- بعض ما في قول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه... إلخ) من الفوائد ١٢٦
- باب تفسير الإسلام ١٢٧
- تعريف الإسلام ١٢٧



- الكلام على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ... الآية﴾ ١٢٧
- معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِ﴾ ١٢٧
- لطيفة: في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ ١٢٨
- ذكر بعض ما حاج الله به أهل الكتاب وبين فيه باطلهم ١٢٩
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِ﴾ من الفوائد ١٢٩
- الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله...» ١٣١
- تعريف الشهادة ١٣١
- معنى لا إله إلا الله وبيان مقتضاها ١٣٢
- ذكر التقدير الصحيح لخبر (لا) وغلط من قدره (موجود) ١٣٢
- حكم قول القائل: لا يوجد إله إلا الله، وقول: لا إله موجود إلا الله؟ ١٣٤
- الحكمة في أن لفظة: (أشهد) بصيغة المتكلم المفرد بخلاف غيرها فبصيغة الجمع؟ ١٣٤
- شروط لا إله إلا الله ١٣٥
- الأول: العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك ١٣٦
- الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً ١٣٧
- الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ١٣٨
- الرابع: الانقياد لما دلت عليه الانقياد المنافي للترك ١٣٩
- الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب ١٤١
- السادس: الإخلاص ١٤٢
- السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك ١٤٣
- ركنا شهادة أن لا إله إلا الله وبيان أن النفي المحض أو الإثبات المحض ليسا بتوحيد ١٤٤

- ١٤٥ إعراب لا إله إلا الله
- ١٤٦ معنى اسم نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبيان أيهما أبلغ هو أو محمود
- ١٤٧ أدلة إثبات رسالته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
- ١٤٧ تعريف النبي والرسول والفرق بينهما
- ١٤٩ شروط شهادة أن محمداً رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
- ١٤٩ بيان معنى: شهادة أن محمد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومعرفة مقتضاها
- ١٥١ تعريف الصلاة لغةً وشرعاً ومتى كان فرضها
- ١٥١ هل الإسرائء والمعراج كانا في ليلة واحدة أم مفترقين؟
- ١٥١ تعريف الزكاة لغةً وشرعاً ومتى كان فرضها
- ١٥١ تعريف الصيام لغةً وشرعاً ومتى كان فرضه
- ١٥٢ تعريف الحج لغةً وشرعاً ومتى كان فرضه
- ١٥٢ الإسلام يتفاضل كما يتفاضل الإيمان
- ١٥٣ اتفاق الملل على أركان الإسلام والإيمان مع اختلاف في الفروع
- ١٥٤ الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»
- ١٥٤ معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»
- ١٥٥ الحكمة من تخصيص اللسان واليد
- ١٥٥ هل يدخل في الأذية باليد إقامة الحدود والتعزير للمسلم؟
- ١٥٦ تعليق الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على الحديث
- ١٥٦ بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» من الفوائد
- ١٥٨ بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الإسلام أن تسلم قلبك لله... الحديث» من الفوائد
- ١٥٩ الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته... الحديث»



- الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور ١٥٩
- الأول: الإيمان بوجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وقد دل على وجوده: الفطرة والعقل والشرع والحس .. ١٥٩
- الثاني: الإيمان بربوبيته: أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا مُعِين ١٦٣
- الثالث: الإيمان بألوهيته أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له ١٦٤
- الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته ١٦٧
- الإيمان بالملائكة **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** على قسمين ١٧٠
- الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله على قسمين ١٧٠
- الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على قسمين ١٧٠
- ذكر من سُمِّيَ في الكتاب والسنة من الملائكة والكتب والرسل ١٧١
- الأول: ذكر من سُمِّيَ في الكتاب والسنة من الملائكة ١٧١
- بعض ما وكل به الملائكة **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** من الأعمال ١٧٧
- الثاني: ذكر من سُمِّيَ في الكتاب والسنة من الكتب ١٨٨
- الثالث: ذكر من سُمِّيَ في الكتاب والسنة من الأنبياء والرسل ١٩٢
- الكلام على البعث وما بعده وفيه مطالب ١٩٦
- المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته ١٩٧
- المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر ١٩٩
- المطلب الثالث: الحشر ٢٠٠
- المطلب الرابع: الحوض ٢٠١
- المطلب الخامس: الميزان ٢٠٣
- المطلب السادس: الشفاعة ٢٠٥
- المطلب السابع: الصراط ٢٠٨

- باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ٢١٤
- الكلام على ألفاظ حديث: «تجيء الأعمال يوم القيامة... الحديث» ٢١٤
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تجيء الأعمال يوم القيامة... الحديث» من الفوائد ٢١٦
- باب وجوب الاستغناء بمتابعته (يعني القرآن) ٢١٩
- الكلام على قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢١٩
- معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢١٩
- هل يفهم من الآية أن الكتاب بين كل أمور الدين أم أنه بين البعض دون الآخر؟ ٢٢٠
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الفوائد ٢٢٠
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «آتهوكون يا ابن الخطاب... الحديث» ٢٢٢
- تعريف التهوك ٢٢٢
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية» ٢٢٣
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني؛ ضللتهم» ٢٢٣
- حكم سؤال أهل الكتابين عن أمور ديننا ٢٢٧
- حكم سؤال أهل الكتابين عما وافق شرعنا من أخبارهم؟ ٢٢٧
- حكم النظر في كتبهم ومتى يجوز ومتى يحرم ٢٢٨
- تعليق العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على الحديث المذكور ٢٢٩
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «آتهوكون فيها... الحديث» من الفوائد ٢٢٩
- باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام ٢٣٠
- الكلام على قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا... آية﴾ ٢٣٠
- معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ وإلى من يعود الضمير ٢٣٠
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ من الفوائد ٢٣١



- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَمَرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرِي بِهِ...» الحديث ٢٣٢
- الجمع بين هذا الحديث وبين ما علم بالتواتر من أن أوامره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كثيرة جداً؟ ٢٣٢
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ» ٢٣٣
- تعريف الهجرة، وبيان الأماكن التي يهاجر منها وإليها بأدلتها ٢٣٣
- ما المراد بالجماعة في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالْجَمَاعَةُ» ٢٣٥
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ» وتعريف الربطة ٢٣٥
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ» ٢٣٦
- حكم قول: يا آل فلان أو يا قبيلة فلان ونحوهما ٢٣٧
- فائدة مهمة في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فإنه من جثا من جهنم»، وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وإن صلي وصام» ٢٣٨
- ما المراد بالميتة الجاهلية؟ ٢٣٩
- حكم مفارقة الجماعة لقصد التنزه ونحوه ٢٤٠
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟» ٢٤١
- تعليق العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على تعريف شيخ الإسلام لدعوى الجاهلية ٢٤١
- ذكر القصة التي قال فيها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» ٢٤٢
- متى قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا القول، وفي أي غزوة كان، وما سبب قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لذلك؟ ٢٤٢
- سببت تسميته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لهذا القول بدعوى الجاهلية ٢٤٥
- حكم تعزير من دعا بدعوى الجاهلية وبماذا يعزر ٢٤٦
- نصيحة للراعي والرعية ٢٤٦
- باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه ٢٤٧
- معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ٢٤٧

- معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... الآية﴾ ٢٥٠
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... الآية﴾ من الفوائد ٢٥٠
- معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا... الآية﴾ ٢٥٢
- تعليق الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على الآيات الثلاث السابقة ٢٥٣
- معنى قوله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا...، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف ٢٥٥
- الكلام على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ... الحديث» ٢٥٧
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حذو النعل بالنعل، وشبرا بشبر وذراعا بذراع» وهل المراد متابعتهم بالكفر؟ ٢٥٨
- سبب تسميته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطرق الأهواء ملل وتعريف الملة ٢٥٩
- بعض ما يتعلق بالثلاثة والسبعين الفرقة ٢٦٠
- أصول هذه الفرق ٢٦٠
- الأصل الأول وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦١
- الأصل الثاني وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦٢
- الأصل الثالث وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦٣
- الأصل الرابع وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦٤
- الأصل الخامس وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦٥
- الأصل السادس وإلى كم انقسم فرقا وتسمية كل فرقة منه ٢٦٦
- الفرق المعاصرة هل تدخل في الثلاثة والسبعين الفرقة المنصوص عليها في الحديث؟ ٢٦٧
- أماكن ظهور هذه البدع ٢٦٨
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلها في النار» ٢٦٩
- هل الفرق المذكورة كافرة؟ ٢٦٩



- من المراد بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إلا وحدة»؟ ٢٦٩
- تعليق العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** على تعليق المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما أنا عليه وأصحابي» ٢٧٠
- نصيحة مستفادة من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كلها في النار إلا واحدة» ٢٧٠
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «سيخرج قوم من أمتي تتجارى بهم تلك الأهواء... الحديث» ٢٧٢
- بعض ما في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء... الحديث» من الفوائد ٢٧٣
- تعليق العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وميتغ في الإسلام سنة الجاهلية» ٢٧٤
- باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر ٢٧٥
- أيهما أضر على المسلم البدعة أم المعصية؟ ٢٧٥
- أقسام البدع ٢٧٥
- معنى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» ٢٧٦
- معنى قوله: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» .. ٢٧٨
- هل يصح أن نطلق على أهل البدع أنهم مفترون؟ ٢٧٨
- معنى قوله تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ... الآية» ٢٧٨
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لأن لقيتهم؛ لأقتلهم قتل عاد... الحديث» ٢٨٠
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد» ٢٨٠
- حكم قتال البغاة ٢٨٠
- هل البغاة كفار؟ وهل يُضَمَّنون ما أتلفوا من النفس والمال؟ وهل يُنتفع بأموالهم؟ ٢٨١
- هل البدعة تدخل تحت المشيئة إذا لم تكن مكفرة؟ ٢٨١
- تعليق العلامة ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ** على قول المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا) ٢٨٣

- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث» ٢٨٥.....
- المعنى الصحيح لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة» ٢٨٥.....
- الذي يشي على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟ ٢٨٦.....
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من دعا إلى هدى... الحديث» ٢٨٧.....
- باب ما جاء في: «أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة» ٢٨٩.....
- مراد المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ** من إirاده لهذا الباب ٢٩٠.....
- حكم العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على حديث: «إن الله احتجز التوبة...؟» ٢٩٠.....
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الله احتجز التوبة أو حجب التوبة عن المبتدع» ٢٩١.....
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يمرقون من الدين» ٢٩٣.....
- هل الخوارج كفار؟ ٢٩٤.....
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثم لا يعودون إليه»، وبيان أن البدعة أشد من المعصية ٢٩٦.....
- باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ٢٩٨.....
- معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ ... الآية﴾ ٢٩٨.....
- متى وجدت اليهودية والنصرانية؟ ٢٩٩.....
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... الآية﴾ من الفوائد ٣٠٠.....
- معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ... الآية﴾ ٣٠٢.....
- بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ... الآية﴾ من الفوائد ٣٠٣.....
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأوليائي إنما أوليائي المتقون» ٣٠٤.....
- الكلام على حديث: الثلاثة الذين قالوا: لا تزوج ولا ننام ولا نفطر... إلخ؟ ٣٠٧.....
- منهم الرهط الذين قالوا: لا نتزوج ولا نفطر ولا ننام ولا نأكل اللحم؟ ٣٠٧.....



- معنى قول أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال أحدهم: أما أنا فلا أكل اللحم...، ومعرفة ما الذي ينبغي على المسلم فعله في مثل هذه المباحات..... ٣٠٨
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» ٣١٠
- تعليق الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إني لأقوم وأنام وأصوم وأفطر... الحديث» ٣١٠
- تعريف التبتل ٣١٢
- باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾** ٣١٣
- معنى قوله تعالى: **﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾** الآية: ٣١٣
- بعض ما في قوله تعالى: **﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ...﴾** الآية من الفوائد. ٣١٦
- معنى قوله تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾** الآية ٣١٧
- هل ولد نبي الله يعقوب في زمن الخليل إبراهيم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أم بعد موته؟ ٣١٧
- بعض ما في قوله تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ...﴾** من الفوائد ٣١٩
- معنى قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾** الآية ٣٢١
- بعض ما في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾** الآية من الفوائد ٣٢١
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن لكل نبي ولاية... الحديث» ٣٢٢
- تعريف الخلعة ٣٢٤
- أقسام المحبة ٣٢٤
- أدلة إثبات خلقتي نبي الله محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ٣٢٥
- طريقة السلف في وصف الله بالمحبة والخلعة ٣٢٦
- الحكمة من أمر الله لخليله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بذبح ولده إسماعيل ٣٢٦

- الحكمة في براءة رسول الله ﷺ من اتخذه خليلاً غير الله تعالى ٣٢٧
- على ما ذا يحمل قول أبي هريرة وأبي ذر وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في رسول الله ﷺ قال خليلي وصدق خليلي ونحوها وهل يعتبر ذلك من اتخاذ الرسول ﷺ خليلاً ٣٢٧
- أيهما أفضل الخلّة أم أخوة الإسلام؟ ٣٢٩
- ما صحة ما ورد عنه ﷺ أنه اتخذ خليلاً من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٣٣١
- هل للإنسان أن يتخذ أحداً خليلاً أم أنها خاصة بالله ومن خص من رسله؟ ٣٣٢
- معنى قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم... الحديث» ٣٣٣
- هل يلزم من قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم» عدم النظر إلى الظاهر؟ ٣٣٦
- الكلام على قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض... الحديث» ٣٣٨
- تعريف الفَرَط ٣٣٨
- بعض ما يتعلق بالحوض ٣٣٨
- سُئِلَ العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى قوله ﷺ في الحديث «أي رب أصحابي؟» ٣٤١
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن الفاسق هل يرد على الحوض؟ ٣٤١
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أهل البدع هل هم ممن يُدَاوُونَ عن الحوض؟ ٣٤٢
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن الرافضة هل هم من الاثنين والسبعين فرقة؟ ٣٤٢
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يفرق بين العالم والجاهل؟ ٣٤٢
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الرافضة في العذر بالجهل؟ ٣٤٣
- وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن بعض الناس الذين يقولون: إن أتباع الإباضية وأتباع الزيدية أفضل من كثير ممن ينتسبون للمذاهب الأربعة؟ ٣٤٣
- الكلام على قوله ﷺ: «وددت أنا قد رأينا إخواننا... الحديث» ٣٤٤



- تعريف الغرة والتحجيل ٣٤٤
- تعريف الدُّهْم والبُهْم: في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «دُهِمُّ بُهْمٌ» ٣٤٤
- الحكمة من ذوده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأشخاص عن الحوض ٣٤٥
- فائدة لغوية في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا هَلُمَّ» ٣٤٥
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فأقول: سحقاً سحقاً» وتعليق الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** عليها ٣٤٦
- تعريف: هَمَلِ النِّعَم ٣٤٨
- معنى قول تعالى: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ... الْآيَةُ» ٣٤٩
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة... الحديث» ٣٥٠
- تعريف الفطرة ٣٥٠
- فائدة تخصيص الوالدين بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «فأبواه يهودانه... الحديث» مع أن المولود قد يكون عند غير آبائه؟ ٣٥٢
- تعريف البهيمة وسبب تسميتها بذلك ومعنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «جمعاء» وتعريف الجَدْع ٣٥٣
- الكلام على قول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كان الناس يسألون رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الخير وكنت أسأله عن الشر... إلخ ٣٥٤
- ما لمراد بالخير والشر في قول حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني؟ ٣٥٥
- ما المراد بالدخن في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لحذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «نعم وفيه دخن»؟ ٣٥٦
- ما المراد بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» ٣٥٨
- تعليق الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على قول أبي العالية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: إياكم وهذه الأهواء... إلخ ٣٦٤
- معنى قوله تعالى: «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾» ٣٦٤
- تعليق العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على قوله: «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» ٣٦٥

- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا... الآية﴾ ٣٦٨
- باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء ٣٧٢
- الكلام على قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ... الآية﴾ ٣٧٣
- معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ... الآية﴾ ٣٧٣
- الكلام على قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بدأ الإسلام غربياً وسيعود كما بدأ غربياً» ٣٧٦
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بدأ الإسلام غربياً وسيعود كما بدأ غربياً» ٣٧٦
- معنى طوبى ٣٧٦
- الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ... الآية﴾ ٣٧٩
- معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ... الآية﴾ ٣٧٩
- تعليق الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ ٣٨٠
- تعريف المعروف والمنكر ٣٨١
- الحكمة من تقيده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الشح أن يكون مطاعاً ٣٨١
- تعريف الدنيا وسبب تسميتها بذلك ٣٨٣
- هل يستفاد من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عليك بخاصة نفسك» ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٨٤
- الجمع بين قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «للعامل أجر خمسين منكم... الحديث» وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»؟ ٣٨٦
- تعليق العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على حديث أبي ثعلبة الخشني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** السابق ٣٨٨
- معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله» ٣٩٣
- باب التحذير من البدع ٣٩٥
- تعليق العلامة ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** على باب التحذير من البدع ٣٩٥



- الكلام على قول العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة بليغة ٣٩٨
- فائدة في قول العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ٣٩٩
- تعريف الموعظة ٤٠٠
- تعريف التقوى ٤٠٠
- شرح أثر طلق بن حبيب في تعريف التقوى ٤٠١
- حقيقة التقوى ٤٠٣
- أصل التقوى ٤٠٤
- مكان التقوى ٤٠٤
- أهمية التقوى ٤٠٥
- مراتب التقوى ٤٠٥
- مراتب التقوى عند ابن القيم ٤٠٧
- هل يفهم من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين...» أنهم يسنوا للناس ٤٠٩
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكل ضلالة في النار» وهل المراد أن الضلالة في النار أم صاحبها... ٤١١
- الكلام على قصة أبي موسى الأشعري مع عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٤١٧
- هل يؤجر من قصد بعمله الخير وجهل بدعيته؟ ٤٢١
- حكم الحلف ب(أيمن الله) و(أيمن الله) ومعرفة أصلهما من جهة اللغة ٤٢٢
- الخاتمة ٤٢٣
- فَهَذَا هُوَ الْخَبَرُ ٤٢٤